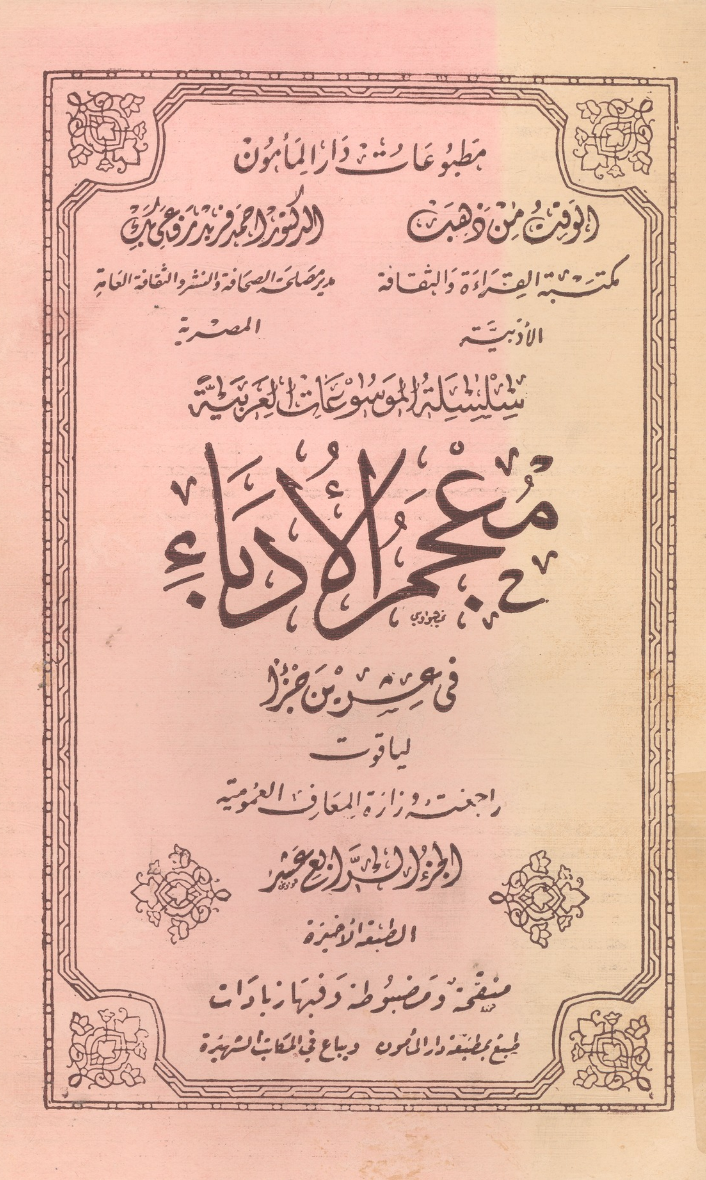


مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

الدكتور أحمد فريد رفاعي بك
مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة
المصرية

مكتبة القراءة والثقافة
الأدبية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

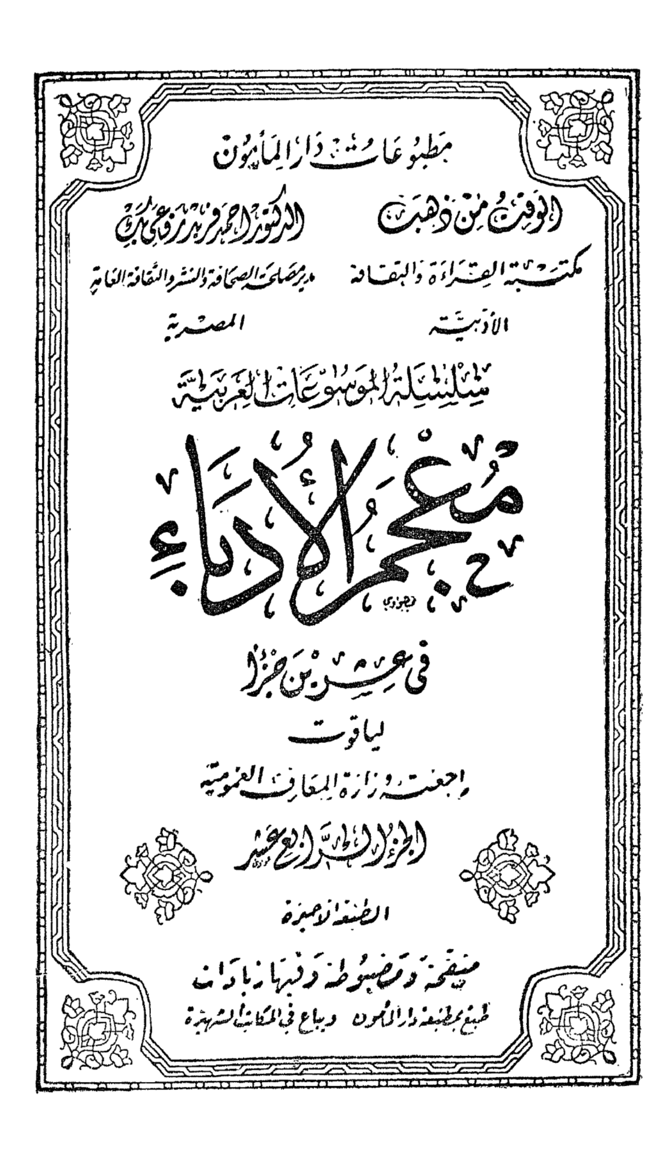
راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الرابع عشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة



مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور احمد فريد رفاعي بك
مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الرابع عشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكتبات الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

﴿ ١ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ الْجُذَامِيُّ * ﴾

علي بن عبدالله الجذامي

أَبُو الْحَسَنِ . لَهُ تَأْلِيفٌ عَظِيمٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، رَوَى عَنِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرِهِ ، مَاتَ فِي سَادِسَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

﴿ ٢ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ * ﴾

علي بن عبدالله العقيلي

ابْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْعُقَيْلِيُّ أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْطَاكِيُّ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ يَسْكُنُ بَابَ أَنْطَاكِيَةَ ، غَزِيرُ الْفَضْلِ ، وَافِرُ الْعَقْلِ ، دَمِثُ الْأَخْلَاقِ ، حَسَنُ الْعِشْرَةِ ، لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالْحِسَابِ وَالنُّجُومِ ، وَيَكْتُبُ خَطًّا حَسَنًا ، وَلَهُ أُصُولٌ حَسَنَةٌ ، وَرَدَ بَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَسَمِعَ بِهَا وَغَيْرِهَا ، وَسَمِعَ بِحَلَبَ أَبَا الْفَتْحِ عَبْدَ اللهِ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عِيسَى الْحَلَبِيَّ ، وَأَبَا الْفِتْيَانِ مُحَمَّدَ بْنَ سُلْطَانَ بْنِ حَيُّوسٍ الْغَنَوِيَّ .

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين صفحة ١٧٢

وترجم له فى الوافى بالوفيات ج ٥ ص ٢٨٥

(*) لم نعثر على من ترجم له فيما رجعنا إليه من مظان

قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيّ : قَرَأْتُ عَلَيْهِ بِحَلَبَ وَخَرَجْتُ يَوْمًا مِنَ عِنْدِهِ فَرَآنِي بَعْضُ الصَّالِحِينَ فَقَالَ لِي : أَيْنَ كُنْتَ ؟ قُلْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : ذَاكَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ ؟ قُلْتُ : وَلِمَ ؟ هَلْ هُوَ إِلَّا مُتَشَيِّعٌ يَرَى رَأْيَ الْحَلَبِيِّينَ ؟ فَقَالَ لِي لَيْتَهُ اقْتَصَرَ عَلَى هَذَا ، بَلْ يَقُولُ بِالنُّجُومِ وَيَرْوِي رَأْيَ الْأَوَائِلِ ، وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْحَلَبِيِّينَ يَتَّهِمُهُ بِذَلِكَ . وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِحَلَبَ ، وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

يَا ظِبَاءَ الْبَانِ[1] قَوْلًا بَيِّنًا
مَنْ لَنَا مِنْكُمْ بِظَبْيٍ مَلَّنَا ؟
يُشْبِهُ الْبَدْرَ بِعَادًا وَسَنَا
مَنْ نَفَى عَنْ مُقْلَتَيَّ الْوَسَنَا[2] ؟
فَتَكَتْ أَلْحَاظُهُ فِي مُهْجَتِي
فَتْكَ بِيضِ الْهِنْدِ أَوْ سُمْرِ الْقَنَا

---

(١) البان : شجر معتدل القوام لين يشبه به القد لطوله (٢) الوسن : النعاس

يَصْرَعُ الْأَبْطَالَ فِي نَجْدَتِهِ
إِنْ رَمَى عَنْ قَوْسِهِ أَوْ إِنْ رَنَا
دَانَ أَهْلُ الدَّلِّ وَالْحُسْنِ لَهُ
مِثْلَ مَادَانَتْ لِمَوْلَانَا الدُّنَا(١)

قَالَ : وَمَاتَ سَنَةَ نَيِّفٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . قُلْتُ : وَكَانَ لِأَبِي الْحَسَنِ هَذَا ابْنٌ فَاضِلٌ أَدِيبٌ شَاعِرٌ اسْمُهُ الْحَسَنُ ؟ وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَلِيٍّ ، سَافَرَ إِلَى مِصْرَ فِي أَيَّامِ ابْنِ رُزِّيكَ وَمَدَحَهُ وَحَظِيَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ مَاتَ بِمِصْرَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَهُوَ الْقَائِلُ :

يَا صَاحِبَيَّ أَطِيلَا فِي مُؤَانَسَتِي
وَذَكِّرَانِي بِخُلَّانٍ وَعُشَّاقِ
وَحَدِّثَانِي حَدِيثَ الْخَيْفِ إِنَّ بِهِ
رَوْحاً(٢) لِقَلْبِي وَتَسْهِيلًا لِأَخْلَاقِي
مَاضَرَّ رِيحَ الصَّبَا لَوْ نَاسَمَتْ حُرَقِي
وَاسْتَنْقَذَتْ مُهْجَتِي مِنْ أَسْرِ أَشْوَاقِي

---

(١) الدنا : جمع الدنيا وهى الحياة الحاضرة نقيض الآخرة (٢) روحا : مراحة ، والخيف : كل هبوط وارتفاع فى سفح الجبل ، والمكان المرتفع

دَاءٌ تَقَادَمَ عِنْدِى ، مَنْ يُعَالِجُهُ ؟
وَنَفْثَةٌ بَلَغَتْ مِنِّى ، مَنِ الرَّاقِى ؟
يَفْنَى الزَّمَانُ وَآمَالِى مُصَرَّمَةٌ
مِمَّنْ أُحِبُّ عَلَى مَطْلٍ وَإِمْلَاقِ
وَاضَيْعَةَ الْعُمْرِ لَا الْمَاضِى انْتَفَعْتُ بِهِ
وَلَا حَصَلْتُ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْبَاقِى

﴿ ٣ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ سَلَامَةَ * ﴾

على بن عبد الجبار الهذلى

ابْنِ عَيْذُونَ الْهُذَلِىُّ اللُّغَوِىُّ أَبُو الْحَسَنِ التُّونِسِىُّ ذَكَرَهُ السِّلَفِىُّ فَقَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّوَاذِلِىُّ الْقَيْرَوَانِىُّ قَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ تَمِيمٍ الْحُصَرِىُّ لِنَفْسِهِ بِالْقَيْرَوَانِ :

قَالُوا اُطَّرِحْ أَبَداً كَافَ الْخِطَابِ فَفِى
خَطِّ الْكِتَابِ[1] بِهَا حَطٌّ مِنَ الرُّتَبِ

---

(١) أى الكتب التى يرسلها إليه

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة صفحة ٥٨٩

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٣٤٠ وفيها ذكر أن مولده سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

فَقُلْتُ مَنْ كَانَ فِي نَفْسِي تَصَوُّرُهُ
فَكَيْفَ أُنْزِلُهُ فِي مَنْزِلِ الْغَيَبِ[1]؟

قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ بِتُونِسَ، وَتُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَكَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ حَافِظًا لَهَا حَتَّى إِنَّهُ لَوْ قِيلَ لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَلْغَى مِنْهُ[2] لَمَا اسْتُبْعِدَ، وَكَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى نَظْمِ الشِّعْرِ، وَلَهُ إِلَيَّ قَصَائِدُ وَقَدْ أَجَبْتُهُ عَنْهَا.

وَمِنْ جُمْلَةِ شِعْرِهِ قَصِيدَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُرْتَدِّ الْبَغْدَادِيِّ، فِيهَا أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَفِيهَا فَوَائِدُ أَدَبِيَّةٌ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ اللُّغَوِيَّ بِمَدِينَةِ مَازَرَ مِنْ جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ، وَكُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْهِ لِمَا اشْتَهَرَ مِنْ فَضْلِهِ وَتَبَحُّرِهِ فِي اللُّغَةِ، فَاتَّصَلَ بِابْنِ مَنْكُودٍ صَاحِبِ الْبَلَدِ أَنَّهُ يَشْرَبُ وَكَانَ يُكْرِمُهُ، فَشَقَّ عَلَيْهِ وَصَارَ يَكْرَهُهُ وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ وَقَالَ: الْمَدِينَةُ أَكْبَرُ وَالشَّرَابُ

(١) الغيب كجمل: الغائبون (٢) أفعل تفضيل من لغا

بِهَا أَكْثَرُ ، فَأَحْوَجَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا وَلَمْ أَقْرَأْ عَلَيْهِ شَيْئاً .

وَأَمَّا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ الْأَزْدِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ أَيْضاً بِمَازَرَ ، وَأَنْشَدَنِي شَيْئاً وَلَمْ أَرَ قَطُّ أَحْفَظَ لِلْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْقَطَّاعِ الصِّقِلِّيِّ ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كَثِيراً .

﴿ ٤ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَزَّازُ السُّوسِيُّ * ﴾

علي بن عبد الرحمن السوسي

أَبُو الْعَلَاءِ اللُّغَوِيُّ مِنْ سُوسِ خُوزِسْتَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ سَمِعَ الْمَحَامِلِيَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو نَصْرٍ السِّجْزِيُّ الْحَافِظُ ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ غَيْرَ هَذَا .

﴿ ٥ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْحَسَنِ * ﴾

علي بن عبد الرحيم السلمي

ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السُّلَمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَصَّارِ اللُّغَوِيُّ مِنْ أَهْلِ الرَّقَّةِ ، وَرَدَ بَغْدَادَ فَقَرَأَ بِهَا الْعِلْمَ وَأَقَامَ

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته في ياقوت

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٤١ بترجمة لم تزد إلا يوم وفاته فقيل : إنه مات يوم السبت بعد صلاة الظهر ثالث محرم . وكان عارفا بديوان المتنبي .

بِالْمُطْبِقِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ الْمُعَظَّمَةِ ، وَمَاتَ فِي ثَالِثِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِمِائَةٍ. انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ فِي مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ . قَرَأَ عَلَى أَبِي مَنْصُورٍ الْجَوَالِيقِيِّ وَلَازَمَهُ حَتَّى بَرَعَ فِي فَنِّهِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي الْعِزِّ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ كَادِشَ ، وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي قَاضِي الْبِيمَارِسْتَانِ ، وَأَبِي الْوَقْتِ السِّجْزِيِّ وَغَيْرِهِمْ . وَتَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبُو الْبَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعُكْبَرِيُّ الضَّرِيرُ ، وَكَانَ تَاجِراً مُوسِراً ضَابِطاً ، سَافَرَ الْكَثِيرَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَخَذَ عَنْ أَهْلِهَا وَرَوَى عَنْهُمْ ، وَخَطُّهُ الْمَرْغُوبُ فِيهِ الْمُتَنَافَسُ فِي تَحْصِيلِهِ ، فَإِنَّهُ مَلِيحُ الْخَطِّ جَيِّدُ الضَّبْطِ ، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ مُصَنَّفاً وَلَا سَمِعْتُ لَهُ شِعْراً .

﴿ ٦ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ بْنِ سَابُورَ * ﴾

على بن عبد العزيز البغوى

أَبُو الْحَسَنِ الْبَغَوِيُّ الْجَوْهَرِيُّ ، عَمُّ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ . نَزِيلُ مَكَّةَ ، صَاحِبُ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ وَرَوَى

(*) راجع طبقات المفسرين ص ١٧٣

عَنْهُ غَرِيبَ الْحَدِيثِ ، وَكِتَابَ الْحَيْضِ ، وَكِتَابَ الطُّهُورِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ ، وَحَجَّاجِ بْنِ الْمِنْهَالِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ الْعَبْدِيِّ ، وَسَلَمَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَزْدِيِّ ، وَالْقَعْنَبِيِّ ، وَعَاصِمِ بْنِ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِمْ ، وَصَنَّفَ الْمُسْنَدَ . حَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ أَخِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ ، وَدَعْلَجٌ السِّجْزِيُّ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبَرَانِيُّ . وَحَدَّثَ بِالْمُسْنَدِ عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّفَّاءُ الْهَرَوِيُّ. سُئِلَ عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فَقَالَ : ثِقَةٌ مَأْمُونٌ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : هُوَ صَدُوقٌ .

حَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ السُّنِّيُّ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيَّ ، وَسُئِلَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَكِّيِّ فَقَالَ : قَبَّحَ اللهُ عَلِيَّ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ثَلَاثًا ، فَقِيلَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ : أَتَرْوِي عَنْهُ؟ فَقَالَ لَا ، فَقِيلَ لَهُ : أَكَانَ كَذَّابًا ؟ فَقَالَ :لَا ، وَلَكِنَّ قَوْمًا اجْتَمَعُوا لِيَقْرَءُوا عَلَيْهِ وَبَرُّوهُ بِمَا سَهُلَ ، وَكَانَ فِيهِمْ إِنْسَانٌ غَرِيبٌ فَقِيرٌ لَمْ يَكُنْ فِي جُمْلَةِ مَنْ بَرَّهُ ، فَأَبَى أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ حَاضِرٌ حَتَّى يَخْرُجَ أَوْ يَدْفَعَ كَمَا دَفَعُوا ، فَذَكَرَ الْغَرِيبُ

أَنْ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا قُصَيْعَةٌ فَأَمَرَهُ بإِحْضَارِهَا ، فَلَمَّا أَحْضَرَهَا حَذَّبهم .

وَعَنِ القَاضِي أَبِي نَصْرِ بْنِ الْكَسَّارِ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ السُّنِّيَّ يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يَقْرَأُ كُتُبَ أَبِي عُبَيْدٍ بِمَكَّةَ عَلَى الْحَاجِّ بِالْأَجْرِ ، فَإِذَا عَاتَبُوهُ عَلَى الْأَخْذِ قَالَ : يَاقَوْمُ أَنَا بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ[1] ، إِذَا خَرَجَ الْحَاجُّ نَادَى أَبُو قُبَيْسٍ قُعَيْقِعَانَ مَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيَ الْمُجَاوِرُونَ[2] ، فَيَقُولُ : أَطْبِقْ .

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ الْمُنَادِي فِيمَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَجَاءَنَا الْخَبَرُ بِمَوْتِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَاحِبِ أَبِي عُبَيْدٍ مِنْ مَكَّةَ مَعَ الْحَاجِّ ، وَأَنَّهُ تُوُفِّيَ قَبْلَ الْمَوْسِمِ .

وَحَدَّثَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي الْحُسَيْنِ

---

(١) الأخشبان : جبلا مكة : أبو قبيس والأحمر — والأحمر اسمه قعيقعان . وفي الأصل « أبو قبيس قيقعان » وصوابها ما ذكرنا

(٢) المجاورون : المقيمون بمكة بجوار بيت الله الحرام والمراد من قوله أطبق : الكناية عن انتهاء مورد الرزق والكسب . « عبد الخالق »

مُحَمَّدِ بْنِ طَالِبٍ النَّسَفِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَكَّةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ مُؤَدِّبِي الَّذِي عَلَّمَنِي الْخَطَّ فَجِيءَ بِبُنَيَّةٍ لَهُ صَغِيرَةٍ يُقَالُ لَهَا وَسْنَاءُ وَعَلَيْهَا ثَوْبُ حَرِيرٍ ، فَأَجْلَسَهَا فِي حِجْرِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَمَا الْوَسْنَاءُ إِلَّا شِبْهُ دُرٍّ   وَلَاسِيَّمَا[1] إِذَا لَبِسَتْ حَرِيرَا
فَأَحْسَنُ زِيِّهَا ثَوْبٌ نَظِيفٌ   تُكَفَّنُ فِيهِ ثُمَّ أَرَى سَرِيرَا
تَهَادَى بَيْنَ أَرْبَعَةٍ عِجَالٍ[2]   إِلَى قَبْرٍ فَتَمْلَؤُنَا سُرُورَا

﴿ ٧ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ ﴾
﴿ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الْجُرْجَانِيُّ * ﴾

على بن عبد العزيز الجرجانى

أَبُو الْحَسَنِ قَاضِي الرَّيِّ فِي أَيَّامِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ .

---

(١) هذا استعمال مولد وقد نقده الحريرى فى درة الغواص وعده من أوهام الخواص ورد عليه ، واعتبره المتأخرون صحيحا فى الاستعمال بمثابة أخص ويعتبرون لا سيما مفعولا مطلقا لفعل من معناه أى أخص ، والذى رد على الحريرى هو الشهاب الخفاجى ، والمتقدمون يقولون : ما خالف قول امرىء القيس ؟ :

* ولا سيما يوم بدارة جلجل *

من تشديد الياء والمجىء بلا مسبوقة بالواو وبعدها اسم فقد أخطأ »

(٢) تهادى : تتمايل ، أربعة عجال : يعجلون بها فى السير لتدفن

« عبد الخالق »

(*) ترجم له له فى كتاب طبقات المفسرين ص ١٧٣

وَكَانَ أَدِيبًا أَرِيبًا كَامِلًا . مَاتَ بِالرَّىِّ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ وَهُوَ قَاضِى الْقُضَاةِ بِالرَّىِّ حِينَئِذٍ ، وَذَكَرَهُ الْحَاكِمُ فِى تَارِيخِ نَيْسَابُورَ وَقَالَ : وَرَدَ نَيْسَابُورَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ مَعَ أَخِيهِ أَبِى بَكْرٍ ، وَأَخُوهُ إِذْ ذَاكَ فَقِيهٌ مُنَاظِرٌ ، وَأَبُو الْحَسَنِ قَدْ نَاهَزَ الْحُلُمَ ، فَسَمِعَا مَعًا الْحَدِيثَ الْكَبِيرَ ، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو الْحَسَنِ يَتَقَدَّمُ إِلَى أَنْ ذُكِرَ فِى الدُّنْيَا . وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى جُرْجَانَ فَدُفِنَ بِهَا ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَاضِى أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَحْمَدَ ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ الْوَزِيرُ الْخَطِيرُ أَبُو عَلِىٍّ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ الْقَاسِمِ وَزِيرُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ ، وَأَبُو الْفَضْلِ الْعَارِضُ رَاجِلَيْنِ[1] ، وَوَقَعَ الِاخْتِيَارُ بَعْدَ مَوْتِهِ عَلَى أَبِى مُوسَى عِيسَى بْنِ أَحْمَدَ الدَّيْلَمِىِّ فَاسْتُدْعِىَ مِنْ قَزْوِينَ ، وَوُلِّىَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِالرَّىِّ وَلَهُ يَقُولُ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ : وَقَدْ أَنْشَأَ عَهْدًا لِلْقَاضِى عَبْدِ الْجَبَّارِ عَلَى قَاضِى الرَّىِّ :

(١) أى سائرين على أقدامهما

إِذَا نَحْنُ سَلَّمْنَا لَكَ الْعِلْمَ كُلَّهُ
فَدَعْنَا وَهَذِي الْكُتْبَ نُحْسِنْ صُدُورَهَا
فَإِنَّهُمُ لَا يَرْتَضُونَ مَجِيئَنَا
بِجَزْعٍ إِذَا نَظَّمْتَ أَنْتَ شُذُورَهَا[١]

وَكَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ قَدْ قَرَأَ عَلَيْهِ وَاعْتَرَفَ مِنْ بَحْرِهِ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَهُ فِي كُتُبِهِ تَبَخْبَخَ[٢] بِهِ، وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ بِالانْتِمَاءِ إِلَيْهِ. وَطَوَّفَ فِي صِبَاهُ الْبِلَادَ وَخَالَطَ الْعِبَادَ، وَاقْتَبَسَ الْعُلُومَ وَالْآدَابَ، وَلَقِيَ مَشَايِخَ وَقْتِهِ وَعُلَمَاءَ عَصْرِهِ. وَلَهُ رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ وَأَشْعَارٌ مُفَنَّنَةٌ، وَكَانَ جَيِّدَ الْخَطِّ مَلِيحاً يُشَبَّهُ بِخَطِّ ابْنِ مُقْلَةَ.

وَمِنْ شِعْرِهِ:

أَفْدِي الَّذِي قَالَ وَفِي كَفِّهِ مِثْلُ الَّذِي أَشْرَبُ مِنْ فِيهِ
الْوَرْدُ قَدْ أَيْنَعَ[٣] فِي وَجْنَتِي
قُلْتُ: فَمِي بِاللَّثْمِ[٤] يَجْنِيهِ

(١) الجزع بالفتح ويكسر: الخرز اليمانى، وشذور جمع شذر: القطعة من الذهب، فالكلام على المجاز أى أن كلامنا أشبه بالجزع، ونظمك الكلام أشبه بقطع الذهب.
(٢) بخبخ الرجل: قال بخ بخ (٣) أينع: احمر (٤) اللثم: التقبيل.

وَمِنْهُ :

يَقُولُونَ لِى فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا
رَأَوْا رَجُلًا فِى مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا[1]

أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ
وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا

وَمَا زِلْتُ مُنْحَازاً بِعِرْضِىَ جَانِباً
مِنَ الذَّمِّ أَعْتَدُّ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا

إِذَا قِيلَ هَذَا مَشْرَبٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحَ لِى يَسْتَفِزُّنِى
وَلَا كُلُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا
بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِىَ سُلَّمَا

وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِى خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِى
لِأَخْدُمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا

(١) أحجم : امتنع وعصى

أَأَشْقَى بِهِ غَرْساً وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
إِذَنْ فَابْتِيَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا ؟
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ تَعَظَّمَا
وَلَـكِنْ أَذَلُّوهُ جِهَاراً وَدَنَّسُوا
مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا (١)

وَمِنْهُ :

وَقَالُوا : اُضْطَرِبْ فِي الْأَرْضِ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ
فَقُلْتُ : وَلَـكِنْ مَطْلَبُ الرِّزْقِ ضَيِّقُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ حُرٌّ يُعِينُنِي
وَلَمْ يَكُ لِي كَسْبٌ فَمِنْ أَيْنَ أُرْزَقُ ؟

وَمِنْهُ :

أُحِبُّ اسْمَهُ مِنْ أَجْلِهِ وَسَمِيَّهُ
وَيَتْبَعُهُ فِي كُلِّ أَخْلَاقِهِ قَلْبِي
وَيَجْتَازُ بِالْقَوْمِ الْعِدَا ، فَأُحِبُّهُمْ
وَكُلُّهُمْ طَاوِي الضَّمِيرِ (٢) عَلَى حَرْبِي

(١) تجهم : بشع وقبح (٢) أی عاقد النية ومبيت العزم

وَمِنْهُ :

قَدْ بَرَّحَ الشَّوْقُ بِعُشَّاقِكْ فَأَوْلِهِ أَحْسَنَ أَخْلَاقِكْ

لَا تَجْفُهُ وَأَرْعَ لَهُ حَقَّهُ فَإِنَّهُ خَاتَمُ عُشَّاقِكْ

وَلِلْقَاضِي عِدَّةُ تَصَانِيفَ مِنْهَا : كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، كِتَابُ تَهْذِيبِ التَّارِيخِ . كِتَابُ الْوَسَاطَةِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَخُصُومِهِ ، وَفِي هَذَا الْكِتَابِ يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ نَيْسَابُورَ :

أَيَا قَاضِياً قَدْ دَنَتْ كُتْبُهُ

وَإِنْ أَصْبَحَتْ دَارُهُ شَاحِطَهْ[1]

كِتَابُ الْوَسَاطَةِ فِي حُسْنِهِ لِعِقْدِ مَعَالِيكَ كَالْوَاسِطَهْ

وَمِنْ شِعْرِهِ :

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى

صِرْتُ لِلْبَيْتِ وَالْكِتَابِ جَلِيسَا

لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ عِنْدِي مِنَ الْعِلْـ

ـمِ فَلِمْ أَبْتَغِي سِوَاهُ أَنِيسَا ؟

(١) شاحطة : بعيدة

إِنَّمَا الذُّلُّ فِي مُخَالَطَةِ النْـ
ـنَاسِ فَدَعْهُمْ وَعِشْ عَزِيزاً رَئِيسَا

وَمِنْ سَائِرِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقاً
عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا
عَلَيْكَ وَإِنْظَاراً إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلَتْ كُنْتَ الْغَنِيَّ وَإِنْ أَبَتْ
فَكُلُّ مَنُوعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُذْرِ

وَحَدَّثَ الثَّعَالِبِيُّ عَنْ أَبِي نَصْرٍ التَّهْذِيبِيِّ (١) قَالَ : سَمِعْتُ الْقَاضِيَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : انْصَرَفْتُ يَوْماً مِنْ دَارِ الصَّاحِبِ وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْعِيدِ فَجَاءَنِي رَسُولُهُ بِعِطْرِ الْفِطْرِ وَمَعَهُ رُقْعَةٌ بِخَطِّهِ فِيهَا هَذَانِ الْبَيْتَانِ :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ
مَعْ قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاقَهْ

(١) في الأصل : المهذبي ، وفي الثعالبي : التمري

أَهْدَيْتُ عِطْراً مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ
فَكَأَنَّمَا أُهْدِي لَهُ أَخْلَاقَهْ

قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ الصَّاحِبَ يُقْسِمُ لِي مِنْ إِقْبَالِهِ وَإِكْرَامِهِ بِجُرْجَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَلَقَّانِي بِهِ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ، وَقَدِ اسْتَعْفَيْتُهُ يَوْماً مِنْ فَرْطِ تَحَفِّيهِ بِي وَتَوَاضُعِهِ لِي فَأَنْشَدَنِي :

أَكْرِمْ أَخَاكَ بِأَرْضِ مَوْلِدِهِ وَأَمِدَّهُ مِنْ فِعْلِكَ الْحَسَنِ
فَالْعِزُّ مَطْلُوبٌ وَمُلْتَمَسٌ وَأَعَزُّهُ مَانِيلَ فِي الْوَطَنِ

ثُمَّ قَالَ : قَدْ فَرَغْتَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْعَيْنِيَّةِ ، فَقُلْتُ لَعَلَّ مَوْلَانَا يُرِيدُ قَوْلِي :

وَشَيَّدْتُ مَجْدِي بَيْنَ قَوْمِي فَلَمْ أَقُلْ
أَلَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ صَنِيعِي !

فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ غَيْرَهُ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ » .

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ : الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

حَسَنَةُ جُرْجَانَ وَفَرْدُ الزَّمَانِ، وَنَادِرَةُ الْفَلَكِ، وَإِنْسَانُ حَدَقَةِ الْعِلْمِ، وَدُرَّةُ تَاجِ الْأَدَبِ، وَفَارِسُ عَسْكَرِ الشِّعْرِ، يَجْمَعُ خَطَّ ابْنِ مُقْلَةَ إِلَى نَثْرِ الْجَاحِظِ وَنَظْمِ الْبُحْتُرِيِّ: وَيَنْظِمُ عِقْدَ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ فِي كُلِّ مَا يَتَعَاطَاهُ، «وَأَنْشَدَ بَيْتَ الصَّاحِبِ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُ» وَقَدْ كَانَ فِي صِبَاهُ خَلَفَ الْخَضِرَ فِي قَطْعِ عَرْضِ الْأَرْضِ وَتَدْوِيخِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَغَيْرِهِمَا، وَاقْتَبَسَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ مَا صَارَ بِهِ فِي الْعُلَمَاءِ عَلَمًا، وَفِي الْكَمَالِ عَالِمًا، ثُمَّ عَرَّجَ عَلَى حَضْرَةِ الصَّاحِبِ فَأَلْقَى بِهَا عَصَا الْمُسَافِرِ، فَاشْتَدَّ اخْتِصَاصُهُ بِهِ وَحَلَّ مِنْهُ مَحَلًّا بَعِيدًا فِي رِفْعَتِهِ، قَرِيبًا فِي أُسْرَتِهِ، وَسَيَّرَ فِيهِ قَصَائِدَ أَخْلَصَتْ عَلَى قَصْدٍ[1]، وَفَرَائِدَ[2] أَتَتْ مِنْ فَرْدٍ، وَمَا مِنْهَا إِلَّا صَوْبُ الْعَقْلِ[3] وَذَوْبُ[4] الْفَضْلِ، وَتَقَلَّدَ قَضَاءَ جُرْجَانَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ تَصَرَّفَتْ بِهِ أَحْوَالٌ فِي حَيَاةِ الصَّاحِبِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ مِنَ الْوِلَايَةِ وَالْعُطْلَةِ،

---

(١) أخلصت على قصد: دلت على الاخلاص دون الافراط (٢) فرائد الخ: أى ليس لها مثيل (٣) الصوب: الانصباب (٤) الذوب: الخالص

وَتَرَقَّى[١] مَحَلُّهُ إِلَى قَضَاءِ الْقُضَاةِ بِالرَّيِّ، فَلَمْ يَعْزِلْهُ إِلَّا مَوْتُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَعَرَضَ عَلَيَّ أَبُو نَصْرٍ الْمُصْعَبِيُّ كِتَابًا لِلصَّاحِبِ بِخَطِّهِ إِلَى حُسَامِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ تَاشٍ الْحَاجِبِ، فِي مَعْنَى الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ نُسْخَتُهُ بَعْدَ التَّصْدِيرِ وَالتَّشْبِيبِ: قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِي لِلْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِيمَا سَبَقَ إِلَى حَضْرَةِ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ صَاحِبِ الْجَيْشِ — دَامَ عُلُوُّهُ — مِنْ كُتُبِي مَا أَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُوَدِّ فِيهِ بَعْضَ الْحَقِّ وَإِنْ كُنْتُ دَلَلْتُهُ عَلَى جُمْلَةٍ تَنْطِقُ بِلِسَانِ الْفَضْلِ، وَتَكْشِفُ عَنْ أَنَّهُ مِنْ أَفْرَادِ الدَّهْرِ فِي كُلِّ قِسْمٍ مِنْ أَقْسَامِ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ، فَأَمَّا مَوْقِعُهُ مِنِّي: فَالْمَوْقِعُ الَّذِي تَخْطُبُهُ هَـذِهِ الْمَحَاسِنُ وَتُوجِبُهُ هَـذِهِ الْمَنَاقِبُ، وَعَادَتُهُ مَعِي أَلَّا يُفَارِقَنِي مُقِيمًا وَظَاعِنًا وَمُسَافِرًا وَقَاطِنًا، وَقَدِ احْتَاجَ الْآنَ إِلَى مُطَالَعَةِ جُرْجَانَ بَعْدَ أَنْ شَرَطْتُ عَلَيْهِ تَصْيِيرَ الْمُقَامِ كَالْإِلْمَامِ فَطَالَبَنِي مَكَانَهُ[٢] بِتَعْرِيفِ

(١) في اليتيمة « وأفضى » (٢) في اليتيمة : مكاتبتي

الْأَمِيرِ مَصْدَرَهُ وَمَوْرِدَهُ، فَإِنْ عَنَّ لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى عَرْضِهِ وَجَدَ مِنْ شَرَفِ إِسْعَافِهِ مَا هُوَ الْمُعْتَادُ مِنْ فَضْلِهِ، لِيَتَعَجَّلَ انْكِفَاؤُهُ[1] إِلَيَّ بِمَا رَسَمَ — أَدَامَ اللهُ أَيَّامَهُ — مِنْ مُظَاهَرَتِهِ عَلَى مَا يُقَدِّمُ الرَّحِيلَ وَيَفْسَحُ السَّبِيلَ مِنْ بَذْرَقَةٍ[2] إِنِ احْتَاجَ إِلَى الاسْتِظْهَارِ بِهَا، وَمُخَاطَبَةٍ لِبَعْضِ مَنْ فِي الطَّرِيقِ بِتَعَرُّفِ[3] النَّهْجِ فِيهَا، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ حُظُوظِي الْجَسِيمَةِ عِنْدَهُ تَعَهُّدَ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ بِمَا يُعَجِّلُ رَدَّهُ فَإِنِّي مَا غَابَ كَالْمُضِلِّ النَّاشِدِ، وَإِذَا عَادَ كَالْغَانِمِ الْوَاجِدِ، فَعَلَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَأَمَّا عَمِلَ الصَّاحِبُ رِسَالَتَهُ الْمَعْرُوفَةَ فِي إِظْهَارِ مَسَاوِئِ الْمُتَنَبِّي، عَمِلَ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ كِتَابَ الْوَسَاطَةِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَخُصُومِهِ فِي شِعْرِهِ، فَأَحْسَنَ وَأَبْدَعَ، وَأَطَالَ وَأَطَابَ، وَأَصَابَ شَاكِلَةَ[4] الصَّوَابِ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَمَدِ فِي فَصْلِ الْخِطَابِ، وَأَعْرَبَ[5] عَنْ تَبَحُّرِهِ فِي الْأَدَبِ وَعِلْمِ الْعَرَبِ،

(١) الانكفاء : الرجوع (٢) البذرقة : الخفارة فى الطريق (٣) فى اليتيمة : بتصرف (٤) أصاب شاكلة الصواب : أى أصاب وجه الصواب (٥) أعرب : أظهر

وَتَمَكُّنِهِ مِنْ جَوْدَةِ الْحِفْظِ وَقُوَّةِ النَّقْدِ ، فَسَارَ الْكِتَابُ مَسِيرَ الرِّيَاحِ ، وَطَارَ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ جَنَاحٍ .

وَقَالَ فِيهِ بَعْضُ النَّيْسَابُورِيِّينَ الْبَيْتَيْنِ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا

وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَنْثُرْ عَلَى خَدَّيَّ مِنْ وَرْدِكْ
أَوْ دَعْ فَمِي يَقْطِفْهُ مِنْ خَدِّكْ
إِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ
قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقَدَّ(١) مِنْ قَدِّكْ
وَقُلْ لِعَيْنَيْكَ — بِنَفْسِي هُمَا —
يُخَفِّفَانِ السُّقْمَ عَنْ عَبْدِكْ

وَلَهُ :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أُسَرُّ بِمَنْ دَنَا
مَخَافَةَ نَأْيٍ أَوْ حِذَارَ صُدُودِ
فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي تَقُولُ لِمُقْلَتِي
وَقَدْ قَرَّبُوا — خَوْفَ التَّبَاعُدِ — جُودِي.

(١) ينقد : ينشق

فَلَيْسَ قَرِيباً مَنْ يُخَافُ بِعَادُهُ   وَلَا مَنْ يُرَجَّى قُرْبُهُ بِبَعِيدِ

وَلَهُ يَسْتَطْرِدُ :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ زَمَنٍ ظَالِمٍ   لَيْسَ بِمُسْتَحْيٍ وَلَا رَاحِمِ ؟

يَفْعَلُ بِالْإِخْوَانِ أَحْدَاثُهُ   فِعْلَ الْهَوَى بِالدَّنِفِ[1] الْهَائِمِ

كَأَنَّمَا أَصْبَحَ يَرْمِيهِمُ   عَنْ جَفْنِ مَوْلَايَ أَبِي الْقَاسِمِ

وَقَالَ يَذْكُرُ بَغْدَادَ وَيَتَشَوَّقُهَا :

يَا نَسِيمَ الْجَنُوبِ[2] بِاللهِ بَلِّغْ   مَا يَقُولُ الْمُتَيَّمُ الْمُسْتَهَامُ

قُلْ لِأَحْبَابِهِ فِدَاكُمْ فُؤَادٌ   لَيْسَ يَسْلُو وَمُقْلَةٌ لَا تَنَامُ

بِنْتُمُ فَالرُّقَادُ عِنْدِي سُهَادٌ

مُذْ نَأَيْتُمْ وَالْعَيْشُ عِنْدِي لِمَامُ[3]

فَعَلَى الْكَرْخِ فَالْقَطِيعَةِ فَالشَّـ

ـطِّ فَبَابِ الشَّعِيرِ مِنِّي السَّلَامُ[4]

يَا دِيَارَ السُّرُورِ لَا زَالَ يَبْكِي

بِكِ فِي مَضْحَكِ الرِّيَاضِ غَمَامُ

---

(١) الدنف : الذى لازمه المرض ، والهائم : العاشق (٢) فى الحاشية : الشمال

(٣) فى الأصل « لمام » ومراده أن الحياة لديه إنما هي لمام وقليلة

(٤) هذه أمكنة ببغداد

رُبَّ عَيْشٍ صَحِبْتُهُ فِيكِ غَضٍّ
وَجُفُونُ الْخُطُوبِ عَنِّى نِيَامُ

فِي لَيَالٍ كَأَنَّهُنَّ أَمَانٌ مِنْ زَمَانٍ كَأَنَّهُ أَحْلَامُ

وَكَأَنَّ الْأَوْقَاتَ فِيهَا كُئُوسٌ دَائِرَاتٌ وَأُنْسُهُنَّ مُدَامُ

زَمَنٌ مُسْعِدٌ وَإِلْفٌ وَصُولٌ وَمُنًى يَسْتَلِذُّهَا الْأَوْهَامُ

كُلُّ أُنْسٍ وَلَذَّةٍ وَسُرُورٍ بَعْدَ مَا بِنْتُمْ عَلَيَّ حَرَامُ

وَلَهُ فِي ذَلِكَ :

سَقَى جَانِبَيْ بَغْدَادَ أَخْلَافُ مُزْنَةٍ
تُحَاكِي دُمُوعِي صَوْبَهَا وَانْحِدَارَهَا

فَلِي مِنْهُمَا قَلْبٌ شَجَانِي اشْتِيَاقُهُ
وَمُهْجَةُ نَفْسٍ مَا أَمَلُّ ادِّكَارَهَا

سَأَغْفِرُ لِلْأَيَّامِ كُلَّ عَظِيمَةٍ
لَئِنْ قَرَّبَتْ بَعْدَ الْبِعَادِ مَزَارَهَا

وَلَهُ فِي ذَلِكَ :

أَرَاجِعَةٌ تِلْكَ اللَّيَالِي كَعَهْدِهَا
إِلَى الْوَصْلِ أَمْ لَا يُرْتَجَى لِي رُجُوعُهَا ؟

وَصُحْبَةُ أَحْبَابٍ لَبِسْتُ لِفَقْدِهِمْ ثِيَابَ حِدَادٍ يُسْتَجَدُّ خَلِيعُهَا

إِذَا لَاحَ لِي مِنْ نَحْوِ بَغْدَادَ بَارِقٌ
تَجَافَتْ جُفُونِي وَاسْتَطِيرَ هُجُوعُهَا ؟

وَإِنْ أَخْلَفَتْهَا الْغَادِيَاتُ رُعُودَهَا[1]
تُكَلَّفُ تَصْدِيقَ الْغَمَامِ دُمُوعُهَا

سَقَى جَانِبَيْ بَغْدَادَ كُلُّ غَمَامَةٍ
يُحَاكِي دُمُوعَ الْمُسْتَهَامِ هُمُوعُهَا

مَعَاهِدُ مِنْ غِزْلَانِ أُنْسٍ تَحَالَفَتْ
لَوَاحِظُهَا أَلَّا يُدَاوَى صَرِيعُهَا

بِهَا تَسْكُنُ النَّفْسُ النَّفُورُ وَيَغْتَدِي
بِآنَسَ مِنْ قَلْبِ الْمُقِيمِ نَزِيعُهَا

يَحِنُّ إِلَيْهَا كُلُّ قَلْبٍ كَأَنَّمَا
يُشَادُ بِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ رُبُوعُهَا

فَكُلُّ لَيَالِي عَيْشِهَا زَمَنُ الصِّبَا
وَكُلُّ فُصُولِ الدَّهْرِ فِيهَا رَبِيعُهَا

---

(١) في الأصل : « وإن أخلفتها الناديات وعودها » وما أثبته كالذي في اليتيمة « عبد الخالق »

وَلَهُ فِی ذَلِكَ :

بِجَانِبِ الْكَرْخِ مِنْ بَغْدَادَ لِی سَكَنٌ
لَوْلَا التَّجَمُّلُ لَمْ أَنْفَكَّ أَنْدُبُهُ

وَصَاحِبٍ مَا صَحِبْتُ الصَّبْرَ مُذْ بَعُدَتْ
دِيَارُهُ وَأَرَانِی لَسْتُ أَصْحَبُهُ

فِی كُلِّ يَوْمٍ لِعَيْنِی مَا يُؤَرِّقُهَا
مِنْ ذِكْرِهِ وَلِقَلْبِی مَا يُعَذِّبُهُ

مَازَالَ يُبْعِدُنِی عَنْهُ وَأُتْبِعُهُ
وَيَسْتَمِرُّ عَلَى ظُلْمِی وَأُعْتِبُهُ

حَتَّى أَوَتْ[1] لِی النَّوَى مِنْ طُولِ جَفْوَتِهِ
وَسَهَّلَتْ لِی سَبِيلًا كُنْتُ أَرْهَبُهُ

وَمَا الْبِعَادُ دَهَانِی بَلْ خَلَائِقُهُ
وَلَا الْفِرَاقُ شَجَانِی بَلْ تَجَنُّبُهُ

وَلَهُ فِی التَّخَلُّصِ :

أَوَ مَا انْثَنَيْتَ عَنِ الْوَدَاعِ بِلَوْعَةٍ
مَلَأَتْ حَشَاكَ صَبَابَةً وَغَلِيلَا ؟

---

(١) فی اليتيمة : « لوت »

وَمَدَامِعٍ تَجْرِى فَتَحْسَبُ أَنَّ فِى
آمَاقِهِنَّ بَنَانَ إِسْمَاعِيلَا [١]

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِى الْأَمِيرِ شَمْسِ الْمَعَالِى قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ :

وَلَمَّا تَدَاعَتْ لِلْغُرُوبِ شُمُوسُهُمْ
وَقُمْنَا لِتَوْدِيعِ الْفَرِيقِ الْمُغَرِّبِ
تَلَقَّيْنَ أَطْرَافَ السُّجُوفِ [٢] بِمُشْرِقٍ
لَهُنَّ وَأَعْطَافَ الْخُدُورِ بِمُغْرِبِ
فَمَا سِرْنَ إِلَّا بَيْنَ دَمْعٍ مُضَيَّعٍ
وَلَا قُمْنَ إِلَّا بَيْنَ قَلْبٍ مُعَذَّبِ
كَأَنَّ فُؤَادِى قِرْنُ [٣] قَابُوسَ رَاعَهُ
تَلَاعُبُهُ بِالْفَيْلَقِ الْمُتَأَشِّبِ [٤]

(١) يريد أن فى الآماق يد إسماعيل الكريم الكثيرة العطاء فكثرة الدموع من ذلك . (٢) السجوف : الستائر ، والمشرق صفة لمحذوف : أى دمع مشرق من أشرقه بمعنى أغصه ، ومغرب صفة لمحذوف : أى قلب مبالغ فى الحزن . يريد أنهن عند الصعود وتلق السجوف بكين ، فلما صرن فى أعطاف الخدور حزنت قلوبهن فهى معذبة ، والبيت بعد يوضح ما قلنا . (٣) القرن : المنازل والقرين : الصاحب

(٤) الفيلق : الجيش ، المتأشب : المختلط فهو يصف فؤاده إذ يشتد خفقانه بقرن قابوس ومنازله إذا راعه ما يفعله قابوس بفيلقه المختلط الكثير فان قلبه يشتد اضطرابه . « عبد الخالق »

وَلَهُ فِي الصَّاحِبِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَمَا بَالُ هَذَا الدَّهْرِ يَطْوِي جَوَانِحِي
عَلَى نَفْسٍ مَحْزُونٍ وَقَلْبٍ كَئِيبِ
تُقَسِّمُنِي الْأَيَّامُ قِسْمَةَ جَائِرٍ
عَلَى نَضْرَةٍ مِنْ حَالِهَا وَشُحُوبِ
كَأَنِّي فِي كَفِّ الْوَزِيرِ رَغِيبَةٌ تُقَسَّمُ فِي جَدْوَى أَغَرَّ وَهُوبِ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الصَّاحِبِ :

وَلَا ذَنْبَ لِلْأَفْكَارِ أَنْتَ تَرَكْتَهَا
إِذَا احْتَشَدَتْ لَمْ يُنْتَفَعْ بِاحْتِشَادِهَا
سَبَقْتَ بِأَفْرَادِ الْمَعَانِي وَأَلَّفَتْ
خَوَاطِرُكَ الْأَلْفَاظَ بَعْدَ شِرَادِهَا
وَإِنْ نَحْنُ حَاوَلْنَا اخْتِرَاعَ بَدِيعَةٍ
حَصَلْنَا عَلَى مَسْرُوقِهَا وَمُعَادِهَا

وَلَهُ فِي الصَّاحِبِ مِنْ قَصِيدَةٍ يُهَنِّئُهُ بِالْبُرْءِ مِنَ الْمَرَضِ :

بِكَ الدَّهْرُ يُبْدِي ظِلَّهُ وَيَطِيبُ
وَيُقْلِعُ عَمَّا سَاءَنَا وَيَتُوبُ

وَنَحْمَدُ آثَارَ الزَّمَانِ وَرُبَّمَا
ظَلِلْنَا وَأَوْقَاتُ الزَّمَانِ ذُنُوبُ

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْمَكَارِمِ رَوْعَةٌ
لَهَا فِي قُلُوبِ الْمَكْرُمَاتِ وَجِيبُ؟[1]

تَقَسَّمَتِ الْعَلْيَاءُ جِسْمَكَ كُلَّهُ
فَمِنْ أَيْنَ فِيهِ لِلسَّقَامِ نَصِيبُ؟

إِذَا أَلِمَتْ نَفْسُ الْوَزِيرِ تَأَلَّمَتْ
لَهَا أَنْفُسٌ تَحْيَا بِهَا وَقُلُوبُ

وَوَاللهِ لَا لَاحَظْتُ وَجْهًا أُحِبُّهُ
حَيَاتِي وَفِي وَجْهِ الْوَزِيرِ شُحُوبُ

وَلَيْسَ شُحُوبًا مَا أَرَاهُ بِوَجْهِهِ
وَلَكِنَّهُ فِي الْمَكْرُمَاتِ نُدُوبُ[2]

فَلَا تَجْزَعَنْ تِلْكَ السَّمَاءُ تَغَيَّمَتْ
وَعَمَّا قَلِيلٍ تَبْتَدِي فَتَصُوبُ

تَهَلَّلَ وَجْهُ الْمَجْدِ وَابْتَسَمَ النَّدَى
وَأَصْبَحَ غُصْنُ الْفَضْلِ وَهُوَ رَطِيبُ

(١) الوجيب : الخفقان والرجف (٢) الندوب جمع ندبة : وهى أثر الجرح

فَلَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِمُلْكِكَ طَلْقَةً
وَلَا زَالَ فِيهَا مِنْ ظِلَالِكَ طِيبُ

وَلَهُ :

عَلَى مُهْجَتِي تَجْنِي الْحَوَادِثُ وَالدَّهْرُ
فَأَمَّا اصْطِبَارِي فَهُوَ مُمْتَنِعٌ وَعْرُ[1]
كَأَنِّي أُلَاقِي كُلَّ يَوْمٍ يَنُوبُنِي
بِذَنْبٍ وَمَا ذَنْبِي سِوَى أَنَّنِي حُرُّ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الزَّمَانِ سِوَى الَّذِي
أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا فَعِنْدِي لَهُ الصَّبْرُ
وَقَالُوا : تَوَصَّلْ بِالْخُضُوعِ إِلَى الْغِنَى
وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْخُضُوعَ هُوَ الْفَقْرُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمَالِ بَابَانِ حَرَّمَا
عَلَيَّ الْغِنَى : نَفْسِي الْأَبِيَّةُ وَالدَّهْرُ
إِذَا قِيلَ : هَذَا الْيُسْرُ عَايَنْتُ[2] دُونَهُ
مَوَاقِفَ خَيْرٌ مِنْ وُقُوفِي بِهَا الْعُسْرُ

(١) يريد أن صبره فى منعه فلا يمكن ضياعه ، وهو وعر على من يريد إضعافه .
(٢) فى اليتيمة : أبصرت

إِذَا قُدِّمُوا بِالْوَفْرِ قُدِّمْتُ قَبْلَهُمْ
بِنَفْسٍ فَقِيرٍ كُلُّ أَخْلَاقِهِ وَفْرُ (١)

وَمَاذَا عَلَى مِثْلِي إِذَا خَضَعَتْ لَهُ
مَطَامِعُهُ فِي كَفِّ مَنْ حَصَلَ التِّبْرُ (٢) ؟

وَلَهُ :

سَقَى الْغَيْثُ أَوْ دَمْعِي — وَقَلَّ كِلَاهُمَا —
لَهَا أَرْبُعًا ، جَوْرُ الْهَوَى بَيْنَهَا عَدْلُ

بِحَيْثُ اسْتَرَقَّ الدِّعْصُ وَانْبَسَطَ النَّقَى (٣)
وَحَيْثُ تَنَاهَى الْحِقْفُ (٤) وَانْقَطَعَ الرَّمْلُ

أُكَثِّرُ مِنْ أَوْصَافِهَا وَهِيَ وَاحِدٌ
وَلَكِنْ أَرَى أَسْمَاءَهَا فِي فَمِي تَحْلُو

وَفِي ذَلِكَ الْخِدْرِ الْمُكَلَّلِ ظَبْيَةٌ
لِكُلِّ فُؤَادٍ عِنْدَ أَجْفَانِهَا ذَحْلُ (٥)

---

(١) أى إذا تقدم الناس وظهروا بسبب الغنى ، كان ظهورى وتقدمي بأخلاق عظيمة (٢) مطامع جمع مطمع مصدر ميمى — وفى كف متعلق به .
(٣) الدعص : كثيب من الرمل ، النقى : القطعة من الرمل المحدودبة (٤) الحقف : ما اعوج من الرمل واستطال ، وكل هذا وصف لجسمها على حد قول الآخر :
كيف أسلو وأنت حقف وغصن . وغزال لحظا وقدا وردفا
(٥) الذحل : الثأر لأن نظراتها سيوف قاتلة « عبد الخالق »

إِذَا خَطَرَاتُ الرِّيحِ بَيْنَ سُجُوفِهَا
أَبَاحَتْ لِطَرْفِ الْعَيْنِ مَا حَظَرَ الْبُخْلُ

تَلَقَّتْ بِأَثْنَاءِ النَّصِيفِ(١) لَحَاظَنَا
وَقَالَتْ لِأُخْرَى : مَا لِمُسْتَهْتِرٍ عَقْلُ؟

أَفِى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَمْرَحُ طَرْفُهُ
وَأَعْدَاؤُنَا حُولٌ وَحُسَّادُنَا قُبْلُ(٢)؟

وَمَدَّتْ لِإِسْبَالِ السُّجُوفِ بَنَانَهَا
فَغَازَلَنَا عَنْهَا الشَّمَائِلُ وَالشَّكْلُ

﴿ ٨ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ * ﴾

على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان

ابْنِ بَنَّاء بْنِ حَاجِبِ النُّعْمَانِ ، أَبُو الْحَسَنِ . قَدْ ذَكَرْتُ مَعْنَى تَسْمِيَتِهِمْ بِحَاجِبِ النُّعْمَانِ فِى تَرْجَمَةِ أَبِيهِ ، وَلَهُ دِيوَانُ

(١) النصيف : الخمار وكل ما غطى الرأس ، تصفه بالاستهتار لأنه يلحظها وتستتر منه بالنصيف ولله النابغة إذ يقول :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

(٢) حول من الحول : وهو النظر بمؤخر العين ، والأصل فى الحول إقبال الحدقة على الأنف ، فهو يشبه المراقبين لهم بالحول ، والقبل من القبل : وهو إقبال السواد على الأنف عكس الحول ، قال فى القاموس : أو مثل الحول أو أحسن منه ، والغرض منه كالغرض من الحول أى المراقبة المختلسة .

« عبد الخالق »

(*) راجع تاريخ مدينة بغداد

شِعْرٍ كَبِيرُ الْحَجْمِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَكْتُبُ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ وَزِيرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَكَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ لِلطَّائِعِ لِلَّهِ ، ثُمَّ لِلْقَادِرِ بِاللَّهِ بَعْدَهُ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَخُوطِبَ بِرَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَخَدَمَ خَلِيفَتَيْنِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ ابْنُهُ أَبُو الْفَضْلِ مَكَانَهُ فَلَمْ يَسُدَّ مَسَدَّهُ فَعُزِلَ بَعْدَ شُهُورٍ .

وَحَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ بِحَمْدِيَّةَ قَالَ : لَمَّا قَبَضَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ حَاجِبِ النُّعْمَانِ وَاسْتَكْتَبَ أَبَا الْعَلَاءِ ابْنَ تُرَيْكٍ وَهِيَ النَّظَرُ وَقَلَّ رَوْنَقُهُ ، وَاتَّفَقَ أَنْ دَخَلَ يَوْمًا إِلَى الدِّيوَانِ فَوَجَدَ عَلَى مَخَادِّهِ قِطْعَةً مِنْ عَذِرَةٍ يَابِسَةٍ ، فَانْخَزَلَ وَتَلَاشَى أَمْرُهُ فَقُبِضَ عَلَيْهِ وَأُعِيدَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى رُتْبَتِهِ ، وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْعَلَاءِ مِنْ قَبْلُ مُمَاظَّةٌ(١) فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ، فَامْتَدَحْتُ أَبَا الْحَسَنِ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

---

(١) مماظة : مخاصمة ومشاتمة

زُمَّتْ رَكَائِبُهُمْ فَاسْتَشْعَرَ التَّلَفَا

حَتَّى بَلَغْتُ مِنْهَا إِلَى قَوْلِي :

يَامَنْ إِذَا مَارَآهُ الدَّهْرُ سَالَمَهُ

وَظَلَّ مُعْتَذِراً مِمَّا جَنَى وَهَفَا

قَدْ رَامَ غَيْرُكَ هَذَا الطَّرْفَ يَرْكَبُهُ

فَمَا اسْتَطَاعَ لَهُ جَرْياً بَلَى وَقَفَا

لَمْ يَرْجِعِ الطَّرْفُ عَنْهُ مِنْ تَبَظْرُمِهِ[1]

حَتَّى رَأَيْنَا عَلَى دَسْتٍ[2] لَهُ طُرَفَا

فَدَفَعَ إِلَيَّ صُورَةَ عَنْقَاءَ فِضَّةً مُذَهَّبَةً كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِيهَا طِيبٌ وَقَالَ : خُذْ هَذِهِ الطُّرْفَةَ فَإِنَّهَا أَطْرَفُ مِنْ طُرْفَتِكَ .

وَقَرَأْتُ فِي الْمُفَاوَضَةِ : حَدَّثَنِي الْوَزِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ عِيسَى ابْنُ مَاسَرْجِيسَ قَالَ : كُنْتُ أَخْلُفُ الْوَزَارَةَ بِبَغْدَادَ مُشَارِكاً لِأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَاجِبِ النُّعْمَانِ ، فَدَعَانِي يَوْماً إِلَى دَارِهِ بِبِرْكَةِ زَلْزَلٍ وَتَجَمَّلَ وَاحْتَشَدَ وَدَعَا بِكُلِّ مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِحِذْقٍ فِي الْغِنَاءِ مِنْ رِجَالٍ وَإِمَاءٍ مِثْلِ عُلَيَّةَ الْخَاقَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ نُظَرَائِهَا فِي الْوَقْتِ ، وَحَضَرَ

(١) أى من حمقه (٢) الدست : المجلس

القَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الأَزْرَقِ نَسِيبُهُ وَانْتَقَلْنَا مِنَ الطَّعَامِ إِلَى مَجْلِسِ الشَّرَابِ، فَلَمَّا دَارَتِ الكَأْسُ أَدْوَاراً قَالَ لِي: مَا أَرَاكَ تَحْلِفُ عَلَى القَاضِي لِيَشْرَبَ مَعَنَا وَيُسَاعِدَنَا وَإِنْ كَانَ لَا يَشْرَبُ إِلَّا قَارِصاً[1]. قُلْتُ: أَنَا غَرِيبٌ وَمُحْتَشِمٌ لَهُ وَأَمْرُهُ بِكَ أَمَسُّ وَأَنْتَ بِهِ أَخَصُّ. قَالَ: فَاسْتَدْعَى غُلَاماً وَقَالَ: امْضِ إِلَى إِسْحَاقَ الوَاسِطِيِّ وَاسْتَدْعِ مِنْهُ قَارِصاً وَتَوَلَّ خِدْمَةَ القَاضِي ـ أَيَّدَهُ اللهُ ـ، فَمَضَى الغُلَامُ وَغَابَ سَاعَةً ثُمَّ أَتَى وَمَعَهُ قُمَاسِيَّةٌ فِيهَا مِنَ الشَّرَابِ الصَّرِيفِينِيِّ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا إِلَّا أَنَّ عَلَى رَأْسِهَا كَاغَداً وَخَتْماً وَسَطْراً فِيهِ مَكْتُوبٌ: قَارِصٌ مِنْ دُكَّانِ إِسْحَاقَ الوَاسِطِيِّ. قَالَ: فَتَأَمَّلَهُ القَاضِي وَأَبْصَرَ الخَطَّ وَالخَتْمَ ثُمَّ أَمَرَ فَسُقِيَ رِطْلاً، فَلَمَّا شَرِبَهُ وَاسْتَوْفَاهُ قَالَ لِلْغُلَامِ: وَيْلَكَ مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا سَيِّدِي هَذَا قَارِصٌ. قَالَ لَا، بَلْ وَاللهِ الخَالِصُ، ثُمَّ ثَنَّى لَهُ وَثَلَّثَ، فَاضْطَرَبَ أَمْرُ القَاضِي عَلَيْنَا وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَلَا فَاسْقِنِي الصَّهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ الكَرْمِ
وَلَا تَسْقِنِي خَمْراً بِعِلْمِكَ أَوْ عِلْمِي

(١) القارص: النبيذ

أَلَيْسَتْ لَهَا أَسْمَاءٌ شَتَّى كَثِيرَةٌ

أَلَا فَاسْقِنِيهَا وَاُكْنِ عَنْ ذَلِكَ الْإِسْمِ ؟

فَكَانَ كُلَّمَا أَتَاهُ بِالْقَدَحِ سَأَلَهُ عَنْهُ فَيَقُولُ تَارَةً: مُدَامٌ، وَتَارَةً خَنْدَرِيسٌ[1] وَهُوَ يَشْرَبُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: خَمْرٌ حَرِدَ[2] وَاُسْتَخَفَّ بِهِ، فَيَتَوَارَى بِالْقَدَحِ سَاعَةً ثُمَّ يُعِيدُهُ وَيَقُولُ: هَذِهِ قَهْوَةٌ فَيَشْرَبُ بِهِ، فَلَمْ يَشْرَبِ الْقَاضِي إِلَّا بِمِقْدَارِ سِتَّةِ أَسْمَاءٍ أَوْ سَبْعَةٍ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ حَتَّى اُنْبَطَحَ فِي الْمَجْلِسِ وَلُفَّ فِي طَيْلَسَانٍ أَزْرَقَ عَلَيْهِ وَحُمِلَ إِلَى دَارِهِ

﴿ ٩ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْقَرَوِيُّ الْحُصَرِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ * ﴾

على بن عبد الغنى القروى

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ فَرْحَةِ الْأَنْفُسِ: « وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ غَالِبٍ الْغَرْنَاطِيُّ » يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالنَّحْوِ وَشَاعِراً مَشْهُوراً وَكَانَ ضَرِيراً، طَافَ الْأَنْدَلُسَ وَمَدَحَ مُلُوكَهَا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ عِنْدَ مَوْتِ أَبِيهِ الْمُعْتَضِدِ أَبِي عَمْرٍو عَبَّادِ بْنِ مُحَمَّدٍ:

---

(١) الخندريس: الخمر القديمة (٢) حرد: غضب

(*) راجع بغية الوعاة

مَاتَ عَبَّادٌ وَلَكِنْ بَقِيَ النَّجْلُ الْكَرِيمُ
فَكَأَنَّ الْمَيْتَ حَيٌّ غَيْرَ أَنَّ الضَّادَ مِيمُ[1]

وَمَدَحَ بَعْضَ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ فَغَفَلَ عَنْهُ إِلَى أَنْ حَفَزَهُ الرَّحِيلُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ :

مَحَبَّتِي تَقْتَضِي وِدَادِي وَحَالَتِي تَقْتَضِي الرَّحِيلَا
هَذَانِ خَصْمَانِ لَسْتُ أَقْضِي بَيْنَهُمَا خَوْفَ أَنْ أَمِيلَا
وَلَا يَزَالَانِ فِي اخْتِصَامٍ حَتَّى تَرَى رَأْيَكَ الْجَمِيلَا

وَدَخَلَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْنِ بْنِ صُمَادِحٍ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَكَلَّمَ الْمُعْتَصِمُ فِي أَمْرِهِ مَعَ وُزَرَائِهِ وَكُتَّابِهِ لِيَرَى رَأْيَهُمْ فِيهِ ، فَنُقِلَ إِلَيْهِ عَنِ الْكَاتِبِ أَبِي الْأَصْبَغِ بْنِ أَرْقَمَ كَلَامٌ أَحْفَظَهُ[2] ، فَانْصَرَفَ وَدَخَلَ عَلَى ابْنِ صُمَادِحٍ وَأَنْشَدَهُ :

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُعَظَّمْ لَا تُطِعِ الْكَاتِبَ ابْنَ أَرْقَمْ
لِأَنَّهُ حَيَّةٌ وَتَدْرِي مَا فَعَلَتْ بِأَبِيكَ آدَمْ

وَحَكَى أَبُو الْعَبَّاسِ الْبَلَنْسِيُّ الْأَعْمَى أَيْضاً عَنْهُ وَكَانَ

---

(١) يريد ضاد المعتضد فان بدلها ميما فى المعتمد . (٢) أى أغضبه

مِنْ تَلَامِيذِهِ ، وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ مُتَنَازَعَانِ بَيْنَهُمَا لَا أَدْرِي لِمَنْ مِنْهُمَا ؟ :

وَقَالُوا : قَدْ عَمِيتَ فَقُلْتُ : كَلَّا وَإِنِّي الْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ
سَوَادُ الْعَيْنِ زَادَ سَوَادَ قَلْبِي لِيَجْتَمِعَا عَلَى فَهْمِ الْأُمُورِ

وَذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ وَقَالَ : دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ بَعْدَ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ لَهُ :

وَلَمَّا تَمَايَلَ مِنْ سُكْرِهِ وَنَامَ دَبَبْتُ لِأَعْجَازِهِ
فَقَالَ وَمَنْ ذَا ؟ فَجَاوَبْتُهُ عَمٍ يَسْتَدِلُّ بِعُكَّازِهِ

﴿ ١٠ — عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
﴿ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ * ﴾

علي بن أبي طالب

« وَاسْمُ أَبِي طَالِبٍ عَبْدُ مَنَافٍ » بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ « وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَامِرٌ وَهُوَ شَيْبَةُ الْحَمْدِ لَقَبٌ لَهُ » ابْنِ هِشَامٍ « وَاسْمُهُ عَمْرٌو » بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ « وَهُوَ الْمُغِيرَةُ » بْنِ قُصَيٍّ « وَاسْمُهُ زَيْدٌ » بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ابْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ

(*) ترجم له في كتاب الأعلام جزء ثان

ابْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

أَخْبَارُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرَةٌ ، وَفَضَائِلُهُ شَهِيرَةٌ ، إِنْ تَصَدَّيْنَا لِاسْتِيعَابِهَا وَانْتِخَابِ مَحَاسِنِهَا كَانَتْ أَكْبَرَ حَجْماً مِنْ جَمِيعِ كِتَابِنَا هَذَا . مَاتَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَمُدَّةُ عُمُرِهِ فِيهَا خِلَافٌ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ ، وَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ جُمَلٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّارِيخِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَجَارِي أُمُورِهِ ، وَنُتْبِعُهَا بِذِكْرِ وَلَدِهِ وَمَنْ أَعْقَبَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُعْقِبْ ، وَذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا صَحَّ مِنْ شِعْرِهِ وَحِكَمِهِ .

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ النَّحْوَ وَسَنَّ الْعَرَبِيَّةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ « إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ » بِكَسْرِ اللَّامِ فِي رَسُولِهِ ، فَوَضَعَ النَّحْوَ وَأَلْقَاهُ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ ، وَقَدِ اسْتَوْفَيْنَا خَبَرَ ذَلِكَ فِي بَابِ أَبِي الْأَسْوَدِ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيِّ اللُّغَوِيِّ فِي كِتَابِ التَّهْذِيبِ لَهُ : قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْمَازِنِيُّ : لَمْ يَصِحَّ عِنْدَنَا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكَلَّمَ مِنَ الشِّعْرِ بِشَيْءٍ غَيْرَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

تِلْكُمْ قُرَيْشٌ تَمَنَّانِي لِتَقْتُلَنِي
وَلَا وَجَدِّكَ مَا بَرُّوا وَلَا ظَفِرُوا

فَإِنْ هَلَكْتُ فَرَهْنٌ ذِمَّتِي لَهُمُ
بِذَاتِ رَوْقَيْنِ لَا يَعْفُو لَهَا أَثَرُ

قَالَ: وَيُقَالُ: دَاهِيَةٌ ذَاتُ رَوْقَيْنِ، وَذَاتُ وَدْقَيْنِ : إِذَا كَانَتْ عَظِيمَةً . كَانَ قَدْ بُويِعَ لَهُ يَوْمَ قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَةُ الْجَمَلِ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ وَأَحَدٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَعِدَّةُ مَنْ قُتِلَ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ ، مِنْهُمْ مِنَ الْأَزْدِ خَاصَّةً أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، وَمِنْ ضَبَّةَ أَلْفٌ وَمِائَةٌ ، وَبَاقِيهِمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَقِيلَ : أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ . وَمِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ نَحْوُ أَلْفٍ . وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ

بَيْنَ وَقْعَةِ الْجَمَلِ وَالْتِقَائِهِ مَعَ مُعَاوِيَةَ بِصِفِّينَ سَبْعَةُ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْماً ، وَكَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ بِصِفِّينَ غُرَّةَ صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَاُخْتُلِفَ فِي عِدَّةِ أَصْحَابِهِمَا فَقِيلَ : كَانَ عَلِيٌّ فِي تِسْعِينَ أَلْفاً ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً ، وَقِيلَ : كَانَ مُعَاوِيَةُ فِي تِسْعِينَ أَلْفاً ، وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً ، وَهَذَا أَوْلَى بِالصِّحَّةِ . وَقُتِلَ بِصِفِّينَ سَبْعُونَ أَلْفاً : مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفاً ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفاً . وَقِيلَ : غَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْمُقَامُ بِصِفِّينَ مِائَةَ يَوْمٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَتِ الْوَقَائِعُ تِسْعِينَ وَقْعَةً ، وَبَيْنَ وَقْعَةِ صِفِّينَ وَالْتِقَاءِ الْحَكَمَيْنِ وَهُمَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ خَمْسَةُ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْماً ، وَبَيْنَ الْتِقَائِهِمَا وَخُرُوجِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْخَوَارِجِ بِنَهْرَوَانَ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُمْ سَنَةٌ وَشَهْرَانِ ، وَكَانَ الْخَوَارِجُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ مِنَ الْأَزْدِ ، وَلَيْسَ

بِرَاسِبِ بْنِ جَرْمِ بْنِ رِيَانٍ، وَلَيْسَ فِي الْعَرَبِ غَيْرُهُمَا، فَلَمَّا نَزَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تفرَّقوا فَبَقِيَ مِنْهُمْ أَلْفٌ وَثَمَانِمِائَةٍ، وَقِيلَ: أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ، فَقَتَلُوا إِلَّا نَفَراً يَسِيراً، وَكَانَ سَبَبُ تَفَرُّقِ الْخَوَارِجِ عَنْهُ، أَنَّهُمْ تَنَازَعُوا عِنْدَ الْإِحَاطَةِ بِهِمْ فَقَالُوا: أَسْرِعُوا الرَّوْحَةَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ وَلَعَلَّهَا إِلَى النَّارِ، فَقَالَ: مَنْ فَارَقَهُ، تُرَانَا نُقَاتِلُ مَعَ رَجُلٍ شَاكٍّ. وَبَيْنَ خُرُوجِهِ إِلَى الْخَوَارِجِ وَقَتْلِ ابْنِ مُلْجَمٍ لَهُ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى سَنَةٌ وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةُ أَيَّامٍ.

وَاخْتُلِفَ فِي مُدَّةِ عُمُرِهِ، فَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهُ اسْتُشْهِدَ وَلَهُ ثَمَانٌ وَسِتُّونَ سَنَةً فِي قَوْلِ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ أَسْلَمَ وَلَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ: سِتٌّ وَسِتُّونَ وَهُوَ قَوْلُ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ أَسْلَمَ وَلَهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ وَهُوَ قَوْلُ مَنْ يَرَى أَنَّهُ أَسْلَمَ وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ، وَقِيلَ: ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ وَهُوَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَلَهُ خَمْسُ سِنِينَ، وَهَذَا أَقَلُّ مَا قِيلَ فِي مِقْدَارِ عُمُرِهِ.

وَاخْتُلِفَ فِي مَوْضِعِ قَبْرِهِ، فَقِيلَ: بِالْغَرِيِّ[1] وَهُوَ الْمَوْضِعُ

(١) الغري أحد الغريين: وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر الامام علي

الْمَشْهُورُ الْيَوْمَ ، وَقِيلَ : بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ ، وَقِيلَ : بِرَحَبَةِ الْقَصْرِ بِهَا[١] وَقِيلَ : حُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدُفِنَ مَعَ فَاطِمَةَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا وَسَلَامُهُ ، وَكَانَ أَسْمَرَ عَظِيمَ الْبَطْنِ أَصْلَعَ أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ ، أَدْعَجَ عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا الْقَصِيرِ ، تَمْلَأُ لِحْيَتُهُ صَدْرَهُ ، لَا يُغَيِّرُ شَيْبَهُ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْبَنِينَ أَحَدَ عَشَرَ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ[٢] بْنُ الْحَنَفِيَّةِ — وَأُمُّهُ خَوْلَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ سَبِيَّةٌ — وَعُمَرُ — أُمُّهُ أُمُّ حَبِيبٍ الصَّهْبَاءُ بِنْتُ رَبِيعَةَ تَغْلِبِيَّةٌ ، — وَالْعَبَّاسُ — أُمُّهُ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ حِزَامِ بْنِ خَالِدٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ — ، وَعَبْدُ اللهِ يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، وَعُثْمَانُ وَجَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ الْأَصْغَرُ ، وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، وَعُبَيْدُ اللهِ وَيَحْيَى . الْمُعَقِّبُونَ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَعُمَرُ وَالْعَبَّاسُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَلَهُ مِنَ الْبَنَاتِ سِتَّ عَشْرَةَ : مِنْهُنَّ زَيْنَبُ وَأُمُّ كُلْثُومٍ الَّتِي تَزَوَّجَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَأُمُّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ

---

(١) الضمير يعود إلى الكوفة . (٢) من رأيي أن ابن الحنيفة تحذف ألف ابن ، وإن كانت الحنفية أمًّا له ، لأنه شهر بها ، وكثر استعمال نسبته إليها وسبب الحذف كثرة الاستعمال ومثله ابن مريم ، وابن الخطفي « عبد الخالق »

عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ ، فَالْعَقِبُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ زَيْدٍ وَالْحَسَنِ ، وَالْعَقِبُ لِزَيْدٍ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، وَالْعَقِبُ لِلْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ مِنْ جَعْفَرٍ وَدَاوُدَ وَعَبْدِ اللهِ وَالْحَسَنِ وَإِبْرَاهِيمَ . وَالْعَقِبُ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ مِنْ جَعْفَرٍ وَعَلِيٍّ وَعَوْنٍ وَإِبْرَاهِيمَ ، وَالْعَقِبُ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ عَبْدِ اللهِ ، وَلِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ عَوْنٍ ، وَلِعَوْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَلِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ .

فَأَمَّا أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ ، فَقَدْ ظَنَّ قَوْمٌ أَنَّهُ أَعْقَبَ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . وَالْعَقِبُ لِعُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ مُحَمَّدِ ابْنِ عُمَرَ ، وَالْعَقِبُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ لِعُمَرَ وَعَبْدِ اللهِ وَجَعْفَرٍ . وَالْعَقِبُ لِلْعَبَّاسِ مِنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَالْعَقِبُ لِعُبَيْدِ اللهِ مِنَ الْحُسَيْنِ وَعَبْدِ اللهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَجْمَعِينَ .

وَمِمَّا يُرْوَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ لِي فَضَائِلَ ، كَانَ أَبِي سَيِّدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَصِرْتُ مَلِكًا فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَنَا

صِهْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَكَاتِبُ الْوَحْيِ . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [١] : أَبِالفَضَائِلِ تَفْتَخِرُ عَلَيَّ يَابْنَ آكِلَةِ الأَكْبَادِ ؟ أُكْتُبْ إِلَيْهِ يَا غُلَامُ :

مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ أَخِي وَصِهْرِي ... وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي

وَجَعْفَرٌ الَّذِي يُضْحِي وَيُمْسِي ... يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّي

وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِي وَعِرْسِي ... مَشُوبٌ لَحْمُهَا بِدَمِي وَلَحْمِي

وَسِبْطَا [٢] أَحْمَدٍ وَلَدَايَ مِنْهَا ... فَأَيُّكُمُ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي [٣] ؟

سَبَقْتُكُمُ إِلَى الإِسْلَامِ طُرًّا [٤] ... صَغِيراً مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حُلْمِي [٥]

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَخْفُوا هَذَا الْكِتَابَ لَا يَقْرَؤُهُ أَهْلُ الشَّامِ فَيَمِيلُوا إِلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الأَمَالِي لِأَبِي الْقَاسِمِ الزَّجَّاجِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رُسْتَمَ الطَّبَرِيُّ صَاحِبُ

---

(١) يخيل إلى أن هذا الكتاب من الكتب الموضوعة ، فالأسلوب دليل ذلك ، وما كان علي يقول مثل هذا النثر أو هذا الشعر ، وللقارىء أن يحكم على قولي . (٢) السبط : ولد الولد ويغلب على ولد البنت (٣) السهم : النصيب والحظ (٤) طرا : جميعا (٥) وبعدها بيتان لم يذكرهما المصنف وهما :

وأوصاني النبي على اختيار ... ببيعته غداة غد برحم

فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يأتي الاله غدا بظلم

أَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سَلْمٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ ، أَوْ قَالَ :عَنْ جَدِّي عَنْ ابْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَرَأَيْتُهُ مُطْرِقاً مُفَكِّراً فَقُلْتُ : فِيمَ تُفَكِّرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ بِبَلَدِكُمْ هَذَا لَحْناً فَأَرَدْتُ أَنْ أَضَعَ كِتَاباً فِي أُصُولِ الْعَرَبِيَّةِ . فَقُلْتُ : إِنْ فَعَلْتَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْيَيْتَنَا وَبَقِيَتْ فِينَا هَذِهِ اللُّغَةُ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ فَأَلْقَى إِلَيَّ صَحِيفَةً فِيهَا :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : الْكَلَامُ كُلُّهُ اسْمٌ وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ ، وَالِاسْمُ مَا أَنْبَأَ عَنِ الْمُسَمَّى ، وَالْفِعْلُ مَا أَنْبَأَ عَنْ حَرَكَةِ الْمُسَمَّى ، وَالْحَرْفُ مَا أَنْبَأَ عَنْ مَعْنًى لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ . ثُمَّ قَالَ لِي : تَتَبَّعْهُ وَزِدْ فِيهِ مَا وَقَعَ لَكَ ، وَاعْلَمْ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ ثَلَاثَةٌ : ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ وَشَيْءٌ لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمَرٍ . قَالَ : فَجَمَعْتُ مِنْهُ أَشْيَاءَ وَعَرَضْتُهَا

عَلَيْهِ وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ حُرُوفُ النَّصْبِ ، فَكَانَ مِنْهَا إِنَّ وَأَنَّ وَلَيْتَ وَلَعَلَّ وَكَأَنَّ وَلَمْ أَذْكُرْ لَكِنَّ . فَقَالَ لِي: لِمَ تَرَكْتَهَا ؟ فَقُلْتُ: لَمْ أَحْسَبْهَا مِنْهَا . فَقَالَ : بَلْ هِيَ مِنْهَا فَزِدْهَا فِيهَا . قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْأَشْيَاءُ ثَلَاثَةٌ : ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ وَشَيْءٌ لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمَرٍ ، فَالظَّاهِرُ رَجُلٌ وَفَرَسٌ وَزَيْدٌ وَعَمْرٌو وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَالْمُضْمَرُ نَحْوُ ، أَنَا وَأَنْتَ وَالتَّاءُ فِي فَعَلْتُ وَالْيَاءُ فِي غُلَامِي وَالْكَافُ فِي ثَوْبِكَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَأَمَّا الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمَرٍ فَالْمُبْهَمُ ، نَحْوُ هَذَا وَهَذِهِ وَهَاتَا وَتَا وَمَنْ وَمَا وَالَّذِي وَأَيٌّ وَكَمْ وَمَتَى وَأَيْنَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

١١ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْقَزْوِينِيُّ *

علي بن عبد الملك القزويني

أَبُو طَالِبٍ النَّحْوِيُّ ، كَانَ أَبُوهُ أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَرُوَاةِ الْحَدِيثِ ، وَسَمِعَ أَبُو طَالِبٍ جَمَاعَةً مِنْهُمْ : مَهْرَوَيْهِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَطَّانُ . قَالَ الْخَلِيلِيُّ : وَهُوَ إِمَامٌ فِي شَأْنِهِ قَرَأْنَا عَلَيْهِ وَأَخَذَ عَنْهُ الْخَلْقُ ،

(*) راجع بغية الوعاة

وَمَاتَ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمائَةٍ. وَخَلَّفَ أَوْلَادًا صِغَارًا اشْتَغَلُوا بِمَا لَا يَعْنِيهِمْ فَقُتِلُوا. وَأَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ سَمِعَ الْحَدِيثَ لَكِنَّهُ كَانَ كَاتِبًا فَلَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ. وَأَبُو عَلِيٍّ ابْنُهُ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَقَرَأَ الْفِقْهَ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْكِتَابَةِ فَمَاتَ فِي الْغُرْبَةِ وَقَدِ انْقَطَعَ نَسْلُهُ.

﴿ ١٢ – عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيُّ * ﴾

على بن عبيدة الريحاني

أَحَدُ الْبُلَغَاءِ الْفُصَحَاءِ، مِنَ النَّاسِ مَنْ يُفَضِّلُهُ عَلَى الْجَاحِظِ، فِي الْبَلَاغَةِ وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ مَاتَ «أُخْلِيَ مَكَانُهُ»

(*) ترجم له فى تاريخ بغداد جزء ١٢ صفحة ١٨ بما يأتى قال :

كان كثير الفضل، مليح اللفظ ، حسن العبارة . وله كتب حسان فى الحكم والأمثال وكان له اختصاص بالمأمون .

روى عنه أحمد بن أبى طاهر وغيره . أخبرنا الجوهرى ، أخبرنا محمد بن عمران بن موسى ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن أبى سعيد ، حدثنا أحمد بن أبى طاهر ، حدثنا على ابن عبيدة الريحانى قال : التقى أخوان يتوددان ، فقال أحدهما لصاحبه .كيف ودك لى ؟ فقال : حبك متوشج بفؤادى ، وذكرك سمير سهادى . فقال الآخر : أما أنا فأوجز فى وصفى ، ما أحب أن يقع على سواك طرفى . قال ابن أبى طاهر : وكنت عنده يوما ـ يعنى عند على بن عبيدة — فورد عليه كتاب أم محمد ابنة المأمون ، فكتب جواب الكتاب ثم أعطانى القرطاس فقال : اقطعه . فقلت : وما لك لا تقطعه أنت ؟ فقال . ما قطعت شيئاً قط . أخبرنا الحسن بن الحسين النعالى ، أخبرنا أحمد بن نصر الذارع ، حدثنا محمد بن خلف ، حدثنا أحمد بن أبى طاهر قال : قال على بن عبيدة الريحانى : المودة مستفادة ، أخبرنا أبو بشر محمد بن عمر الوكيل ، حدثنا محمد بن عمران المرزبانى ، حدثنى

وَكَانَ لَهُ ٱخْتِصَاصٌ بِالْمَأْمُونِ وَيَسْلُكُ فِي تَأْلِيفَاتِهِ وَتَصْنِيفَاتِهِ طَرِيقَةَ الْحِكْمَةِ ، وَكَانَ يُرْمَى بِالزَّنْدَقَةِ ، وَلَهُ مَعَ الْمَأْمُونِ أَخْبَارٌ مِنْهَا : أَنَّهُ كَانَ بِحَضْرَةِ الْمَأْمُونِ يَجْمِشُ[1] غُلَامًا فَرَآهُمَا الْمَأْمُونُ فَأَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ هَلْ عَلِمَ عَلِيٌّ أَمْ لَا ؟ فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ ؟ فَأَشَارَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ أَيْ خَمْسَةٌ وَتَصْحِيفُ خَمْسَةٍ جَمْشَةٌ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْفِطْنَةِ وَالذَّكَاءِ .

وَقَالَ جَحْظَةُ فِي أَمَالِيهِ : حَدَّثَنِي أَبُو حَرْمَلَةَ قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيُّ : حَضَرَنِي ثَلَاثَةُ تَلَامِيذَ لِي فَجَرَى لِي كَلَامٌ حَسَنٌ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : حَقُّ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ يُكْتَبَ بِالْغَوَالِي عَلَى خُدُودِ الْغَوَانِي[2] . وَقَالَ الْآخَرُ : بَلْ

— أحمد بن محمد الجوهري ، حدثنا أحمد بن محمد بن أبي الذيال قال : قلت لأبي الحسن علي بن عبيدة الريحاني : القول « زر غباً تزدد حباً » فقال لي : يا أبا علي ، هذا مثل للعامة ، يجفو عن الخاصة . قال الحكيم : بكثرة زيادة الثقة تحوز المقة : قال ابن أبي الذيال : فحدثت إبراهيم بن الجنيد فقال : أحسن والله وكتبه عني ، أخبرنا البرقاني ، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي ، أخبرنا محمد بن إسحاق السراج قال : سمعت أحمد بن الفتح قال : سمعت علي بن عبيدة الريحاني يقول : لولا لهب من الحرص ينشأ في القلوب ولا يملك الاعتبار إطفاء توقده ، ما كان في الدنيا عوض من يوم يضيع فيها يمكن فيه العمل الصالح .

(١) جمشه : قرصه ولاعبه (٢) الغوالي : جمع غالية: وهي الطيب. والغواني : الحسان

حقه أن يكتب بأنامل الحور على النور. وقال الآخر: بل حقه أن يكتب بقلم الشكر في ورق النعم. ومن مستحسن أخباره المطربة أنه قال: أتيت باب الحسن ابن سهل فأقمت ببابه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل فكتبت إليه:

مدحت ابن سهل ذا الأيادي وما له
بذاك يد عندي ولا قدم بعد

وما ذنبه والناس إلا أقلهم
عيال[1] له إن كان لم يك لي جد

سأحمده للناس حتى إذا بدا
له في رأي عاد لي ذلك الحمد

فبعث إلي: «باب السلطان يحتاج إلى ثلاث خلال: مال وعقل وصبر» فقلت للواسطة: تؤدي عني؟ قلت تقول له: «لو كان لي مال لأغناني عن الطلب منك، أو صبر لصبرت على الذل ببابك، أو عقل لاستدللت به على النزاهة عن رفدك[2]»، فأمر لي بثلاثين ألف درهم.

(١) عيال الرجل: عشيرته وأولاده الذين تلزمه نفقتهم (٢) الرفد: العطاء والمعونة

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِى الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بُرْدٍ الْخَبَّازِ: أَخْبَرَنِى أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ طَاهِرٍ قَالَ: كُنْتُ فِى مَجْلِسِ بَعْضِ أَصْدِقَائِى يَوْماً وَكَانَ مَعِى عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيُّ فِى الْمَجْلِسِ، وَفِى الْمَجْلِسِ جَارِيَةٌ كَانَ عَلِيٌّ يُحِبُّهَا فَجَاءَ وَقْتُ الظُّهْرِ فَقُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلِيٌّ وَالْجَارِيَةُ فِى الْحَدِيثِ، فَأَطَالَ حَتَّى كَادَتِ الصَّلَاةُ تَفُوتُ، فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ: قُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَارِيَةِ وَقَالَ: حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، أَىْ حَتَّى تَقُومَ الْجَارِيَةُ. قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِ جَوَابِهِ وَسُرْعَتِهِ وَكِنَايَتِهِ. وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ:

كِتَابُ الْمَصُونِ، كِتَابُ التَّدَرُّجِ، كِتَابُ رَائِدِ الْوُدِّ، كِتَابُ الْمُخَاطَبِ، كِتَابُ الطَّارِفِ، كِتَابُ الْهَاشِمِيِّ، كِتَابُ النَّاشِىءِ، كِتَابُ الْمُوَشَّحِ، كِتَابُ الْجِدِّ، كِتَابُ شَمْلِ الْأُلْفَةِ، كِتَابُ الزِّمَامِ، كِتَابُ الْمُتَحَلِّى، كِتَابُ الصَّبْرِ، كِتَابُ سَبَارِيهَا، كِتَابُ مِهْرَزَادَ خَشِيشَ، كِتَابُ صِفَةِ الدُّنْيَا، كِتَابُ رُوشَنَائِدْل، كِتَابُ سَفَرِ الْجَنَّةِ، كِتَابُ الْأَنْوَاعِ، كِتَابُ الْوَشِيجِ، كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَمَالِ،

كِتَابُ أَدَبِ جَوَانَشِيرَ، كِتَابُ شَرْحِ الْهَوَى، كِتَابُ الطَّارِسِ[1] كِتَابُ الْمُسَجَّى ، كِتَابُ أَخْلَاقِ هَارُونَ ، كِتَابُ الْأَسْنَانِ ، كِتَابُ الْخُطَبِ ، كِتَابُ النَّاجِمِ ، كِتَابُ صِفَةِ الْفَرَسِ . كِتَابُ النَّبِيهِ ، كِتَابُ الْمَشَاكِلِ ، كِتَابُ فَضَائِلِ إِسْحَاقَ ، كِتَابُ صِفَةِ الْمَوْتِ ، كِتَابُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، كِتَابُ الْيَأْسِ وَالرَّجَاءِ ، كِتَابُ صِفَةِ الْعُلَمَاءِ ، كِتَابُ أَنِيسِ الْمَلِكِ . كِتَابُ الْمُؤَمَّلِ وَالْمَهِيبِ ، كِتَابُ وَرُودٍ وَوَدُودٍ الْمَلِكَتَيْنِ ، كِتَابُ النَّمْلَةِ وَالْبَعُوضَةِ ، كِتَابُ الْمُعَاقَبَاتِ ، كِتَابُ مَدْحِ النَّدِيمِ ، كِتَابُ الْجُمَلِ ، كِتَابُ خُطَبِ الْمَنَابِرِ ، كِتَابُ النِّكَاحِ ، كِتَابُ الْإِيقَاعِ ، كِتَابُ الْأَوْصَافِ ، كِتَابُ امْتِحَانِ الدَّهْرِ ، كِتَابُ الْأَجْوَادِ ، كِتَابُ الْمُجَالَسَاتِ ، كِتَابُ الْمُنَادَمَاتِ .

قَالَ : سَأَلَ الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ وَثُمَامَةَ بْنَ أَشْرَسَ وَعَلِيَّ بْنَ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيَّ عَنِ الْعِشْقِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : الْعِشْقُ ارْتِيَاحٌ فِي الْخِلْقَةِ ، وَفِكْرَةٌ تَجُولُ فِي الرُّوحِ ، وَسُرُورٌ مُنْشَؤُهُ الْخَوَاطِرُ ، لَهُ مُسْتَقَرٌّ غَامِضٌ ، وَمَحَلٌّ

(١) في الفهرست . الطاوس

لَطِيفُ الْمَسَالِكِ، يَتَّصِلُ بِأَجْزَاءِ الْقُوَى، يَنْسَابُ فِي الْحَرَكَاتِ.
وَقَالَ يَحْيَى: الْعِشْقُ سَوَانِحُ تَسْنَحُ لِلْمَرْءِ فَيَهْتَمُّ لَهَا وَيُؤْثِرُهَا.
قَالَ ثُمَامَةُ: يَا يَحْيَى، إِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تُجِيبَ فِي مَسْأَلَةٍ فِي الطَّلَاقِ أَوْ عَنْ مُحْرِمٍ يَصْطَادُ ظَبْيًا، وَأَمَّا هَذِهِ فَمَسْأَلَتُنَا. قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: فَمَا الْعِشْقُ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: إِذَا تَقَادَمَتْ جَوَاهِرُ النُّفُوسِ بِوَصْفِ الشَّاكِلَةِ[1] أَحْدَثَتْ لَمْعَ بَرْقٍ سَاطِعٍ تَسْتَضِيءُ بِهِ نَوَاظِرُ الْعُقُولِ، وَتُشْرِقُ لَهُ طَبَائِعُ الْحَيَاةِ فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ الْبَرْقِ نُورٌ خَاصٌّ بِالنَّفْسِ مُتَّصِلٌ بِجَوْهَرِيَّتِهَا يُسَمَّى عِشْقًا. قَالَ الْمَأْمُونُ: يَا ثُمَامَةُ أَحْسَنْتَ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ[2].

﴿١٣ – عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الدَّقَّاقِ *﴾

علی بن عبید الله الدقیق

أَبُو الْقَاسِمِ الدَّقِيقِيُّ النَّحْوِيُّ. أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، أَخَذَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ

(١) لعله: «بوصف المشاكلة» (٢) وربك لا أدری ما سبب أحسنت يا ثمامة، فانه كلام من جنس كلام الفلاسفة إذا أرادوا الاغراب ليظن الناس أن مستواهم العقلی فوق عقول السامعين «عبد الخالق»

(*) راجع بغية الوعاة

وَأَبِي الْحَسَنِ الرُّمَّانِيِّ، وَكَانَ مُبَارَكًا فِي التَّعْلِيمِ، تَخَرَّجَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِحُسْنِ خُلُقِهِ وَسَجَاحَةِ سِيرَتِهِ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَمَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ هِلَالُ ابْنُ الْمُحَسِّنِ فِي تَارِيخِهِ، فِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا: كِتَابُ شَرْحِ الْإِيضَاحِ رَأَيْتُهُ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ، وَأَنَا أَظُنُّهُ شَرْحَ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ السِّمْسِمِيِّ لِأَنَّهُ مَحْشُوٌّ بِقَوْلِهِ: قَالَ السِّمْسِمَانِيُّ. وَمَا أَدْرِي الدَّقَّاقَ مِمَّنْ أَخَذَ عَنِ السِّمْسِمَانِيِّ وَهُوَ أَكْبَرُ سِنًّا مِنْهُ، وَمَشَايِخُهُمَا وَوَفَاتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَكِنِ اشْتَبَهَ الِاسْمُ فَنُسِبَ إِلَى هَذَا لِشُهْرَتِهِ بِالنَّحْوِ. وَلِلدَّقِيقِيِّ أَيْضًا كِتَابُ شَرْحِ الْجَرْمِيِّ كِتَابُ الْعَرُوضِ رَأَيْتُهُ، كِتَابُ الْمُقَدِّمَاتِ.

وَذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو الْمَحَاسِنِ بْنُ مِسْعَرٍ قَالَ: أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الدَّقِيقِيُّ صَاحِبُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الرُّمَّانِيِّ، قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ قِرَاءَةَ تَفَهُّمٍ، وَأَخَذَ بِذَلِكَ خَطَّهُ عَلَيْهِ وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ، وَعَنْهُ أَخَذْتُ، وَعَلَى رِوَايَتِهِ عَوَّلْتُ.

﴿ ١٤ – عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ السَّمْسَمِيُّ (١) * ﴾

علي بن عبيد الله السمسمي

أَبُو الْحَسَنِ اللُّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ . كَانَ جَيِّدَ الْمَعْرِفَةِ بِفُنُونِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ ، صَحِيحَ الْخَطِّ غَايَةً فِي إِتْقَانِ الضَّبْطِ ، قَرَأَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ . وَكَانَ ثِقَةً فِي رِوَايَتِهِ ، مَاتَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ الْقَادِرِ بِاللهِ .

حَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بُرْهَانٍ النَّحْوِيُّ قَالَ : قَالَ لَنَا أَبُو الْحَسَنِ السَّمْسَمِيُّ — وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ مَسْأَلَةً مِنْ مَسَائِلِ النَّوْكَى (٢) — وَحَضَرَ مَجْلِسَ أَبِي عُبَيْدَةَ رَجُلٌ فَقَالَ : — رَحِمَكَ اللهُ — أَبَا عُبَيْدَةَ مَا الْعَنْجِيدُ ؟ قَالَ : — رَحِمَكَ اللهُ — مَا أَعْرِفُ هَذَا ، قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ عَنْ قَوْلِ الْأَعْشَى ؟ :

يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قُتَيْلَةُ عَنْ جِيـ ـدٍ تَلِيعٍ يَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ (٣)

---

(١) ضبطه ابن خلكان بكسر السين : نسبة إلى البقلة المعروفة ولم يعلل لتلك النسبة ، وقد ضبطناه بالفتح كما في الترجمة نسبة إلى سمسم التي ضبطها ياقوت في معجم البلدان بفتح أوله وثالثه (٢) النوكى : الحمق (٣) جيد تليع : عنق طويل، والطوق : حلي العنق

(*) ترجم له في بغية الوعاة

فَقَالَ : ـ عَافَاكَ اللهُ ـ عَنْ حَرْفٍ جَاءَ لِمَعْنًى . وَالْجِيدُ : الْعُنُقُ .

ثُمَّ قَامَ آخَرُ فِي الْمَجْلِسِ فَقَالَ : أَبَا عُبَيْدَةَ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ مَا الْأَوْدَعُ ؟ قَالَ : ـ عَافَاكَ اللهُ ـ مَا أَعْرِفُهُ . قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ أَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَوْلِ الْعَرَبِ زَاحِمْ بِعُودٍ أَوْدَعْ ؟ فَقَالَ : وَيْحَكَ ، هَاتَانِ كَلِمَتَانِ . وَالْمَعْنَى أَوِ اتْرُكْ أَوْ ذَرْ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللهَ وَجَعَلَ يَدْرُسُ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ أَخْبِرْنِي عَنْ كُوفَا ، أَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَمْ مِنَ الْأَنْصَارِ ؟ قَالَ : قَدْ رَوَيْتُ أَنْسَابَ الْجَمِيعِ وَأَسْمَاءَهُمْ وَلَسْتُ أَعْرِفُ فِيهِمْ كُوفَا . قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ؟ : «وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا» . قَالَ : فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ نَعْلَيْهِ وَاشْتَدَّ سَاعِيًا فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : مِنْ أَيْنَ حُشِرَتِ(١) الْبَهَائِمُ عَلَيَّ الْيَوْمَ ؟ . وَرَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَزْعُمُونَ أَنَّ النِّسْبَةَ إِلَى السَّمْسَمِيِّ وَالسَّمْسَمَانِيِّ وَاحِدٌ يُقَالُ هَذَا وَيُقَالُ هَذَا . وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ هَذَا مَلِيحَ الْخَطِّ صَحِيحَ الضَّبْطِ حُجَّةً فِيمَا يَكْتُبُهُ ، وَمِنْ هَذَا الْبَيْتِ جَمَاعَةٌ كُتَّابٌ مُجِيدُونَ نَذْكُرُ مِنْهُمْ فِي مَوَاضِعِهِمْ مَنْ يَقَعُ إِلَيْنَا حَسَبَ الطَّاقَةِ .

---

(١) حشرت : جمعت

وَحَدَّثَ غَرْسُ النِّعْمَةِ بْنُ الصَّابِئِ فِي كِتَابِ الْهَفَوَاتِ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ السَّمْسَانِيُّ مُتَطَيِّراً فَخَرَجَ يَوْمَ عِيدٍ مِنْ دَارِهِ فَلَقِيَهُ بَعْضُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ مُهَنِّئاً : عَرَّفَ اللهُ سَيِّدَنَا الشَّيْخَ بَرَكَةَ هَـذَا الْيَوْمِ فَقَالَ : وَإِيَّاكَ يَاسَيِّدِي ، وَعَادَ فَأَغْلَقَ بَابَهُ وَلَمْ يَخْرُجْ يَوْمَهُ (١) . وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ السَّمْسَمِيِّ :

دَعْ مُقْلَتِي تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَرْبَعِ ... إِنَّ الْبُكَاءَ شِفَاءُ قَلْبِ الْمُوجَعِ

وَدَعِ الدُّمُوعَ تَكُفُّ (٢) جَفْنِي فِي الْهَوَى ... مَنْ غَابَ عَنْهُ حَبِيبُهُ لَمْ يَهْجَعِ

وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَيْكَ حَتَّى رَقَّ لِي ... مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُنِي وَبَكَى مَعِي

وَوَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِي الْحَسَنِ السَّمْسَانِيِّ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِ الْمُزَنِيِّ (٣) صَاحِبِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللهُ (٤) أَنَّهُ كَانَ كَثِيراً مَا يَتَمَثَّلُ :

---

(١) لعله فهم أن من مات في هذا اليوم كان مغفورا له ، أي أنه ميت .

(٢) تكف من باب نصر لازم ومتعد ، لجفني مفعول به . (٣) نسبة إلى مزينة كجهينة جاء في القاموس : أن مزن كقفل : بلدة ولكن هذا ليس منها .

(٤) لعل كلمة أنه ساقطة من هذا الأصل .

يَصُونُ الْفَتَى أَثْوَابَهُ حَذَرَ الْبِلَى
وَنَفْسُكَ أَحْرَى يَافَتَى لَوْ تَصُونُهَا

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْعَاكَ بِالْغَيْبِ أَوْ يَرَى
لِنَفْسِكَ إِكْرَاماً وَأَنْتَ تُهِينُهَا ؟

قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ النَّحْوِيِّ ، أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْزَقِيُّ الْفَرَضِيُّ ، أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ، أَنْشَدَنَا عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِاللهِ السَّمْسَمِيُّ النَّحْوِيُّ :

أَتُرَى الْجِيرَةَ الَّذِينَ تَنَادَوْا بُكْرَةً لِلْزِّيَالِ قَبْلَ الزَّوَالِ ؟
عَلِمُوا أَنَّنِي مُقِيمٌ وَقَلْبِي مَعَهُمْ رَاحِلٌ[1] أَمَامَ الْجِمَالِ
مِثْلُ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحُلِ الْقَوْمِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَافِي الرِّحَالِ

﴿ ١٥ — عَلِيُّ بْنُ عَسَاكِرَ بْنِ الْمُرَحَّبِ * ﴾

على بن عساكر البطائحى

أَبُو الْحَسَنِ الْمُقْرِىءُ النَّحْوِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِالْبَطَائِحِيِّ الضَّرِيرِ ، كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَهُوَ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْبَطَائِحِ تُعْرَفُ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ قَرِيبَةٍ مِنَ الصَّلِيقِ ،

(١) كانت فى الأصل « واحد »

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة .

مَاتَ بِبَغْدَادَ فِي ثَامِنَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ بَغْدَادَ وَاسْتَوْطَنَهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى أَبِي الْعِزِّ الْقَلَانِسِيِّ الْوَاسِطِيِّ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَارِعِ بْنِ الدَّبَّاسِ ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْمَرْزَقِيِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ بِنْتِ الشَّيْخِ . وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلَى الْبَارِعِ وَغَيْرِهِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ جَمَاعَةٍ . وَأَقْرَأَ النَّاسَ مُدَّةً وَحَدَّثَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا . قَالَ صَدَقَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَدَّادِ فِي تَارِيخِهِ : كَانَ سَبَبُ وَفَاةِ الْبَطَائِحِيِّ أَنَّهُ ظَهَرَ بِهِ بَاصُورٌ مِمَّا يَلِي تَحْتَ كَتِفِهِ فَبَقِيَ بِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً يَنِزُّ إِلَى خَارِجِ الْبَدَنِ ، ثُمَّ انْفَتَحَ إِلَى بَاطِنِهِ فَهَلَكَ بِهِ ، وَأَوْصَى لِطُغَنْدِيَّ صَاحِبِهِ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وَيُقَرِّبُهُ مِنْ جِهَةِ النِّسَاءِ بِثُلُثِ مَالِهِ ، وَوَقَفَ كُتُبَهُ عَلَى مَدْرَسَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلِيِّ ، وَخَلَّفَ مِقْدَارَ أَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ وَدَاراً فِي دَارِ الْخِلَافَةِ .

﴿ ١٦ — عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ * ﴾

علی بن علی البرقی

أَبُو الْحَسَنِ الْبَرْقِيُّ . قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْفَضْلِ الْمَقْدِسِيُّ : فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ مَاتَ عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو الْحَسَنِ الْبَرْقِيُّ النَّحْوِيُّ الشَّاعِرُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَ ذَلِكَ .

﴿ ١٧ — عَلِيُّ بْنُ عَرَّاقٍ الصَّنَّارِيُّ * ﴾

علی بن عراق الصناری

أَبُو الْحَسَنِ الْخُوَارِزْمِيُّ ، مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِمُذَانَةَ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى خُوَارِزْمَ ، ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَرْسَلَانَ فِي تَارِيخِ خُوَارِزْمَ وَقَالَ : كَانَ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا عَرُوضِيًّا فَقِيهاً مُفَسِّراً مَذْكُوراً ، قَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ الضَّرِيرِ النَّيْسَابُورِيِّ ، وَالْفِقْهَ بِخُوَارِزْمَ عَلَى الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْوَبَرِيِّ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ فِي الْفِقْهِ إِلَى بُخَارَى فَتَفَقَّهَ بِهَا عَلَى مَشَايِخِهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى جُرْجَانِيَّةِ خُوَارِزْمَ فَتَكَلَّمَ فِي مَسَائِلَ مَعَ أَئِمَّتِهَا ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى قَرْيَةِ مُذَانَةَ وَتَوَطَّنَهَا ، وَكَانَ يَعِظُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِهَا غَدَاةَ الْجُمُعَةِ ،

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

وكان يحفظ اللغات الغريبة[١] والأشعار العويصة ، وصنّف كتاب شماريخ الدرر في تفسير القرآن ، ولمّا فرغ منه كتب في آخره :

فرغنا من كتابته عشيًّا وكان الله في عوني وليّا
وقد أدرجته نكتًا حسانًا ومعنى يشبه الرّطب الجنيّا

قال : وقرأت بخطّ أبي عمرو البقّال : كان من لطائف الصّنّاريّ إذا نام واحد من أهل الرّستاق في مجلسه ناداه من على المنبر بأعلى صوته : يأيّها التّيس المذانيّ ، اترك المنام واسمع الكلام ، ثمّ ينشده :

وصاحب نبّهته لينهضا إذا الكرى في عينه تمضمضا
فقام عجلان[٢] وما تأرّضا[٣] وثمّ[٤] بالكفّين وجهًا أبيضا

ثمّ يقول تمضمض من النّعاس : إذا دبّ في عينه ، ومنه المضمضة في الوضوء ، سمّيت بذلك لأنّ الغاسل يمضمض الماء في فمه : أي يديره ويجريه[٥] فيه .

---

(١) في الأصل : « العربية » (٢) العجلان : السريع (٣) تأرض : تثاقل إلى الأرض . (٤) ثم الشيء كنصر : أصلحه ، وقد ظن الناشر الأول أنها ثم العاطفة ، فجعل بعدها مسح ولا حاجة إلى ذلك (٥) كانت في الأصل « يدبها ويجربها » وهو تصحيف أصلح بما ذكر

﴿ ١٨ – عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَبُو الْحَسَنِ الصَّائِغُ * ﴾

علي بن عيسى الصائغ

النَّحْوِيُّ الرَّامَهُرْمُزِيُّ ، قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ : حَدَّثَنِي أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ الْخَلَّالُ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الصَّائِغُ النَّحْوِيُّ الرَّامَهُرْمُزِيُّ وَاسِعَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مَلِيحَ الشِّعْرِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَوَّلُهَا « سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ » وَفِيهَا تَجَوُّزٌ كَثِيرٌ وَأَمْرٌ بِخِلَافِ الْجَمِيلِ قَالَهَا عَلَى طَرِيقِ التَّخَالُعِ وَالتَّطَايُبِ ، وَكَانَ صَالِحاً مُعْتَقِداً لِلْحَقِّ لَاعَنِ اتِّسَاعٍ فِي الْعِلْمِ - يَعْنِي عِلْمَ الْكَلَامِ - وَلَكِنَّهُ كَانَ وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الصَّائِغُ هَذَا هُوَ أُسْتَاذُ أَبِي هَاشِمِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ الْمَبْرَمَانِ فِي النَّحْوِ ، قَرَأَ عَلَيْهِ لَمَّا وَرَدَ الْبَصْرَةَ وَاسْتَفَادَ مِنْهُ حَتَّى بَلَغَ أَعْلَى مَرَاتِبِ النَّحْوِ حَتَّى قَالَ ابْنُ دَرَسْتَوَيْهِ : اجْتَمَعْتُ مَعَ أَبِي هَاشِمٍ فَأَلْقَى إِلَيَّ مِائَتَيْ مَسْأَلَةٍ مِنْ غَرِيبِ النَّحْوِ مَا سَمِعْتُ بِهَا قَطُّ وَلَا كُنْتُ أَحْفَظُ جَوَابَهَا ، وَقَدْ ذَكَرْتُ قِصَّتَهُ مَعَ

(*) راجع بغية الوعاة

أَبِي هَاشِمٍ بِكَمَالِهَا فِي تَرْجَمَةِ أَبِي هَاشِمٍ عَبْدِ السَّلَامِ .

وَقَالَ أَبُو عُمَرَ الْخَلَّالُ : أَنفَذَ بِيَ الصَّيْدَلَانِيُّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعْتَزِلِيُّ غُلَامُ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الرَّامَهُرْمُزِيِّ وَقَالَ لِي : قُلْ لَهُ : إِنِّي قَرَأْتُ الْبَارِحَةَ فِي كِتَابِ شَيْخِنَا أَبِي عَلِيٍّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا » أَيْ بَيَّنَّا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوَّهُ ، فَجَعَلَ جَعَلَ بِمَعْنَى بَيَّنَ . وَلَسْتُ أَعْرِفُ هَذَا فِي اللُّغَةِ ، فَاحْفَظْ جَوَابَهُ وَجِئْنِي بِهِ . قَالَ : فَجِئْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ : نَعَمْ ، هَذَا مَعْرُوفٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ . وَقَدْ قَالَ الْعَرِيفِيُّ الْعَنْسِيُّ « بِالنُّونِ » :

جَعَلْنَا لَهُمْ نَهْجَ الطَّرِيقِ فَأَصْبَحُوا
عَلَى ثَبَتٍ[1] مِنْ أَمْرِهِمْ حَيْثُ يَمَّمُوا

قَالَ : فَعُدْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَعَرَّفْتُهُ ذَلِكَ . « قُلْتُ هَكَذَا وَجَدْتُ هَذَا الْخَبَرَ ، وَالْكَلِمَةُ الْمَسْئُولُ عَنْهَا غَيْرُ مُبَيَّنَةٍ ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَلَهُ أَنْ يُصْلِحَهَا »[2] .

---

(١) الثبت : البرهان والحجة (٢) قال الناشر : يظهر أن جعل الثانية من قوله : فجعل جعل ، كانت قد سقطت من الأصل الذي بين يدي المؤلف .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمَجِيدِ ابْنِ بُشْرَانَ الْخُوزِسْتَانِيُّ : وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلاثِمِائَةٍ مَاتَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الصَّائِغُ الرَّامَهُرْمُزِيُّ الشَّاعِرُ ، وَقَدْ كَانَ شَخَصَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمَسْمَعِيِّ ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى دَرْكٍ بِسِيرَافَ ، فَخَرَجَ مَعَ دَرْكٍ فِي هَيْجٍ كَانَ مِنَ الْعَامَّةِ بِهَا ، وَقَدْ رَمَوْهُ بِالْمَقَالِيعِ فَأَصَابَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى حَجَرٌ فَهَلَكَ ، وَكَانَ شَاعِراً عَالِماً . فَمِنْ شِعْرِهِ :

سُهَادِي غَيْرُ مَفْقُودِ وَنَوْمِي غَيْرُ مَوْجُودِ
وَجَرْيُ الدَّمْعِ فِي الْخَدِّ كَنَظْمِ الدُّرِّ فِي الْجِيدِ
لِفِعْلِ الشَّيْبِ فِي اللِّمْـ ـمَةِ لَا لِلْخُرَّدِ الْغِيدِ (١)
لَقَدْ صَارَ بِيَ الشَّيْبُ إِلَى لَوْمٍ وَتَفْنِيدِ (٢)
وَمَا الْمَرْءُ إِذَا شَابَ لَدَيْهِنَّ بِمَوْدُودِ (٣)

وَهِيَ طَوِيلَةٌ مَدَحَ فِيهَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَكَانَ لَهُمْ مَدَّاحاً .

---

(١) يريد أن سهاده ودمعه إنما كان لشيب لمته لا من أجل النساء (٢) التفنيد مصدر فنده : أي كذبه وعجزه وخطأ رأيه (٣) وهذا شعر سقيم ولا أدرى مابقية الشعر والحمد لله « عبد الخالق »

﴿ ١٩ — عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ ﴾

علي بن عيسى بن الجراح

أَبُو الْحَسَنِ الْوَزِيرُ . كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ مِنَ الرِّيَاسَةِ وَمَعْرِفَتُهُ بِالْعَدْلِ وَالسِّيَاسَةِ تَجِلُّ عَنْ وَصْفِهَا ، وَمِنْ حُسْنِ الصِّنَاعَةِ وَالْكِفَايَةِ مَاهُوَ مَشْهُورٌ مَذْكُورٌ ، وَزَرَ لِلْمُقْتَدِرِ بِاللهِ دَفْعَتَيْنِ ، وَمَاتَ فِي لَيْلَةِ الْيَوْمِ الَّذِي عَبَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ فِي صَبِيحَتِهِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ انْتِصَافَ اللَّيْلِ مِنْ سَلْخِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ وَعُمْرُهُ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَنِصْفٌ ، وَحُمَّ يَوْماً وَاحِداً ، وَمَوْلِدُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَلَهُ كِتَابُ جَامِعِ الدُّعَاءِ ، كِتَابُ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ ، أَعَانَهُ عَلَيْهِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْوَاسِطِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ ، كِتَابُ رَسَائِلِهِ . كَانَ تَقَلُّدُهُ لِلْوَزَارَةِ الْأُولَى فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَبَقِيَ فِيهَا أَرْبَعَ سِنِينَ غَيْرَ شَهْرٍ ، وَالْأُخْرَى فِي صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَبَقِيَ فِيهَا سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَيَوْمَيْنِ ، وَكَانَ يَسْتَغِلُّ ضِيَاعَهُ فِي السَّنَةِ بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، يُخْرِجُ مِنْهَا فِي وُجُوهِ الْبِرِّ سِتِّينَ وَسِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ،

ترجم له في طبقات المفسرين صفحة ١٧٦

وَيُنفِقُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى خَاصَّتِهِ ، وَكَانَتْ غَلَّتُهُ عِنْدَ عُطْلَتِهِ وَلُزُومِهِ بَيْتَهُ نَيِّفاً وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، يُخْرِجُ مِنْهَا فِي وُجُوهِ الْبِرِّ نَيِّفاً وَأَرْبَعِينَ أَلْفاً ، وَيُنفِقُ ثَلَاثِينَ أَلْفاً عَلَى نَفْسِهِ ، وَكَانَ يَرْتَفِعُ لِابْنِ الْفُرَاتِ وَهُوَ مُتَعَطِّلٌ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ . قَالَ : الصُّولِيُّ وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ وَزَرَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ وَزِيرٌ يُشْبِهُهُ فِي زُهْدِهِ وَعِفَّتِهِ وَحِفْظِهِ لِلْقُرْآنِ وَعِلْمِهِ بِمَعَانِيهِ ، وَكَانَ يَصُومُ نَهَارَهُ وَيَقُومُ لَيْلَهُ .

قَالَ الصُّولِيُّ : وَلَا أَعْلَمُ أَنِّي خَاطَبْتُ أَحَداً أَعْرَفَ مِنْهُ بِالشِّعْرِ ، وَكَانَ يُوَقِّعُ بِيَدِهِ فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ يُوَقِّعُ فِيهِ أَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ فِي وَزَارَتِهِ ، فَسَأَلْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ طُومَارَ الْهَاشِمِيَّ عَنِ السَّبَبِ فَقَالَ : قَدِ اقْتَصَرَ فِي نَفَقَتِهِ وَأَجْرَى الْفَاضِلَ عَلَى أَوْلَادِ الصَّحَابَةِ بِالْمَدِينَةِ ، وَجَلَسَ لِلْمَظَالِمِ فَأَنْصَفَ النَّاسَ وَأَخَذَ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَتَنَاصَفَ النَّاسُ بَيْنَهُمْ ، وَلَمْ يَرَوْا أَعَفَّ بَطْناً وَلِسَاناً وَفَرْجاً مِنْهُ ، وَلَمَّا عُزِلَ فِي وَزَارَتِهِ الثَّانِيَةِ وَوَلِيَ ابْنُ الْفُرَاتِ لَمْ يَقْنَعِ الْمُحَسِّنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ إِلَّا بِإِخْرَاجِهِ عَنْ بَغْدَادَ ، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا مُهَاجِراً وَقَالَ فِي نَكْبَتِهِ :

وَمَنْ يَكُ عَنِّي سَائِلًا لِشَمَاتَةٍ لِمَا نَابَنِي أَوْ شَامِتاً غَيْرَ سَائِلِ
فَقَدْ أَبْرَزَتْ مِنِّي الْخُطُوبُ ابْنَ حُرَّةٍ
صَبُوراً عَلَى أَهْوَالِ تِلْكَ الزَّلَازِلِ
إِذَا سُرَّ لَمْ يَبْطَرْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ
إِذَا نَزَلَتْ بِالْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

وَلَمَّا جَلَسَ كَانَ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ وَيَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَيَقُومُ لِيَخْرُجَ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَيَرُدُّهُ الْمُتَوَكِّلُونَ فَيَرْفَعُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أُشْهِدُكَ أَنِّي أُرِيدُ طَاعَتَكَ وَيَمْنَعُنِي هَؤُلَاءِ، وَأَشَارَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ أَنْ يَقِفَ الْعَقَارَ بِبَغْدَادَ عَلَى الْحَرَمَيْنِ وَالثُّغُورِ، وَغَلَّتُهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَالضِّيَاعَ الْمَوْرُوثَةَ بِالسَّوَادِ وَارْتِفَاعُهَا نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ سِوَى الْغَلَّةِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ الشُّهُودَ، وَأَفْرَدَ لِهَذِهِ الْوُقُوفِ دِيوَاناً سَمَّاهُ دِيوَانَ الْبِرِّ. وَرَأَى آثَارَ سَعْيِهِ لِآخِرَتِهِ فِي دُنْيَاهُ، فَإِنَّهُ سَلِمَ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَاءِ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ عَادَاهُ وَقَصَدَهُ، وَمَنَعَ حَوَاشِيَ الْمُقْتَدِرِ مِنَ الْمُحَالَاتِ وَحَمَلَهُمْ عَلَى السِّيرَةِ

الْحَمِيدَةِ ، فَأَفْسَدُوا أَمْرَهُ حَتَّى اعْتُقِلَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْراً ، ثُمَّ نُفِيَ إِلَى مَكَّةَ وَالْيَمَنِ وَمِصْرَ ، ثُمَّ عَادَ وَوَزَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَاحْتَاجَ إِلَى الْمَشْيِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ :

قَدْ عَلِمَتْ إِخْوَتُنَا كِلَابُ أَنَّا عَلَى دِقَّتِنَا صِلَابُ

وَكَانَ الدَّيْلَمُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى بَغْدَادَ إِذَا اجْتَازُوا عَلَى مَحَلَّتِهِ تَجَنَّبُوهَا وَيَقُولُونَ :هَا هُنَا دَارُ الْوَزِيرِ الصَّالِحِ ، وَكَانَتْ دَارُهُ عَلَى دِجْلَةَ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالسِّتِّينِيِّ ، وَاحْتَاجَتْ مُسَنَّاتُهَا[1] إِلَى مَرَمَّةٍ فَقَدَّرُوا لَهَا[2] صُنَّاعُهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَلَمَّا أَحْضَرَ الدَّنَانِيرَ قَالَ : صَرْفُهَا إِلَى الصَّدَقَةِ أَوْلَى ، فَلَيْسَ الْيَوْمَ عَلَى دِجْلَةَ بَيْنَ الْبَلَدِ وَالْمُعِزِّيَّةِ غَيْرُهَا وَهِيَ مَشْهُورَةٌ بِبَغْدَادَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . قَدْ عُمِلَ عَلَيْهَا عِدَّةُ دَوَالِيبَ لِسَقْيِ مَزَارِعِ الزَّاهِرِ ، وَنَزَلَ يَوْماً فِي طَيَّارَةٍ فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ قَوْمٌ يَسْأَلُونَهُ تَوْقِيعاً فَقَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةً حَتَّى أَرْجِعَ وَأُوَقِّعَ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَنْ لِي بِأَنْ أَرْجِعَ ؟ وَوَقَّعَ لَهُمْ قَائِماً ثُمَّ قَالَ : اقْتَدَيْتُ

(١) المسناة فى القاموس : أنها العرم وفسر العرم فى بابه بأنه سد يعترض به الوادى . (٢) كان المناسب على اللغة الفصحى أن يقول : فقدر لها صناعها .

في هَذَا الفِعْلِ بِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَإِنَّهُ وَقَفَ عَلَى مُتَظَلِّمٍ وَأَطَالَ الْوُقُوفَ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ وَقَالَ : إِنَّ الْخَيْرَ سَرِيعُ الذَّهَابِ ، وَخَشِيتُ أَنْ أُفَوِّتَهُ نَفْسِي .

وَلَمَّا وَرَدَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى بَغْدَادَ مُسْتَوْلِياً عَلَيْهَا مُتَغَلِّباً خُوِّفَ مِنْهُ وَقِيلَ : الصَّوَابُ أَنْ تَهْرُبَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَقَالَ : أَيَهْرُبُ مَخْلُوقٌ إِلَى مَخْلُوقٍ ؟ اُصْرِفُوا مَا أَعْدَدْتُهُ لِنَفَقَةِ الطَّرِيقِ إِلَى الْفُقَرَاءِ .

فَلَمَّا دَخَلَ الْبَرِيدِيُّ لَمْ يُكْرِمْ أَحَدًا غَيْرَهُ ، وَكَثُرَ الْمَوَتَانُ بِبَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الْبَرِيدِيِّ ، فَكَفَّنَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى مِنَ الْغُرَبَاءِ وَالْفُقَرَاءِ مَالَا يُحْصَى كَثْرَةً ، حَتَّى نَفِدَ مَا كَانَ عِنْدَهُ فَاسْتَدَانَ لِذَلِكَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، وَكَانَ يُجْرِي عَلَى خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ جِرَايَاتٍ تَكْفِيهِمْ ، وَخَدَمَ السُّلْطَانَ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ يُزِلْ فِيهَا نِعْمَةً عَن أَحَدٍ ، وَأُحْصِيَ لَهُ فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ نَيِّفٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ تَوْقِيعٍ مِنَ الْكَلَامِ السَّدِيدِ ، وَلَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا وَلَا سَعَى فِي دَمِهِ ، فَبَقِيَتْ عَلَيْهِ نِعْمَتُهُ وَعَلَى وَلَدِهِ بَعْدَ أَنْ شُحِذَتْ لَهُ الْمُدَى مِرَاراً ،

فَدَفَعَ اللهُ عَنْهُ وَأَهْلَكَ ظَالِمَهُ ، وَلَمْ يَهْتِكْ حُرْمَةً قَطُّ لِأَحَدٍ فَلَمْ يَهْتِكِ اللهُ لَهُ حُرْمَةً مَعَ كَثْرَةِ نَكَبَاتِهِ ، وَكَانَ عَلَى خَاتَمِهِ مَكْتُوبٌ :

لِلّٰهِ صُنْعٌ خَفِيٌّ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُخَافُ

وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يُكْنَى أَبَا نَصْرٍ وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَزَرَ لِلْمُطِيعِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فَجْأَةً . وَابْنٌ يُكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ وَاسْمُهُ عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ كَتَبَ لِلطَّائِعِ لِلّٰهِ .

وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَلَى أَبِي نَصْرٍ وَأَبِي مُحَمَّدٍ وَلَدَيِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ يُعَزِّيهِمَا بِمَوْتِ أَبِيهِمَا ، فَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ الْتَفَتَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ : مُصِيبَةٌ قَدْ وَجَبَ أَجْرُهَا ، خَيْرٌ مِنْ نِعْمَةٍ لَا يُؤَدَّى شُكْرُهَا . وَهَذَا عِنْدِي مِنْ حُرِّ الْكَلَامِ وَفَصْلِ الْخِطَابِ .

﴿ ٢٠ – عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الرُّمَّانِيُّ * ﴾

علي بن عيسى الرماني

أَبُو الْحَسَنِ الْوَرَّاقُ ، كَذَا قَالَ الزُّبَيْدِيُّ . وَقَالَ

* ترجم له في كتاب طبقات المفسرين ، وترجم له في كتاب بغية الوعاة .

التَّنُوخِيُّ : هُوَ يُعْرَفُ بِالْإِخْشِيدِيِّ . قَالَ التَّنُوخِيُّ : وَمِمَّنْ ذَهَبَ فِي زَمَانِنَا إِلَى أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الرُّمَّانِيِّ الْإِخْشِيدِيُّ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : أَرَى أَنَّهُ كَانَ تِلْمِيذَ ابْنِ الْإِخْشِيدِ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ عَلَى مَذْهَبِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مُتَكَلِّماً عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَلَهُ مِنْ ذَلِكَ تَصَانِيفُ مَأْثُورَةٌ ، وَكَانَ إِمَاماً فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَّامَةً فِي الْأَدَبِ ، فِي طَبَقَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ . وَكَانَ قَدْ شَهِدَ (١) عِنْدَ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مَعْرُوفٍ . مَاتَ فِي حَادِيَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ الْقَادِرِ بِاللهِ . وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . أَخَذَ عَنِ ابْنِ السَّرَّاجِ وَابْنِ دُرَيْدٍ وَالزَّجَّاجِ . وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالنُّجُومِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ عَلَى رَأْيِ الْمُعْتَزِلَةِ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَكَانَ يَمْزُجُ كَلَامَهُ فِي النَّحْوِ بِالْمَنْطِقِ حَتَّى قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ : إِنْ كَانَ النَّحْوُ

---

(١) شهد : حضر

مَا يَقُولُهُ الرُّمَّانِيُّ فَلَيْسَ مَعَنَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ كَانَ النَّحْوُ مَا نَقُولُهُ نَحْنُ فَلَيْسَ مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ. وَكَانَ يُقَالُ: النَّحْوِيُّونَ فِي زَمَانِنَا ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ لَا يُفْهَمُ كَلَامُهُ وَهُوَ الرُّمَّانِيُّ، وَوَاحِدٌ يُفْهَمُ بَعْضُ كَلَامِهِ وَهُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ، وَوَاحِدٌ يُفْهَمُ جَمِيعُ كَلَامِهِ بِلَا أُسْتَاذٍ وَهُوَ السِّيرَافِيُّ.

وَلِلرُّمَّانِيِّ مِنَ التَّصَانِيفِ الْأَدَبِيَّةِ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، كِتَابُ الْحُدُودِ الْأَكْبَرُ، كِتَابُ الْحُدُودِ الْأَصْغَرُ، كِتَابُ مَعَانِي الْحُرُوفِ، كِتَابُ شَرْحِ الصِّفَاتِ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُوجَزِ لِابْنِ السَّرَّاجِ، كِتَابُ شَرْحِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ لِلْمَازِنِيِّ، كِتَابُ شَرْحِ مُخْتَصَرِ الْجَرْمِيِّ، كِتَابُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، كِتَابُ شَرْحِ أُصُولِ ابْنِ السَّرَّاجِ، كِتَابُ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمُفْرَدَاتِ مِنْ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ، كِتَابُ شَرْحِ الْمَدْخَلِ لِلْمُبَرِّدِ، كِتَابُ التَّصْرِيفِ، كِتَابُ الْهِجَاءِ، كِتَابُ الْإِيجَازِ فِي النَّحْوِ، كِتَابُ الِاشْتِقَاقِ الْكَبِيرُ، كِتَابُ الِاشْتِقَاقِ الصَّغِيرُ، كِتَابُ الْأَلِفَاتِ فِي الْقُرْآنِ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُقْتَضَبِ، كِتَابُ شَرْحِ مَعَانِي الزَّجَّاجِ.

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي تَقْرِيظِ الْجَاحِظِ — وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ كَانُوا يُفَضِّلُونَ الْجَاحِظَ — فَقَالَ: وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ فَإِنَّهُ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قَطُّ بِلَا تَقِيَّةٍ وَلَا تَحَاشٍ وَلَا اشْمِئْزَازٍ وَلَا اسْتِيحَاشٍ عِلْمًا بِالنَّحْوِ، وَغَزَارَةً فِي الْكَلَامِ وَبَصَرًا بِالْمَقَالَاتِ، وَاسْتِخْرَاجًا لِلْعَوِيصِ وَإِيضَاحًا لِلْمُشْكِلِ، مَعَ تَأَلُّهٍ وَتَنَزُّهٍ وَدِينٍ وَيَقِينٍ وَفَصَاحَةٍ، وَفَقَاهَةٍ وَعَفَافَةٍ وَنَظَافَةٍ.

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ: سَمِعْتُ أَبَا طَاهِرٍ السِّنْجِيَّ، سَمِعْتُ أَبَا الْكَرَمِ بْنَ الْفَاخِرِ النَّحْوِيَّ، سَمِعْتُ الْقَاضِيَ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ الْمُحَسِّنِ التَّنُوخِيَّ، سَمِعْتُ شَيْخَنَا أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ ابْنَ عِيسَى الرُّمَّانِيَّ النَّحْوِيَّ يَقُولُ وَقَدْ سُئِلَ، فَقِيلَ لَهُ: لِكُلِّ كِتَابٍ تَرْجَمَةٌ، فَمَا تَرْجَمَةُ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: «هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ».

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى يَقُولُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: لَا تُعَادِيَنَّ أَحَدًا وَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّهُ لَنْ يَنْفَعَكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَخَافُ عَدُوَّكَ أَوْ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ؟ وَمَتَى

تَرْجُو صَدِيقَكَ أَوْ تَسْتَغْنِي عَنْـهُ ؟ وَإِذَا اُعْتَذَرَ إِلَيْـكَ عَدُوُّكَ فَاقْبَلْ عُذْرَهُ ، وَلْيَقِلَّ عَيْبُهُ عَلَى لِسَانِكَ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَرَأَيْتُ فِي مَجْلِسِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى النَّحْوِيِّ رَجُلًا مِنْ مَرْوَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ مَنْ وَمَا ، وَمِنْ وَمِمَّ ، فَأَوْسَعَ لَهُ الْـكَلَامَ وَبَيَّنَ ، وَقَسَّمَ وَفَرَّقَ ، وَحَدَّ وَمَثَّلَ ، وَعَلَّقَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ بِشَرْطِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ فَهِمَ السَّائِلُ أَوْ تَصَوَّرَ ، وَسَأَلَ إِعَادَتَهُ عَلَيْهِ وَإِبَانَتَهُ لَهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ حَتَّى أَضْجَرَهُ ، وَمِنْ حَدِّ الْحِلْمِ أَخْرَجَهُ . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، يَلْزَمُنِي أَنْ أُبَيِّنَ لِلنَّاسِ وَأُصَوِّرَ لِمَنْ لَيْسَ بِنَاعِسٍ ، وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُفْهِمَ الْبُهْمَ وَالشُّقْرَ وَالدُّهْمَ ، مِثْلُكَ لَا يَتَصَوَّرُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ وَهَذِهِ الْأَمْثِلَةِ ، فَإِنْ أَرَحْتَنَا وَنَفْسَكَ فَذَاكَ ، وَإِلَّا فَقَدْ حَصَلْنَا مَعَكَ عَلَى الْهَلَاكِ ، قُمْ إِلَى مَجْلِسٍ آخَرَ وَوَقْتٍ غَيْرِ هَذَا . فَأَسْمَعَهُ الرَّجُلُ مَا سَاءَ الْجَمَاعَةَ ، وَعَادَ بِالْوَهْنِ وَالْغَضَاضَةِ ، وَوَثَبَ النَّاسُ لِضَرْبِهِ وَسَحْبِهِ ، فَمَنَعَهُمْ مِن ذَلِكَ أَشَدَّ مَنْعٍ بَعْـدَ قِيَـامِهِ مِنْ صَدْرِ مَجْلِسِهِ وَدَفْعِ النَّاسِ عَنْهُ ، وَأَخْرَجَهُ صَاغِرًا

ذَلِيلًا مَهِيناً وَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الدَّقَّاقِ وَقَالَ لَهُ : مَتَى رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا فَلَا يَكُونَنَّ مِنْكَ إِلَّا التُّؤَدَةُ وَالِاحْتِمَالُ؟ وَإِلَّا فَتَصِيرُ نَظِيراً لِخَصْمِكَ ، وَتَعْدَمُ فِي الْوَسَطِ فَضْلَ التَّمْيِيزِ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ هَجَا نُمَيْراً ... وَلَمْ يَسْمَعْ لِشَاعِرِهَا جَوَابَا

رَغِبْنَا عَنْ هِجَاءِ بَنِي كُلَيْبٍ ... وَكَيْفَ يُشَاتِمُ النَّاسُ الْكِلَابَا؟

﴿ ٢١ – عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ الْفَرَجِ بْنِ صَالِحٍ الرَّبَعِيُّ * ﴾

علي بن عيسى الربعي

الزُّهَيْرِيُّ أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ ، أَحَدُ أَئِمَّةِ النَّحْوِيِّينَ وَحُذَّاقِهِمْ ، الْجَيِّدِي النَّظَرِ الدَّقِيقِي الْفَهْمِ وَالْقِيَاسِ ، أَخَذَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ وَهَاجَرَ إِلَى شِيرَازَ فَأَخَذَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَلَازَمَهُ عِشْرِينَ سَنَةً ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : مَا بَقِيَ شَيْءٌ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَلَوْ سِرْتَ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ لَمْ تَجِدْ أَعْرَفَ مِنْكَ بِالنَّحْوِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ عَنْ نَيِّفٍ وَتِسْعِينَ

(*) ترجم له في كتاب أنباء الرواة ، وترجم له في كتاب بغية الوعاة

سَنَةً ، وَصَنَّفَ تَصَانِيفَ مِنْهَا : كِتَابُ شَرْحِ الْإِيضَاحِ لِأَبِي عَلِيٍّ ، كِتَابُ شَرْحِ مُخْتَصَرِ الْجَرْمِيِّ ، كِتَابُ الْبَدِيعِ فِي النَّحْوِ ، كِتَابُ شَرْحِ الْبُلْغَةِ ، كِتَابُ مَا جَاءَ مِنَ الْمَبْنِيِّ عَلَى فَعَالِ ، كِتَابُ التَّنْبِيهِ عَلَى خَطَإِ ابْنِ جِنِّيٍّ فِي تَفْسِيرِ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ، كِتَابُ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ غَسَلَهُ ، وَذَاكَ أَنَّ أَحَدَ بَنِي رِضْوَانَ التَّاجِرِ نَازَعَهُ فِي مَسْأَلَةٍ فَقَامَ مُغْضَبًا وَأَخَذَ شَرْحَ سِيبَوَيْهِ وَجَعَلَهُ فِي إِجَّانَةٍ[1] وَصَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ وَغَسَلَهُ، وَجَعَلَ يَلْطِمُ بِهِ الْحِيطَانَ وَيَقُولُ : لَا أَجْعَلُ أَوْلَادَ الْبَقَّالِينَ نُحَاةً . وَكَانَ مُبْتَلًى بِقَتْلِ الْكِلَابِ وَكَسْرِ سُوقِهِمْ[2] وَيَقُولُ : مَا الَّذِي يَمْنَعُهُمْ مِنْ نُزُولِ الشَّطِّ ؟ فَقِيلَ لَهُ : يَمْنَعُهُمْ كِلَابُ الْقَصَّابِينَ .

وَسَأَلَ يَوْمًا أَوْلَادَ الْأَكَابِرِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ مَجْلِسَهُ أَنْ يَمْضُوا مَعَهُ إِلَى كَلْوَاذَى فَظَنُّوا ذَلِكَ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهُ هُنَاكَ ، فَرَكِبُوا خُيُولًا وَجَعَلَ هُوَ يَمْشِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَسَأَلُوهُ الرُّكُوبَ فَأَبَى عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا صَارَ بِخَرَابِهَا وَقَفَهُمْ عَلَى ثَلْمٍ[3]

---

(١) الاجانة : إناء تغسل فيه الثياب (٢) كانت فى الأصل « بوقهم »
(٣) الثلم : الخلل فى الحائط

وَأَخَذَ كِسَاءً وَعَصاً، وَمَا زَالَ يَعْدُو إِلَى كَلْبٍ هُنَاكَ وَالْكَلْبُ يَثِبُ عَلَيْهِ تَارَةً وَيَهْرُبُ مِنْهُ أُخْرَى حَتَّى أَعْيَاهُ، وَعَاوَنُوهُ حَتَّى أَمْسَكُوهُ وَعَضَّ عَلَى الْكَلْبِ بِأَسْنَانِهِ عَضًّا شَدِيداً وَالْكَلْبُ يَسْتَغِيثُ وَيَزْعَقُ، فَمَا تَرَكَهُ حَتَّى اشْتَفَى وَقَالَ: هَذَا عَضَّنِي مُنْذُ أَيَّامٍ وَأُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَ قَوْلَ الْأَوَّلِ:

شَاتَمَنِي كَلْبُ بَنِي مِسْمَعٍ فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ وَالْعِرْضَا
وَلَمْ أُجِبْهُ لِاحْتِقَارِي لَهُ مَنْ ذَا يَعَضُّ الْكَلْبَ إِنْ عَضَّا؟

وَكَانَ يَوْماً يَمْشِي عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ وَالرَّضِيُّ وَالْمُرْتَضَى الْعَلَوِيَّانِ فِي زَبْزَبٍ[1] وَمَعَهُمَا أَبُو الْفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّيٍّ فَقَالَ لَهُمَا: مِنْ أَعْجَبِ أَحْوَالِ الشَّرِيفَيْنِ أَنْ يَكُونَ عُثْمَانُ جَالِساً مَعَهُمَا فِي الزَّبْزَبِ وَعَلِيٌّ يَمْشِي عَلَى الشَّطِّ بَعِيدًا مِنْهُمَا.

حَدَّثَ أَبُو غَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرَانَ النَّحْوِيُّ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَّبَعِيُّ النَّحْوِيُّ إِلَى وَاسِطَ وَنَزَلَ فِي حُجْرَةٍ فِي جِوَارِ شَيْخِنَا أَبِي إِسْحَاقَ الرِّفَاعِيِّ، وَكُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ أُسَائِلُهُ، فَقَالَ لِي أَبُو إِسْحَاقَ يَوْماً: قَدِ انْعَكَفْتَ عَلَى

---

(١) الزبزب: ضرب من السفن

هَذَا الْمَجْنُونِ ؟ فقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ يَحْكِي النَّحْوَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ كَمَا أُنْزِلَ . فقَالَ : صدَقْتَ ، هُوَ يَحْكِي النَّحْوَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ كَمَا أُنْزِلَ . وَحَدَّثَ ابْنُ بَشْكُوَالَ فِي كِتَابِ الصِّلَةِ فِي أَخْبَارِ عُلَمَاء الْأَنْدَلُسِ قَالَ : قَالَ الرَّبَعِيُّ : كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَمُّودٍ الزَّبِيدِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ قَدْ قَرَأَ يَوْمًا عَلَى أَبِي عَلِيٍّ فِي نَوَادِرِ الْأَصْمَعِيِّ : أَكَأْتُ الرَّجُلَ : إِذَا رَدَدْتُهُ عَنْكَ ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : أَلْحِقْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ بِبَابِ أَجَأَ فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ لَهَا نَظِيراً غَيْرَهَا ، فَسَارَعَ مَنْ حَوْلَهُ إِلَى كِتَابَتِهَا . وَقَالَ الرَّبَعِيُّ : فَقُلْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ : لَيْسَ أَكَأْتُ مِنْ أَجَأَ فِي شَيْءٍ . قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لِأَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ وَقُطْرُبًا النَّحْوِيَّ حَكَيَا أَنَّهُ يُقَالُ : كِيَأَ الرَّجُلُ : إِذَا جَبُنَ ، فَخَجِلَ الشَّيْخُ وَقَالَ : إِذَا كَانَ كَذَا فَلَيْسَ مِنْهُ ، فَضَرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَا كَتَبَ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ هِلَالِ بْنِ الْمُظَفَّرِ الرَّيْحَانِيِّ فِي كِتَابٍ أَلَّفَهُ : ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ زَنْجَانَ أَنَّ رَجُلًا مِنْهَا يُعْرَفُ بِجَابِرِ بْنِ أَحْمَدَ خَرَجَ إِلَى بَغْدَادَ مُتَأَدِّبًا ، فَحِينَ دَخَلَ قَصَدَ

عَلِيَّ بْنَ عِيسَى النَّحْوِيَّ بَعْدَ أَنْ لَبِسَ ثِيَابًا فَاخِرَةً عَطِرَةً وَتَجَمَّلَ وَتَزَيَّنَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: مِنْ أَيْنَ الْفَتَى؟ قَالَ: مِنَ الزَّنْجَانِ بِأَلِفٍ وَلَامٍ، فَعَلِمَ الرَّبَعِيُّ أَنَّ الرَّجُلَ خَالٍ مِنَ الْفَضْلِ فَقَالَ: مَتَى وَرَدْتَ؟ قَالَ: أَمْسِ. فَقَالَ: جِئْتَ رَاجِلًا أَمْ رَاكِبًا؟ فَقَالَ: بَلْ رَاكِبًا. قَالَ: الْمَرْكُوبُ مُكْتَرًى أَمْ مُشْتَرًى؟ قَالَ: بَلْ مُكْتَرًى. فَقَالَ الشَّيْخُ: مُرَّ وَاسْتَرْجِعِ الْكِرَى فَإِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْ شَيْئًا، ثُمَّ أَنْشَدَ الشَّيْخُ:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ ... وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ

فَإِنْ طُرَّةٌ رَاقَتْكَ فَاخْبُرْ فَرُبَّمَا ... أَمَرَّ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَّبَعِيُّ: اسْتَدْعَانِي عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْحَمَاسَةُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى بَابِ الْأَضْيَافِ وَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ؟:

وَمُسْتَنْبِحٍ بَاتَ الصَّدَى[1] يَسْتَتِيهُهُ ... إِلَى كُلِّ صَوْتٍ وَهُوَ فِي الرَّحْلِ جَانِحُ[2]

(١) الصدى. ما يرده الأفق على الصوت فيه (٢) أي مائل

فَقُلْتُ لِأَهْلِي : مَابُغَامُ (١) مَطِيَّةٍ
وَسَارٍ أَضَافَتْهُ الْكِلَابُ النَّوَابِحُ ؟

فَقُلْتُ : هَذَا قَوْلُ عُقْبَةَ بْنِ بُجَيْرٍ الْحَارِثِيِّ ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا ضَلَّتْ فِي سَفَرٍ وَصَارَتْ بِحَيْثُ تَظُنُّ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ حِلَّةٍ نَبَحَتْ لِتَسْمَعَهَا الْكِلَابُ فَتُجِيبَهَا ، فَيَعْرِفُونَ بِهِ مَوْضِعَ الْقَوْمِ فَيَقْصِدُونَهُ وَيَسْتَضِيفُونَ فَيُضَافُونَ . فَقَالَ : إِنَّ قَوْماً يَتَشَبَّهُونَ بِالْكِلَابِ حَتَّى يُضَافُوا لَأَدْنِيَاءُ النُّفُوسِ ، فَوَجَمْتُ (٢) بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَا وَاقِفٌ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ ، وَكَانَ مِنْ عَادَاتِنَا أَنَّهُ مَا دَامَ يَنْظُرُ إِلَى أَحَدِنَا لَمْ يَزَلْ وَاقِفاً بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَرُدَّ طَرْفَهُ . قَالَ : ثُمَّ فَكَّرَ فَقَالَ : لَا بَلْ إِنَّ أَقْوَاماً يَسْتَنْبِحُونَ فِي هَذَا الْقَفْرِ وَالْمَكَانِ الْجَدْبِ فَيَسْتَضِيفُونَ فَيُضَافُونَ مَعَ الْإِقْلَالِ وَالْعُدْمِ (٣) لَقَوْمٌ كِرَامٌ ، وَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ فَدَعَوْتُ لَهُ وَانْصَرَفْتُ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الْكَرَمِ الْمُبَارَكِ بْنِ الْفَاخِرِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ يَعْقُوبَ : قَالَ لَنَا الرَّئِيسُ أَبُو الْبَرَكَاتِ جَبْرُ بْنُ عَلِيٍّ

---

(١) البغام : صوت الظبية والمراد هنا صوت الناقة (٢) وجم : سكت وعجز عن التكلم من شدة الغيظ أو الخوف (٣) العدم : الفقر

ابْنِ عِيسَى الرَّبَعِيُّ : قَالَ لِي أَبِي: أَخرَجَ إِلَيَّ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بِيَدِهِ مُجَلَّدًا بِأَدَمٍ مُبَطَّنٍ بِدِيبَاجٍ (١) أَخضَرَ فِي أَنْصَافِ السُّلْطَانِيِّ مُذَهَّبٍ مَفصُولٍ بِالذَّهَبِ بِخَطٍّ أَحْسَنَ ، فِيهِ شِعْرٌ مُدَبَّرٌ وَحَسَنٌ لَيْسَ لَهُ مَعْنًى . فَقَالَ لِي : كَيْفَ تَرَى هَذَا الشِّعْرَ ؟ فَقُلْتُ : شِعْرٌ مُدَبَّرٌ وَالَّذِي قَالَهُ خَرِبُ الْبَيْتِ مُسْوَدُّ الْوَجْهِ ، ثُمَّ يَمْضِي عَلَى ذَلِكَ زَمَانٌ ، وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَأَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ وَقَالَ لَهُ : امْضِ إِلَى مَرْقَدِنَا وَجِئْنَا بِشِعْرِنَا ، فَمَضَي وَجَاءَ بِالْمُجَلَّدِ بِعَيْنِهِ وَهُوَ هُوَ فَأَبْلَسْتُ (٢) فَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُ ؟ وَتَلَجْلَجَ (٣) لِسَانِي وَرَبَا فِي فَمِي ، فَقُلْتُ حَسَنًا جَيِّدًا ، وَلَمْ يُرَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا أَلْبَتَّةَ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ : جَارَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا مَنْصُورٍ مَوْهُوبَ بْنَ الْجَوَالِيقِيِّ ذِكْرَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ صَالِحِ بْنِ الْفَرَجِ الرَّبَعِيِّ صَاحِبِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، فَأَخَذْتُ فِي تَقْرِيظِهِ وَتَفْضِيلِهِ وَقَالَ لِي : كَانَ يَحْفَظُ

---

(١) الأدم : الجلد ، والديباج : الحرير ، وأنصاف السلطاني : مقدار من الورق يسمى بهذا الاسم ، لأن الذي يكتب فيه للسلطان كبير المساحة وهذا نصفه ، وله قلم خاص ، وقد وضع هذا صاحب صبح الأعشى « عبد الخالق »

(٢) أبلست : تحيرت (٣) تلجلج : ثقل وردد الكلام ، وربا : انتفخ

الكثيرَ مِنْ أَشعارِ العَرَبِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ مِنْ نُظَرَائِهِ يَقُومُ بِهِ، إِلَّا أَنَّ جُنُونَهُ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُ يَتَمَكَّنُ مِنْهُ أَحَدٌ فِي الْأَخْذِ عَنْهُ وَالْإِفَادَةِ مِنْهُ. قَالَ: وَقَالَ لِي الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَّاءَ: سَأَلْتُ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ بُرْهَانٍ فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدَنَا، تَتْرُكُ الرَّبَعِيَّ وَالْأَخْذَ عَنْهُ مَعَ إِدْرَاكِكَ إِيَّاهُ وَتَأْخُذُ عَنْ أَصْحَابِهِ؟ فَقَالَ لِي: كَانَ مَجْنُونًا وَأَنَا كَمَا تَرَى، فَمَا كُنَّا نَتَّفِقُ. قَالَ: وَلَقَدْ مَرَّ يَوْمًا بِسَكْرَانَ مُلْقًى عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَحَلَّ سِرْوَالَهُ يَعْنِي سِرْوَالَ الرَّبَعِيِّ، وَجَلَسَ عَلَى أَنْفِهِ وَجَعَلَ يَضْرِطُ وَيُشِمُّهُ السَّكْرَانَ وَيَقُولُ لَهُ:

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ[1] نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

﴿ ٢٢ — عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ حَمْزَةَ بْنِ وَهَّاسٍ ﴾
﴿ أَبِي الطَّيِّبِ * ﴾

على بن عيسى الأمير

يُعْرَفُ بِابْنِ وَهَّاسٍ، مِنْ وَلَدِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَذَكَرَ الْعِمَادُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ

---

(١) العرار: النرجس البرى

(*) راجع طبقات المفسرين

عَنْ دَهْمَسَ بْنِ وَهَّاسِ بْنِ عَتُّودِ بْنِ حَازِمِ بْنِ وَهَّاسٍ الحَسَنِيّ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى مَاتَ بِمَكَّةَ فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَكَانَ فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ ، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ مِخْلَافِ ابْنِ سُلَيْمَانَ ، وَكَانَ شَرِيفاً جَلِيلاً هُمَاماً [1] مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَشُرَفَائِهَا وَأُمَرَائِهَا ، وَكَانَ ذَا فَضْلٍ غَزِيرٍ . وَلَهُ تَصَانِيفُ مُفِيدَةٌ وَقَرِيحَةٌ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ مُجِيدَةٌ ، قَرَأَ عَلَى الزَّمَخْشَرِيِّ بِمَكَّةَ وَبَرَّزَ [2] عَلَيْهِ ، وَصُرِفَتْ أَعِنَّةُ [3] طَلَبَةِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ ، وَتُوُفِّيَ فِي أَوَّلِ وِلَايَةِ الْأَمِيرِ عِيسَى بْنِ فُلَيْتَةَ أَمِيرِ مَكَّةَ فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ : مَا جَمَعَ اللَّهُ لَنَا بَيْنَ وِلَايَةِ عِيسَى وَبَقَاءِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى .

وَلَهُ شِعْرٌ مِنْهُ فِي مَرْثِيَةِ الْأَمِيرِ قَاسِمٍ جَدِّ الْأَمِيرِ عِيسَى :

يَا حَادِيَ الْعِيسِ [4] عَلَى بُعْدِهَا ... وَخَادَةً [5] تَسْحَبُ فَضْلَ النِّعَالِ
رِفْقَهْ عَلَيْهِنَّ فَلَا قَاسِماً ... لَهَا عَلَى الْأَيْنِ [6] وَفَرْطِ الْكَلَالِ [7]

(١) كانت فى الأصل « تماما » وأصلحت (٢) برز عليه : فاقه ونبغ
(٣) أعنة جمع عنان : وهو الزمام أى توجهوا إليه (٤) حادى العيس : الذى يسوق الابل ويتغنى لها ليلا (٥) وخادة : سريعة ، والنعال : جلد يجعل فى الخف ليمنع الحفى
(٦) الأين : التعب والاعياء (٧) كانت فى الأصل : « الملال » وقاسما منصوب بمحذوف ، أى فلا ترى قاسما ، يريد أن الذى كان يقوم لأصحابها مات .

غَاضَ النَّمِيرُ[1] الْعَذْبُ يَا وَارِدًا ... وَحَالَ عَنْ عَهْدِكَ ذَاكَ الزُّلَالِ

إِنْ يَغْضِ لَا يَغْضِ بَطِيءُ[2] الْقِرَى ... أَوْ يُودِ لَا يُودِ[3] ذَمِيمَ الْفِعَالِ

وَلَهُ مَدْحٌ فِي الزَّمَخْشَرِيِّ ذَكَرْتُهُ فِي تَرْجَمَتِهِ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

صِلِي حَبْلَ الْمَلَامَةِ أَوْ فَبُتِّي[4] ... وَكُفِّي مِنْ عِتَابِكِ أَوْ أَشِتِّي

هِيَ الْأَنْضَاءُ عَزْمَةُ ذِي هُمُومٍ ... فَحَسْبُكِ وَالْمَلَامَ وَلَا هُبِلْتِ[5]

إِلَيْكِ فَلَسْتُ مِمَّنْ يَطَّبِيهِ[6] ... مَلَامٌ أَوْ يَرِيعُ إِذَا أَهَبْتِ[7]

حَلَفْتُ بِهَا تَوَاهَقُ كَالْحَنَايَا[8] ... بَقَايَا مَا بِهَا كَثُمَالِ قَلْتِ[9]

سَوَاهِمُ كَالْحَنَايَا زَاحِـــرَاتٍ ... تَرَاكَعُ مِنْ وَجًى وَدَبًا وَعَنْتِ[10]

جَوَازِعُ بَطْنِ نَخْلَةَ عَابِرَاتٍ ... تَؤُمُّ الْبَيْتَ مِنْ خَمْسٍ وَسِتِّ

(١) أى الماء الصافى (٢) أى إن يمت ويذهب فما كان بطيئا عن قرى الضيفان (٣) أو إن يهلك فانهما هلك ذميم الفعال (٤) أى اقطعى (٥) هبلت : ثكلت (٦) يطبيه : يخدعه (٧) أهبت : ناديت (٨) تواهق كالحنايا : تمد أعناقها فى السير كالأقواس (٩) ثمال قلت : مابقى من ماء فى نقرة فى الصخر ، وفى الأصل : بدون « مابها » (١٠) الناقة الساهمة : الضامرة والجمع سواهم تشبه الحنايا ، والزاحرة من زحر كجعل : التى تخرج النفس بأنين ، والتراكع : الانحناء ، ومن هنا سمى الفعل فى الصلاة ركوعا ، وكان الركوع هنا من الوجى والدبا : هو المشى الرويد ، والعنت : هو الهلاك وأصله بالتحريك سكن للشعر . « عبد الخالق »

أَزَالَ أُدِيبُ أَنْضَاءً طِلَاحًا ... بِكُلِّ مُلَمَّعِ الْقَفَرَاتِ مَرْتِ (١)

وَأَرْغَبُ عَنْ مَحَلٍّ فِيهِ أَضْحَتْ ... حِبَالُ الْمَجْدِ تَضْعُفُ عِنْدَ مَتِّي (٢)

أَمَا جَرَّبْتِ يَا أَيَّامُ مِنِّي ... فُرُوكَ (٣) تَجَمُّعٍ وَحَلِيفَ شَتِّ

أَبِيٌّ مَا مَجَمْتِ صَفَاهُ إِلَّا ... وَأَثَّرَ فِي نُيُوبِكِ مَا مَجَمْتِ

وَرُبَّ أَخٍ كَرِيمِ الْمَجْدِ مَحْضٍ ... يُرَاعُ لِدَعْوَتِي كَالسَّيْفِ صَلْتِ

أَبَتْ نَفْسِي فَلَمْ تَسْمَحْ إِلَيْهِ ... بِشَكْوَى غَيْرِ مَاجِلْدٍ وَصَمْتِ

أَقُولُ لِنَفْسِيَ الْمِشْفَاقِ مَهْلًا ... أَلَيْسَ عَلَى الرَّزِيَّةِ مَاصَبَرْتِ ؟

لَئِنْ فَارَقْتِ خَيْرَ عُرًا لِأَهْلٍ ... نَخَيْرُ بَنِي أَبِيكِ بِهِ نَزَلْتِ

وَكَتَبَ إِلَى عَمَّتِهِ وَقَدْ أَرْسَلَتْ تَقُولُ لَهُ : كَمْ هَذَا الْبُعْدُ عَنَّا وَالتَّغَرُّبُ ؟ :

وَمُهْدِيَةٍ عِنْدِي عَلَى نَأْيِ دَارِهَا ... رَسَائِلَ مُشْتَاقٍ كَرِيمٍ وَسَائِلُهْ

تَقُولُ : إِلَى كَمْ يَابْنَ عِيسَى تَجَنُّبًا ... وَبُعْدًا وَكَمْ ذَا عَنْكَ رَكْبًا نُسَائِلُهْ ؟؟

---

(١) أزال محذوف نفيها جواب حلفت ، أى لا أزال ، وأديب أصلها أدئب من أدأبه : جعله يدأب ويجد فى العمل ، سهلت الهمزة ياء بعد نقل حركتها إلى الدال ، والانضاء جمع نضو : المهزيل ، والطلاح : التى تشتكى من بطونها ، والملمع من القفر : ما لمع فيه الآل ، والمرت : الأرض التى لا يجف ثراها ولا ينبت مرطاها

(٢) المت : التوسل (٣) فروك : بغض « عبد الخالق »

فَيُوشِكُ أَنْ تُودِي وَمَا مِنْ حَفِيَّةٍ[1]
عَلَيْكَ وَلَا بَالٍ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهْ

فَقُلْتُ لَهَا : فِي الْعِيسِ وَالْبُعْدِ رَاحَةٌ
لِذِي الْهَمِّ إِنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ مَقَاتِلُهْ

وَفِي كَاهِلِ اللَّيْلِ الْخُدَارِيِّ[2] مَرْكَبٌ
وَكَمْ مَرَّةٍ نَجَّى مِنَ الضَّيْمِ كَاهِلُهْ

إِذَا لَمْ تُعَادِلْكَ اللَّيَالِي بِصَاحِبٍ
وَلَا سَمَحَتْ بِالنُّجْحِ عَفْواً أَنَامِلُهْ

فَلَا خَيْرَ فِي أَنْ تَرْأَمَ الضَّيْمَ ثَاوِياً[3]
وَغَيظاً عَلَى طُولِ اللَّيَالِي تُمَاطِلُهْ

ذَرِينِي فَلِي نَفْسٌ أَبَى أَنْ يُذِرَّهَا
عِصَابٌ وَقَلْبٌ يَشْرَبُ الْيَأْسَ حَامِلُهْ[4]

---

(١) أى احتفاء بك ، ولابال اسم من بالى مبالاة ، أى غير معنى بك من أحد

(٢) الخدارى : المظلم (٣) ترأم : ترضى ، والضيم : الذلة والهوان ، وثاويا : مقيما (٤) العصاب : الشد على الشيء وجفاف الريق ، فهو يقول : إنه مهما شد الدهر على خناقه ، أو مهما جف ريقه من البؤس فلن يسمح لنفسه بسؤال أحد ، وأن له قلبا حامله يشرب اليأس ، وكان حامله فى الأصل « حاصله »

إِذَا سِيمَ وِرْداً بَعْدَ خَمْسٍ تَشَمَّرَتْ
عَنِ الْمَاءِ خَوْفَ الْمُقْذِعَاتِ ذَلَاذِلُهْ (١)

﴿ ٢٣ — عَلِيُّ بْنُ فَضَّالِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ ﴾
﴿ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ * ﴾

على بن فضال المجاشعی

ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عِيسَى بْنِ حَسَنِ بْنِ زَمْعَةَ بْنِ هَمِيمِ بْنِ غَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ عِقَالِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ « هَكَذَا وَجَدْتُهُ هَمِيمٌ وَالْمَعْرُوفُ هَمَّامٌ ، وَهُوَ الْفَرَزْدَقُ الشَّاعِرُ ، لِأَنَّ ابْنَ فَضَّالٍ يُعْرَفُ

(١) الذلاذل : الأواخر ، والمقذعات : الفحشاء فى القول ، يريد أنه إذا سيم الورد بعد خمس عن الماء تشمرت ذلاذله خوف أن يعيبه الناس .

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين بما يأتى قال :

هو أبو الحسن القيروانى المجاشعى التميمى الفرزدقى كان إماما فى اللغة والنحو والتصريف والأدب والتفسير والسير ، ولدبهجر وطوف الأرض وأقام بغزنة مدة وصادف بها قبولا ورجع إلى العراق وأقرأ النحو واللغة وحدث بها جماعة من شيوخ المغرب . قال هبة الله السقطى : كتبت عنه أحاديث فعرضتها على بعض المحدثين فأنكرها وقال : أسانيدها مركبة على متون موضوعة، فاجتمع به جماعة من المحدثين وأنكروا عليه فاعتذر وقال: وهمت فيها. قال عبد الغافر : ورد ابن فضال بنيسابور فاجتمعت به فوجدته بحرا فى علمه ماعهدت فى البلديين ولا فى الغرباء مثله، وكان حنبليا يقع فى كل شافعى، وصنف كتبا كثيرة ذكرها ياقوت ، ومات ببغداد يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ومن شعره ماذكره ياقوت فى ترجمته .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

بالفرزدق » القيرواني النحوي أبو الحسن المجاشعي، هجر مسقط رأسه ورفض مألوف نفسه، وطفق يدوخ(١) بسيط الأرض ذات الطول والعرض، يشرق مرة ويغرب أخرى، ويركب القفار ويأوى إلى ظل الأمصار برهة حتى ألم بغزنة فألقى عصاه بها، ودرت له أخلافها(٢) فلقى وجه الأماني، وصنف عدة تصانيف بأسامي أكابر غزنة سارت في البلاد، ثم عاد إلى العراق وانخرط في سلك خدمة نظام الملك مع أفاضل العراق، ولم تطل أيامه حتى نزل به حمامه، وكان إماماً في النحو واللغة والتصريف والتفسير والسير. صنف كتاب التفسير الكبير الذي سماه البرهان العميدي في عشرين مجلداً، وكتاب النكت في القرآن، وكتاب شرح بسم الله الرحمن الرحيم وهو كتاب كبير، وكتاب إكسير الذهب في صناعة الأدب والنحو في خمس مجلدات، وكتاب العوامل والهوامل في الحروف خاصة، وكتاب الفصول في معرفة الأصول،

---

(١) داخ البلاد: قهرها واستولى عليها، والمراد أنه لم يعجز عن الوصول إلى أى بلد أراد (٢) أخلاف جمع خلف: وهو ضرع الناقة، أى أنه وجد حظه

وَكِتَابَ الإِشَارَةِ فِي تَحْسِينِ الْعِبَارَةِ ، وَكِتَابَ شَرْحِ عُنْوَانِ الإِعْرَابِ ، وَكِتَابَ الْمُقَدِّمَةِ فِي النَّحْوِ ، وَكِتَابَ الْعَرُوضِ ، وَكِتَابَ شَرْحِ مَعَانِي الْحُرُوفِ ، وَكِتَابَ الدُّوَلِ فِي التَّارِيخِ .

رَأَيْتُ فِي الْوَقْفِ السَّلْجُوقِيِّ بِبَغْدَادَ مِنْهُ ثَلَاثِينَ مُجَلَّداً وَيُعْوِزُهُ شَيْءٌ آخَرُ ، وَكِتَابَ شَجَرَةِ الذَّهَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَئِمَّةِ الأَدَبِ . وَقِيلَ إِنَّهُ صَنَّفَ كِتَاباً فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فِي خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مُجَلَّداً سَمَّاهُ كِتَابَ الإِكْسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ ، وَكِتَابَ مَعَارِفِ الأَدَبِ كَبِيرٌ نَحْوُ ثَمَانِيَةِ مُجَلَّدَاتٍ . وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ مُدَّةً وَأَقْرَأَ بِهَا النَّحْوَ وَاللُّغَةَ ، وَحَدَّثَ بِهَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ شُيُوخِ الْمَغْرِبِ. وَذَكَرَ هِبَةُ اللهِ السَّقَطِيُّ أَنَّهُ كَتَبَ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ أَحَادِيثَ قَالَ : فَعَرَضْتُهَا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ سَبْعُونَ الْقَيْرَوَانِيِّ لِمَعْرِفَتِهِ بِرِجَالِ الْغَرْبِ فَأَنْكَرَهَا وَقَالَ: أَسَانِيدُهَا مُرَكَّبَةٌ عَلَى مُتُونٍ مَوْضُوعَةٍ ، وَاجْتَمَعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَبْعُونَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ فَاعْتَذَرَ وَقَالَ : إِنِّي وَهِمْتُ فِيهَا . وَذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَفَّارِ الْفَارِسِيُّ فَقَالَ : وَرَدَ نَيْسَابُورَ وَاخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ

فَوَجَدْتُهُ بَحْراً فِى عِلْمِهِ ، مَا عَهِدْتُ فِى الْبَلَدِيِّينَ وَلَا فِى الْغُرَبَاءِ مِثْلَهُ فِى حِفْظِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَتَحْقِيقِهِ ، فَأَعْرَضْتُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَفَارَقْتُ الْمَكْتَبَ وَلَزِمْتُ بَابَهُ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَكَانَ عَلَى وَقَارٍ.

قَالَ السَّمْعَانِىُّ : سَمِعْتُ ابْنَ نَاصِرٍ يَقُولُ: مَاتَ ابْنُ فَضَّالٍ فِى ثَانِى عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ ، وَدُفِنَ بِبَابِ أَبْرَزَ . قَالَ شُجَاعٌ الذُّهْلِىُّ : أَنْشَدَنَا ابْنُ فَضَّالٍ لِنَفْسِهِ :

لَا عُذْرَ لِلصَّبِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ   يَخْلَعُ فِى ذَاكَ الْعِذَارِ الْعِذَارْ
كَأَنَّهُ فِى خَدِّهِ إِذْ بَدَا   لَيْلٌ تَبَدَّى طَالِعاً مِنْ نَهَارْ
تَخَالُهُ جُنْحَ الظَّلَامِ وَقَدْ   صَاحَ بِهِ ضَوْءُ صَبَاحٍ فَحَارْ

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصَّيْرَفِىُّ : أَنْشَدَنَا ابْنُ فَضَّالٍ لِنَفْسِهِ :

كَأَنَّ بَهْرَامَ وَقَدْ عَارَضَتْ   فِيهِ الثُّرَيَّا نَظَرَ الْمُبْصِرِ
يَاقُوتَةٌ يَعْرِضُهَا بَائِعٌ   فِى كَفِّهِ وَالْمُشْتَرِى مُشْتَرِى

وَمِنْ شِعْرِهِ :

خُذِ الْعِلْمَ عَنْ رَاوِيهِ وَاجْتَلِبِ الْهُدَى
وَإِنْ كَانَ رَاوِيهِ أَخَا عَمَلٍ زَارِى (١)

(١) أى مزر ومحتقر

فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَالنَّخْلِ يَانِعاً (١)
كُلِ التَّمْرَ مِنْهُ وَاتْرُكِ الْعُودَ لِلنَّارِ (٢)

قَالَ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ : وَأَنْشَدَنِي ابْنُ فَضَّالٍ لِنَفْسِهِ :

يَايُوسُفِيَّ الْجَمَالِ عَبْدُكَ لَمْ يَبْقَ لَهُ حِيلَةٌ مِنَ الْحِيَلِ
إِنْ قُدَّ فِيهِ الْقَمِيصُ مِنْ دُبُرٍ قَدْ قُدَّ فِيهِ الْفُؤَادُ مِنْ قُبُلِ

وَأَنْشَدَ السَّمْعَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ لِعَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ الْمُجَاشِعِيِّ فِي تَرْجَمَةِ صَاعِدِ بْنِ سَيَّارٍ الْهَرَوِيِّ :

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمُ دُرُوعاً فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخِلْتُهُمُ سِهَاماً صَائِبَاتٍ فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا : قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وِدَادِي

وَأَنْشَدَ لَهُ صَاحِبُ الْوِشَاحِ فِي نِظَامِ الْمُلْكِ :

دَوَارِسُ آيٍ مَا تَكَادُ تَبِينُ
عَفَاهُنَّ دَمْعٌ لِلسَّحَابِ هَتُونُ (٣)

---

(١) فى الاصل« يانع » وقد نبه فى هامش الطبعة الثانية على هذا فقال : لعلها « يانعا » فأثبتها بالنصب (٢) التمر لعل جمعه أثمار ، وجمع الجمع ثمر كقضب ، وخفف بالتسكين للشعر (٣) أى متتابع المطر « عبد الخالق »

وَقَفْنَا بِهَا مُسْتَلْهِمِينَ فَلَمْ يَزَلْ
لِسَانُ الْبِلَى عَنْ عُجْمِهِنَّ يُبِينُ
وَمَا خِفْتُ أَنْ تُبْدِي خَفِيَّ سَرَائِرِي
مَوَاثِلُ أَمْثَالُ الْجَمَاجِمِ جُونُ[1]
عَلَى حِينَ عَاصَيْتُ الصِّبَا وَهُوَ طَائِعٌ
وَأَرْخَصْتُ عِلْقَ اللَّهْوِ وَهُوَ ثَمِينُ
أَرَى الْمُزْنَ يَهْوَى رَسْمَ مَنْ قَدْ هَوِيتُهُ
فَلِي وَلَهُ دَمْعٌ بِهِ وَحَنِينُ
سَقَى اللهُ حَيْثُ الظَّاعِنُونَ سَحَائِباً
فَقَلْبِي حَيْثُ الظَّاعِنُونَ رَهِينُ
فَكَمْ ضُمِّنَتْ أَحْدَاجُهُمْ مِنْ جَآذِرٍ[2]
أَوَانِسَ يَنْضُوهَا جَآذِرُ عِينُ
وَأَقْمَارِ تِمٍّ لَمْ يَرَ النَّاسُ قَبْلَهَا بُدُوراً تَثَنَّى تَحْتَهُنَّ غُصُونُ
يُجَرِّدْنَ مِنْ أَلْحَاظِهِنَّ صَوَارِماً مُهَنَّدَةً : أَجْفَانُهُنَّ جُفُونُ

(١) الجون جمع جون : الأسود ، يريد الشواخص الماثلة المشبهة الجماجم
(٢) جآذر جمع جؤذر : وهو ولد البقرة الوحشية ، وعين جمع عيناء : وهى الواسعة العين ، والكلام على المجاز من حيث تشبيه النساء بالجآذر
« عبد الخالق »

وَأَنْشَدَ لَهُ :

وَاللهِ إِنَّ اللهَ رَبُّ الْعِبَادْ ... وَخَالِصِ(١) النِّيَّةِ وَالاعْتِقَادْ

مَازَادَنِي صَدُّكَ إِلَّا هَوًى ... وَسُوءُ أَفْعَالِكَ إِلَّا وِدَادْ

وَإِنَّنِي مِنْكَ لَفِي لَوْعَةٍ ... أَقَلُّ مَا فِيهَا يُذِيبُ الْجَمَادْ

فَكُنْ كَمَا شِئْتَ فَأَنْتَ الْمُنَى ... وَاحْكُمْ كَمَا شِئْتَ فَأَنْتَ الْمُرَادْ

وَمَا عَسَى تَبْلُغُهُ طَاقَتِي ... وَإِنَّمَا بَيْنَ ضُلُوعِي فُؤَادْ

وَمِمَّا نَقَلْتُهُ مِنَ السَّمْعَانِيِّ لِابْنِ فَضَّالٍ :

فَتَنَتْنِي أُمُّ عَمْرٍو ... وَكَذَاكَ الصَّبُّ مَفْتُونْ

قُلْتُ : جُودِي لِكَئِيبٍ ... مُسْتَهَامٍ بِكِ مَحْزُونْ

فَلَوَتْ عَنِّي وَقَالَتْ : ... أَتُرَى ذَا الْمَرْءَ مَجْنُونْ

مَا رَأَى النَّاسَ جَمِيعاً ... فِي كِتَابِ اللهِ يَتْلُونْ

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى ... تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونْ ؟

وَفِي كِتَابِ سِرِّ السُّرُورِ لِابْنِ فَضَّالٍ :

مَا هَذِهِ الْأَلِفُ الَّتِي قَدْ زِدْتُمُوا ... فَدَعَوْتُمُ الْخُوَّانَ(٢) بِالْإِخْوَانِ

وَزَادَنِي الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ وَهْبَانَ :

---

(١) تابع للقسم فهو يقسم بالله وبنفسه ، وجعل نفسه خالص النية والعقيدة ، وجواب القسم مازادني (٢) الخوان جمع خائن ، والمراد بالألف ألف إخوان التي قبل الخاء

مَا صَحَّ لِي أَحَدٌ فَأَجْعَلَهُ أَخًا ... فِي اللهِ مَحْضًا أَوْ فِي الشَّيْطَانِ
إِمَّا مُوَلٍّ عَنْ وِدَادِي مَا لَهُ ... وَجْهٌ وَإِمَّا مَنْ لَهُ وَجْهَانِ

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ وَكَانَ كَمَا عَلِمْتُ وَقَّاعَةً فِي كُلِّ مَنِ انْتَسَبَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ حَنْبَلِيًّا . سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عُثْمَانَ الْأَدِيبَ الْغَزِّيَّ بِنَيْسَابُورَ يَقُولُ : لَمَّا دَخَلَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ فَضَّالٍ النَّحْوِيُّ نَيْسَابُورَ وَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْمَعَالِي بْنُ الْجُوَيْنِيِّ أَنْ يُصَنِّفَ بِاسْمِهِ كِتَابًا فِي النَّحْوِ وَسَمَّاهُ الْإِكْسِيرَ وَعَدَهُ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمَّا صَنَّفَهُ وَفَرَغَ مِنْهُ ابْتَدَأَ بِقِرَاءَتِهِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ انْتَظَرَ أَيَّامًا أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَا وَعَدَهُ أَوْ بَعْضَهُ فَلَمْ يَدْفَعْ شَيْئًا ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ : عِرْضِي فِدَاؤُكَ وَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِ حَبَّةً وَاحِدَةً . قُلْتُ أَنَا : وَبَلَغَنِي أَنَّهُ عَقِيبَ ذَلِكَ وَرَدَ بَغْدَادَ وَأَقَامَ بِهَا وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدُ فِي النَّحْوِ وَصَنَّفَ كِتَابَهُ فِي التَّارِيخِ . وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِي أَوْرَدَهُ السَّمْعَانِيُّ :

أُحِبُّ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ ... وَأُبْغِضُ مُبْغِضَ أَزْوَاجِهِ

وَمَهْمَا ذَهَبْتُمْ إِلَى مَذْهَبٍ فَمَالِي سِوَى قَصْدِ مِنْهَاجِهِ

قَالَ السِّلَفِيُّ: قَالَ الرَّئِيسُ أَبُو الْمُظَفَّرِ: أَنْشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ نَاقِيَا فِي ابْنِ فَضَّالٍ الْمُجَاشِعِيِّ الْمَغْرِبِيِّ قَالَ: وَدَخَلْتُ دَارَ الْعِلْمِ بِبَغْدَادَ وَهُوَ يَدْرُسُ شَيْئًا مِنَ النَّحْوِ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ فَقُلْتُ:

أَلْيَوْمُ يَوْمٌ قَارِسٌ بَارِدٌ كَأَنَّهُ نَحْوُ ابْنِ فَضَّالِ
لَا تَقْرَءُوا النَّحْوَ وَلَا شِعْرَهُ فَيَعْتَرِي الْفَالِجُ فِي الْحَالِ

﴿ ٢٤ — عَلِيُّ بْنُ الْفَضْلِ الْمُزَنِيُّ أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ * ﴾

علي بن الفضل المزني

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْيَزْدَادِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى: جَلَاءَ الْمَعْرِفَةِ، تَعَرَّضَ فِيهِ لِلْمَآخِذِ عَلَى الْعُلَمَاءِ قَالَ: وَكَانَ قُرِئَ كِتَابُ الْكَرْمَانِيِّ فِي النَّحْوِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْمُزَنِيِّ، وَقَرَأَهُ هُوَ عَلَى أَبِيهِ، وَأَبُوهُ عَلَى الْكَرْمَانِيِّ، وَفَضْلُ أَبِي الْحَسَنِ[1] فِي عَصْرِهِ عَلَى مَنْ كَانَتْ تُضْرَبُ إِلَيْهِ آبَاطُ الْإِبِلِ[2] فِي الْعِرَاقِ لِاقْتِبَاسِ الْعِلْمِ

(١) هنا سقط من الأصل ولعله كلمة: « شائع » أو معروف، أو لعل الكلام: وفضل أبو الحسن بالبناء للمجهول (٢) أي تشد إليه الرحال

(*) راجع بغية الوعاة ٣٤٥

مِنْهُ . وَكَانَ ابْنُ جَرِيرٍ يَحُثُّهُ أَبَدًا عَلَى قَصْدِ الْعِرَاقِ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ لَوْ دَخَلَ بَغْدَادَ لَقُبِلَ فَوْقَ قَبُولِ غَيْرِهِ ، وَلَكَانَ الْأُسْتَاذَ الْمُقَدَّمَ ، وَبَلَغَ مِنْ فَضْلِ عِلْمِهِ أَنَّهُ صَنَّفَ كِتَابًا فِي عِلْمِ « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » وَسَمَّاهُ الْبَسْمَلَةَ وَيَقَعُ فِي ثَلَاثِمِائَةِ وَرَقَةٍ ، وَلَهُ فِي النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ مُصَنَّفَاتٌ لَطِيفَةٌ نَافِعَةٌ ، وَقَدْ رَوَى الْمُزَنِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الضَّرِيرِ .

﴿ ٢٥ – عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ الْقَاشَانِيُّ الْكَاتِبُ أَبُو الْحَسَنِ * ﴾

على بن القاسم القاشانى

ذَكَرَهُ الثَّعَالِبِيُّ فَقَالَ : بَقِيَّةُ مَشْيَخَةِ الْكُتَّابِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْبَرَاعَةِ ، الْمَالِكِينَ أَزِمَّةَ الْبَلَاغَةِ ، الْمُتَوَقِّلِينَ(١) فِي هَضَبَاتِ الْمَجْدِ ، الْمُتَرَقِّينَ فِي دَرَجَاتِ الْفَضْلِ وَالرَّسَائِلِ الْجَيِّدَةِ ، وَالْأَشْعَارِ الرَّائِقَةِ . فَمِنْ رَسَائِلِهِ : كِتَابِي - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ - وَأَنَا مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ جَذَلٍ لِتَجَدُّدِ بِرِّهِ فِي خِطَابِهِ ، وَبَيْنَ خَجَلٍ مِنْ قَوَارِعِ زَجْرِهِ وَعِتَابِهِ ، فَإِذَا خَلَّيْتُ عِنَانَ أُنْسِي فِي رِيَاضِ مَبَارِّهِ فَرَتَعَتْ ، جَاذَبَنِيهِ لَاعِجُ الْإِشْفَاقِ مِنْ سُوءِ ظَنِّهِ فَفَزِعْتُ ،

(١) أى الصاعدين

(*) ترجم له فى كتاب يتيمة الدهر جزء ثالث . وترجم له كذلك فى بغية الوعاة

وَلَوْ كُنْتُ جَانِياً لَاعْتَذَرْتُ، أَوْ كَانَ سُوءُ ظَنِّهِ بِي صَادِقاً لَاعْتَرَفْتُ، وَلَعُذْتُ مِنْهُ بِحِقْوَىْ كَرِيمٍ لَا يَبْهَضُهُ[(١)] اغْتِفَارُ الْجَرَائِرِ[(٢)]، وَلَا يَتَعَاظَمُهُ الصَّفْحُ عَنِ الْكَبَائِرِ.

فَصْلٌ: عَلَّقْتُ هَذِهِ الْمُخَاطَبَةَ وَالْأَشْغَالُ تَكْتَنِفُنِي، وَكَدُّ الْخَاطِرِ بِأَسْبَابٍ شَتَّى يَقْتَسِمُنِي، وَوَرَاءَ ذَلِكَ كَلَالُ الذِّهْنِ بِارْتِقَاءِ السِّنِّ، وَنُقْصَانُ الْخَوَاطِرِ بِزِيَادَةِ الشَّوَاغِلِ، وَاسْتِمْرَارُ الْبَلَادَةِ لِمُفَارَقَةِ الْعَادَةِ، وَمَوْلَايَ — وَاللهُ يُعِيذُهُ مِنَ السُّوءِ — مُقْتَبَلُ الشَّبَابِ، زَائِدُ الْأَسْبَابِ، مُؤْتَنِفُ[(٣)] الْمَخَائِلِ، مُتَجَدِّدُ الْفَضَائِلِ، إِلَى عِلْمٍ لَا يُدْرَكُ مِضْمَارُهُ، وَلَا يُشَقُّ[(٤)] غُبَارُهُ، فَإِذَا حَمَلَنِي عَلَى مُسَاجَلَتِهِ[(٥)] فَقَدْ عَرَّضَنِي لِلتَّكَشُّفِ، وَإِنْ عَرَضَنِي عَلَى مِحْنَةِ التَّتَبُّعِ فَقَدْ سَلَبَنِي ثَوْبَ التَّجَمُّلِ.

فَصْلٌ: وَصَلَ كِتَابُ مَوْلَايَ:

فَكَمْ فَرْحَةٍ أَدَّى وَكَمْ كُرْبَةٍ جَلَّى
وَكَمْ بَهْجَةٍ أَوْلَى وَكَمْ غُمَّةٍ سَلَّا[(٦)]

---

(١) أي لا يفدحه ولا يثقله (٢) الجرائر: الذنوب (٣) مؤتنف: مستأنف، المخائل جمع مخيلة: المحاسن (٤) أي لا يجارى ولا يلحق، وهذا المثل يضرب للسابق المبرز ولمن لا قرن له يجاريه (٥) المساجلة: تناشد الأشعار والمفاضلة (٦) من سل يسل: نزع

وَسَأَلْتُ اللهَ وَاهِبَ خِصَالِ الْفَضْلِ لَهُ ، وَجَامِعَ خِلَالِ النُّبْلِ فِيهِ ، وَحَائِزَ جَمَالِ الْمُرُوءَةِ لِلزَّمَانِ بِبَقَائِهِ ، وَمَانِحَ كَمَالِ الْمَزِيَّةِ لِلْإِخْوَانِ بِمَكَانِهِ ، أَنْ يَتَوَلَّى حِفْظَ النِّعَمِ النَّفِيسَةِ ، وَيُدِيمَ حِيَاطَةَ هَذِهِ الْمَنَائِحِ الْخَطِيرَةِ بِصِيَانَةِ تِلْكَ الشِّيَمِ الْعَلِيَّةِ ، حَتَّى تَسْتَوْفِيَ الْمَكَارِمُ أَعْلَى حَظِّهَا فِي أَيَّامِهِ ، وَتَجُوزَ الْفَضَائِلُ أَقْصَى غَايَاتِهَا فِي مِضْمَارِهِ :

فَيَنْجَحَ ذُو فَضْلٍ وَيَكْمَدَ نَاقِصٌ
وَيَبْهَجَ ذُو وُدٍّ وَيُكْبَتَ حَاسِدُ

فَصْلٌ : وَمَا أَرْتَضِي نَفْسِي لِمُخَاطَبَةِ مَوْلَايَ إِلَّا إِذَا كُنْتُ مَنْفِيَّ الشَّوَاغِلِ فَارِغَ الْخَوَاطِرِ ، مُخَلَّى الْجَوَارِحِ مُطْلَقَ الْإِسَارِ سَلِيمَ الْأَفْكَارِ ، فَكَيْفَ بِي مَعَ كَلَالِ الْحَدِّ وَانْغِلَاقِ الْفَهْمِ ، وَاسْتِبْهَامِ الْقَرِيحَةِ وَاسْتِعْجَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَالْمُعَوَّلُ عَلَى النِّيَّةِ وَهِيَ لِمَوْلَايَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَكْشُوفَةٌ ، وَالْمَرْجِعُ إِلَى الْعَقِيدَةِ وَهِيَ بِالْوَلَاءِ الْمَحْضِ مَعْرُوفَةٌ ، وَلَا مَجَالَ لِلْعَتْبِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، كَمَا لَا مَجَازَ لِلْعُذْرِ وَرَاءَ هَذِهِ الْخِلَالِ .

وَكَتَبَ إِلَى الصَّاحِبِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّادٍ قَصِيدَةً مِنْهَا :

إِذَا الْغُيُومُ ارْجَحَنَّ[1] بَاسِقُهَا وَحَفَّ أَرْجَاءَهَا بَوَارِقُهَا
وَابْتَسَمَتْ فَرْحَةً لَوَامِعُهَا وَاحْتَفَلَتْ عَبْرَةً حَمَالِقُهَا
وَقِيلَ : طُوبَى لِبَلْدَةٍ نُتِجَتْ بِجَوٍّ أَكْنَافِهَا بَوَارِقُهَا
فَلْيَسْقِ غَيْثُ النَّدَى أَبَا الْقَاسِمِ الْـ ـقَرْمَ وَزِيرَ الْأَنَامِ وَادِقُهَا

وَهِيَ طَوِيلَةٌ ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ — نَتَائِجُ أَرْيَحِيَّةٍ أَثَارَتْهَا مُخَاطَبَاتُ مَوْلَايَ ، الَّتِي هِيَ أَنْقَعُ لِغُلَّتِي مِنْ بَرْدِ الشَّرَابِ ، وَأَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ بُرْدِ الشَّبَابِ ، فَجَاشَ الصَّدْرُ بِمَا أَبْرَأُ إِلَيْهِ مِنْ عُهْدَتِهِ ، وَأُسْكِنُهُ ظِلَّ أَمَانَتِهِ وَذِمَّتِهِ ، لِيُسْبِلَ عَلَيْهِ سِتْرَ مَوَدَّتِهِ ، وَيَتَأَمَّلَهُ بِعَيْنِ مَحَبَّتِهِ . نَعَمْ وَقَدْ مَحَا الزَّمَانُ آثَارَ إِسَاءَتِهِ إِلَيَّ ، بِمَا أَسْعَفَنِي بِهِ مِنْ إِقْبَالِ مَوْلَايَ عَلَيَّ ، وَتَتَابُعِ بِرِّهِ فِي مُخَاطَبَاتِهِ لَدَيَّ ، فَكُلُّ ذَنْبٍ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ مَغْفُورٌ ، وَكُلُّ جِنَايَةٍ بِهَذَا الْإِحْسَانِ مَغْمُورٌ . وَأَجَابَهُ الصَّاحِبُ بِكِتَابٍ صَدَّرَهُ بِأَبْيَاتٍ مِنْهَا :

بَدَتْ عَذَارَى مَدَّتْ سُرَادِقَهَا وَأَقْسَمَ الْحُسْنُ لَا يُفَارِقُهَا ؟

(١) ارجحن : مال واهتز .

كَوَاعِبٌ أُخْرِسَتْ دَمَالِجُهَا عَنَّا وَقَدْ أُقْلِقَتْ مَنَاطِقُهَا[١] ؟

أَمْ رَوْضَةٌ أُبْرِزَتْ مَحَاسِنُهَا وَمَا يَنِي قَطْرُهَا يُعَانِقُهَا ؟

أَمْ أَشْرَقَتْ فِقْرَةٌ بَدَائِعُهَا حَدِيقَةٌ زَانَهَا طَرَائِقُهَا ؟

لِلَّهِ حِلْفُ الْعُلَا أَبُو حَسَنٍ وَقَدْ جَرَتْ لِلْعُلَا سَوَابِقُهَا

لِلَّهِ تِلْكَ الْأَلْفَاظُ حَامِلَةً غُرَّ مَعَانٍ تَعْيَا دَقَائِقُهَا[٢]

يَكَادُ إِعْجَازُهَا يُشَكِّكُنَا فِي سُوَرٍ أَنَّهَا تُوَافِقُهَا

وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، هَذِهِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ — أَبْيَاتٌ عَلَّقَتْهَا وَالرَّوِيَّةُ لَمْ تَعْتَلِقْهَا ، وَأَعْنَقَتْ فِيهَا وَالفِكْرَةُ لَمْ تَعْتَنِقْهَا ، لَا ثِقَةً بِالنَّفْسِ وَوَفَائِهَا ، وَسُكُونًا إِلَى الْقَرِيحَةِ وَصَفَائِهَا ، بَلْ عِلْمًا بِأَنِّي وَإِنْ أَعْطَيْتُ الْجُهْدَ عِنَانَهُ ، وَفَسَحْتُ لِلْكَدِّ مَيْدَانَهُ ، لَمْ أُدَانِ مَا وَرَدَ مِنْ أَلْفَاظٍ أَيْسَرُ مَا أَصِفُهَا بِهِ الِامْتِنَاعُ عَلَى الْوَصْفِ أَنْ يَتَقَصَّاهَا ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْإِطْنَابِ أَنْ يَبْلُغَ مَدَاهَا ، وَلَقَدْ قَرَعَ سَمْعِي مِنْهَا مَا أَرَانِي الْعَجْزَ يَخْطِرُ بَيْنَ أَفْكَارِي ، وَالْقُصُورَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ إِقْبَالِي

---

(١) الشطر الأول كناية عن امتلاء الذراع ، ولذا لا نسمع للدمالج صوتا ، والشطر الثانى كناية عن ضمور الخصر ، فالمناطق قلقة ولذا يقال : وشاح مقلاق ونطاق كذلك ، والكلام استفهامي حذفت همزته من بدت فى أول الكلام .

(٢) يريد أن دقائقها تعيا على الفطاحل « عبد الخالق »

وَإِدْبَارِى، إِلَى أَنْ فَكَّرْتُ فِى أَنَّ فَضِيلَةَ الْمَوْلَى تَشْتَمِلُ عَبْدَهُ، وَتَخَيَّمُ وَإِنْ تَصَرَّفَتْ عِنْدَهُ ، فَثَابَ إِلَىَّ خَاطِرٌ نَظَمْتُ بِهِ مَا إِنْ طَالَعَهُ صَفْحاً وَجُوداً رَجَوْتُ أَنْ يَحْظَى بِطَائِلِ الْقَبُولِ ، وَإِنْ تَتَبَّعَهُ نَقْدًا تَرَاجَعَ عَلَى أَعْقَابِ الْخُمُولِ ، هٰذَا وَلَا عَارَ عَلَى مَنْ سَبَقَهُ سَبَّاقُ الْأَقْرَانِ الْمُسْتَوْلِى عَلَى قَصَبِ الرِّهَانِ .[1]

وَمِنْ شِعْرِ الْقَاشَانِىِّ الْمَشْهُورِ :

وَإِنِّى وَإِنْ أَقْصَرْتُ عَنْ غَيْرِ بِغْضَةٍ
لَرَاعٍ لِأَسْبَابِ الْمَوَدَّةِ حَافِظُ

وَمَا زَالَ يَدْعُونِى إِلَى الصَّدِّ مَا أَرَى
فَآبَى وَيَثْنِينِى إِلَيْكَ الْحَفَائِظُ

وَأَنْتَظِرُ الْعُتْبَى وَأُغْضِى عَلَى الْقَذَى
أُلَايِنُ طَوْراً فِى الْهَوَى وَأُغَالِظُ

﴿٢٦ – عَلِىُّ بْنُ الْقَاسِمِ السِّنْجَانِىُّ أَبُو الْحَسَنِ *﴾

على بن القاسم السنجانى

وَسِنْجَانُ قَصَبَةُ خَوَافَ . ذَكَرَهُ الْبَاخَرْزِىُّ فَقَالَ : هُوَ

(١) بمقارنة هذه الرسالة بما فى اليتيمة ومقابلة الشعر بالشعر ، رأيت تحريفاً كثيرا هنا وفى اليتيمة فأصلحت بقدر ما وسع فهمى . « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة بترجمة زيد فيها ما يأتى قال :

صَاحِبُ كِتَابِ مُخْتَصَرِ الْعَيْنِ ، وَمَحَلُّهُ مِنَ الْأَدَبِ مَحَلُّ الْعَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَمَحَلُّ الْإِنْسَانِ[1] مِنَ الْعَيْنِ ، وَقَدْ سَهَّلَ طَرِيقَ اللُّغَةِ عَلَى طَالِبِيهَا ، وَأَدْنَى قُطُوفَهَا مِنْ مُتَنَاوِلِيهَا بِاخْتِصَارِهِ كِتَابَ الْعَيْنِ ، وَلَا تَكَادُ تَرَى حُجُورَ الْمُتَأَدِّبِينَ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَلَهُ شِعْرُ الزُّهَّادِ وَقَدْ جَرَى فِيهِ عَلَى سَمْتِ الْعُبَّادِ ، وَنَسَجَهُ عَلَى مِنْوَالِ أُولِى الِاجْتِهَادِ ، فَمِمَّا وَقَعَ إِلَىَّ مِنْهُ قَوْلُهُ :

خَلِيلَىَّ قُومَا فَاحْمِلَا لِى رِسَالَةً وَقُولَا لِدُنْيَانَا الَّتِي تَتَصَنَّعُ

عَرَفْنَاكِ يَا خَدَّاعَةَ الْخَلْقِ فَاعْزُبِى
أَلَسْنَا نَرَى مَا تَصْنَعِينَ وَنَسْمَعُ ؟

فَلَا تَتَحَلَّىْ لِلْعُيُونِ بِزِينَةٍ فَإِنَّا مَتَى مَا تُسْفِرِى نَتَقَنَّعُ

نُغَطِّى بِثَوْبِ الْيَأْسِ مِنَّا عُيُونَنَا
إِذَا لَاحَ يَوْمًا مِنْ مَخَازِيكِ مَطْمَعُ

وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا مُتْعَةٌ مُسْتَعَارَةٌ ؟
فَلَمْ يَهْنِنَا مِمَّا رَعَيْنَاهُ مَرْتَعُ

— عن قليل سرائر الخلق تفشو في مقام يشيب فيه الوليد
أى يوم هناك يومي إذا ما جمع الخلق موقف مشهود
وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(١) يريد إنسان العين

فَأَنْتِ خَلُوبٌ(١) كَالْغَمَامَةِ كُلَّمَا

رَجَاهَا مُرَجِّى الْغَيْثِ ظَلَّتْ تَقَشَّعُ(٢)

طَلُوعٌ قَبُوعٌ(٣) كَالْمُغَازِلَةِ الَّتِي تَطَلَّعُ أَحْيَانًا وَحِينًا تَقَبَّعُ

وَلَهُ يَرْثِي نَفْسَهُ :

دَبَّتْ إِلَيَّ بَنَاتُ الْأَرْضِ مُسْرِعَةً

حَتَّى تَمَشَّيْنَ فِي قَلْبِي وَفِي كَبِدِي

وَالْعَيْنُ مِنِّي فُوَيْقَ الْخَدِّ سَائِلَةٌ

وَطَالَمَا كُنْتُ أَحْمِيهَا مِنَ الرَّمَدِ

﴿ ٢٧ – عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ اللِّحْيَانِيُّ * ﴾

على بن المبارك اللحيانى

وَقِيلَ عَلِيُّ بْنُ حَازِمٍ وَيُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ ، أَخَذَ عَنِ الْكِسَائِيِّ ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ . وَلَهُ كِتَابُ النَّوَادِرِ . قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ : وَمِمَّنْ أَخَذَ عَنِ الْكِسَائِيِّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ

(١) خلوب : خداعة (٢) تقشع : تنكشف وتزول (٣) طلوع قبوع : تظهر ثم تختفى ، وتقبل ثم تدبر

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

حَازِمٍ الْخُتَّلِيُّ [١] اللِّحيَانِيُّ مِنْ بَنِي لِحْيَانَ بْنِ هُذَيْلِ بْنِ مُدْرِكَةَ ابْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ صَاحِبُ كِتَابِ النَّوَادِرِ ، وَقِيلَ سُمِّيَ اللِّحْيَانِيَّ لِعِظَمِ لِحْيَتِهِ .

حَدَّثَنِي أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الطُّوسِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ اللِّحْيَانِيِّ قَالَ أَبُو عُمَرَ : وَسَمِعْتُ ثَعْلَبًا يَقُولُ : قَالَ الْأَحْمَرُ : خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الْكِسَائِيِّ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا اللِّحْيَانِيُّ جَالِسٌ فَقَالَ لِي : أُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ فَتَشْفَعَ لِي إِلَى الْكِسَائِيِّ لِأَقْرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ النَّوَادِرَ . قَالَ : فَدَخَلْتُ إِلَى الْكِسَائِيِّ فَقُلْتُ لَهُ . فَقَالَ : هُوَ بَغِيضٌ ثَقِيلُ الرُّوحِ . قَالَ الْأَحْمَرُ : وَكَانَ اللِّحْيَانِيُّ وَرِعًا . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : أُحِبُّ أَنْ تَفْعَلَ فَأَبَى فَخَرَجْتُ إِلَى اللِّحْيَانِيِّ فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا فَلِمَ لَا تَنْبَسِطُ مَعَهُ ؟ فَقَالَ : دَعْنِي وَإِيَّاهُ . قَالَ اللِّحْيَانِيُّ : فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ مُلُوكِيٍّ وَعَلَيْهِ بَغْدَادِيَّةٌ [٢] مُشَهَّرَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ بَطِّيخِيَّةٌ [٣] وَبِيَدِهِ كِسْرَةٌ سَمِيذٍ وَهُوَ يَفُتُّهَا لِلْحَمَامِ . قَالَ

---

(١) قال في القاموس . وختل كسكر . كورة ببلاد ماوراء النهر منها . . . . . وعلي بن حازم أبو الحسن اللحياني اللغوي الختّليون (٢) يريد ثيابا بغدادية من الثياب المشهرة (٣) والبطيخية : قلنسوة على شكل البطيخة تسمى أرصوصة كما ذكر ذلك صاحب المخصص . « عبد الخالق »

ثَعْلَبٌ : وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ أَفْسَدَهُ. قَالَ : فَقَالَ لِي : مَاتَقُولُ فِي النَّبِيذِ؟قُلْتُ أَنَا؟قَالَ نَعَمْ ، قُلْتُ أَحْسُوهُ ثُمَّ أَفْسُوهُ. قَالَ:فَضَحِكَ مِنِّي وَقَالَ : أَنْتَ ظَرِيفٌ فَاكْتُمْ مَاسَمِعْتَ وَأَقْرَأْ مَاشِئْتَ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ وَخَرَجْتُ فَإِذَا الْحِجَارَةُ تَأْخُذُ كَعْبِيَّ فَالْتَفَتُّ أَقُولُ مَنْ ذَا ؟ فَإِذَا هُوَ مِنْ مَنْظَرٍ لَهُ يَقُولُ : مَنْ كُنْتَ تَقْرَأُ عَلَيْهِ حَتَّى صَدَّعْتَهُ الْيَوْمَ . قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: وَقَدْ أَخَذَ اللِّحْيَانِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ وَأَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِيِّ وَعُمْدَتُهُ عَلَى الْكِسَائِيِّ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْكُوفَةِ كُلُّهُمْ يَأْخُذُونَ عَنِ الْبَصْرِيِّينَ، وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ يَمْنَعُونَ مِنَ الْأَخْذِ عَنْهُمْ ، لِأَنَّهُمْ لَايَرَوْنَ الْأَعْرَابَ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمْ حُجَّةً .

قَالَ ابْنُ جِنِّيٍّ فِي الْخَصَائِصِ : ذَاكَرْتُ يَوْماً أَبَا عَلِيٍّ بِنَوَادِرِ اللِّحْيَانِيِّ فَقَالَ : كُنَاسَةٌ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ مِقْسَمٍ يَقُولُ : إِنَّ كِتَابَهُ لَايَصِلُهُ بِهِ رِوَايَةٌ وَقَدَحَا فِيهِ وَغَضَّا مِنْهُ .

علي بن المبارك المعروف بابن الزاهدة

﴿ ٢٨ — عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ عَلِيٍّ * ﴾

ابْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ بَانَوَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ

(*) ترجم له في كتاب أنباء الرواة .

الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزَّاهِدَةِ النَّحْوِيُّ صَاحِبُ ابْنِ الْخَشَّابِ وَلَيْسَ بِابْنِ الزَّاهِدِ، فَإِنَّ فِي أَصْحَابِ ابْنِ الْخَشَّابِ آخَرَ يُعْرَفُ بِابْنِ الزَّاهِدِ بِغَيْرِ هَاءٍ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ مَذْكُورٌ فِي بَابِهِ. وَالزَّاهِدَةُ هَذِهِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا أُمُّهُ، وَاسْمُهَا أَمَةُ السَّلَامِ الْمُبَارَكَةُ بِنْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْخَرْبَشِ، وَكَانَتْ وَاعِظَةً مَشْهُورَةً رَوَتِ الْحَدِيثَ، مَاتَ ابْنُ الزَّاهِدَةِ هَذَا فِي ثَالِثِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدَتِهِ بِرِبَاطٍ لَهُمْ بِدَرْبِ الْبَقَرِ بِمَحَلَّةِ الظَّفَرِيَّةِ، وَكَانَ أَيْضاً يَسْكُنُ بِالظَّفَرِيَّةِ فِي حَيَاتِهِ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالنَّحْوِ، قَرَأَ عَلَى الشَّرِيفِ أَبِي السَّعَادَاتِ بْنِ الشَّجَرِيِّ، ثُمَّ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ ابْنِ الْخَشَّابِ، وَأَقْرَأَ الْعَرَبِيَّةَ مُدَّةً وَسَمِعَ مِنْهُ الطَّلَبَةُ وَأُنْشِدْتُ لَهُ:

إِذَا اسْمٌ بِمَعْنَى الْوَقْتِ يُبْنَى لِأَنَّهُ
يُضَمَّنُ مَعْنَى الشَّرْطِ مَوْضِعُهُ نَصْبُ
وَيَعْمَلُ فِيهِ النَّصْبُ مَعْنَى جَوَابِهِ
وَمَا بَعْدَهُ فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ يَا نَدْبُ

وَلَهُ فِي كِتَابِ الْخَرِيدَةِ مِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَهَا إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ :

أَلَا حَيِّيَا بِالرَّقْمَتَيْنِ(١) الْمَعَالِمَا
وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَصْبَحْنَ دُرْساً طَوَاسِمَا

وَمِنْ مَدِيحِهَا :

إِذَا كَانَتِ الْأَعْدَاءُ فِعْلًا مُضَارِعاً
أَصَارَ مَوَاضِيهِ الْحُرُوفَ الْجَوَازِمَا

﴿ ٢٩ — عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ * ﴾

علي بن المحسن التنوخي

قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ النَّسَبِ : هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ ابْنُ الْمُحَسِّنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَهْمِ ، وَاسْمُ أَبِي الْفَهْمِ دَاوُدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَمِيمِ بْنِ جَابِرِ بْنِ هَانِئِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مَرْبَطِ بْنِ سَرْحِ بْنِ نِزَارِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ فَهْمِ بْنِ تَيْمِ اللهِ بْنِ أَسَدِ بْنِ وَبَرَةَ بْنِ

(١) الرقمة : الروضة أو جانب الوادى

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة بترجمة زادت مايأتى :

لم أنس دجلة والدجى متصوب … والبدر فى أفق السماء مغرب
فكأنها فيه بساط أزرق … وكأنه فيها طراز مذهب

وترجم له فى كتاب أنباء الرواة صفحة ٥٤٠

تَغْلِبَ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ . سَمِعَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ كَيْسَانَ النَّحْوِيَّ ، وَإِسْحَاقَ بْنَ سَعْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سُفْيَانَ النَّسَوِيَّ ، وَرَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ فَأَكْثَرَ ، وَكَانَ قَدْ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ عِنْدَ الْحُكَّامِ فِي حَدَاثَتِهِ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْآبَنُوسِيُّ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي مُحَرَّمِهَا . قَالَ الْخَطِيبُ : وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : وُلِدْتُ بِالْبَصْرَةِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

قَالَ : وَكَانَ مُعْتَزِلِيًّا ، قَالَ : وَكَانَ عِنْدَهُ كِتَابُ الْقَدَرِ لِجَعْفَرٍ الْفِرْيَابِيِّ ، وَكَانَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ يَتَحَاشَوْنَ مِنْ مُطَالَبَتِهِ بِإِخْرَاجِهِ ، فَطَالَبْتُهُ بِهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ ، وَسَمِعُوا أَوْ كَمَا قَالَ . وَكَانَ التَّنُوخِيُّ سَاكِتاً لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ .

قَالَ : وَكَانَ دَخْلُ التَّنُوخِيِّ كُلَّ شَهْرٍ مِنَ الْقَضَاءِ وَدَارِ الضَّرْبِ وَغَيْرِهِمَا سِتِّينَ دِينَاراً ، فَيَمُرُّ الشَّهْرُ وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ الْخَطِيبُ وَالصُّورِيُّ

وَغيرُهما يَبيتُون عِنْدَه ، وَكَانَ ثِقَةً فِي الْحَدِيثِ مُتَحَفِّظاً فِي الشَّهَادَةِ مُحْتَاطاً صَدُوقاً ، وَتَقَلَّدَ قضاءَ عِدَّةِ نَوَاحٍ مِنْهَا الْمَدَائِنُ وَأَعْمَالُهَا وَدَرْزِيجَانُ وَالْبَرَدَانُ وَقَرْمِيسِينُ .

وَحَدَّثنَا الْهَمَذَانِيُّ فِي تَارِيخِهِ بَعْدَ ذِكْرِ مَوْلِدِهِ وَوَفَاتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ ظَرِيفاً نَبِيلًا فَاضِلًا جَيِّدَ النَّادِرَةِ .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدُ اللهِ بْنُ الدَّامغَانِيِّ : دَخَلْتُ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِقَلِيلٍ وَقَدْ عَلَتْ سِنُّهُ فَأَخْرَجَ إِلَيَّ وَلَدَهُ مِنْ جَارِيَتِهِ ، فَلَمَّا رَآهُ بَكَى فَقُلْتُ : تَعِيشُ إِنْ شَاءَ اللهُ وَتُرَبِّيهِ وَيُقِرُّ اللهُ عَيْنَكَ بِهِ ، فَقَالَ : هَيْهَاتَ وَاللهِ مَا يَتَرَبَّى إِلَّا يَتِيماً وَأَنْشَدَ :

أَرَى وَلَدَ الْفَتَى كَلًّا عَلَيْهِ لَقَدْ سَعِدَ الَّذِي أَمْسَى عَقِيمَا
فَإِمَّا أَنْ يُخَلِّفَهُ عَدُوًّا وَإِمَّا أَنْ يُرَبِّيَهُ يَتِيمَا

ثُمَّ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَنِي مِنْ أُمِّهِ ـ فَإِنِّي قَدْ أَعْتَقْتُهَا ـ عَلَى صَدَاقِ عَشَرَةِ دَنَانِيرَ فَفَعَلْتُ ، وَكَانَ كَمَا قَالَ تَرَبَّى يَتِيماً ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُحَسِّنِ . قَبِلَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ شَهَادَتَهُ ، ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَانْقَرَضَ بَيْتُهُ .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ: وُلِدَ لِأَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ وَلَدٌ فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ: أَيُّهَا الْقَاضِي، كُنْتَ مُنْذُ شُهُورٍ قَرِيبَةٍ قُلْتَ لِي: إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ هَذَا الشَّأْنَ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ الْأَوْلَادُ مُنْذُ سِنِينَ، وَإِنَّهُ لَا حَاسَّةَ بَقِيَتْ لَكَ وَلَا شَهْوَةَ وَلَا قُدْرَةَ عَلَى هَذَا الْفَنِّ، وَأَنْتَ الْيَوْمَ تُقِرُّ عِنْدِي بِوَلَدٍ رُزِقْتَهُ، فَفِي أَيِّ الْقَوْلَيْنِ أَنْتَ كَاذِبٌ أَيُّهَا الْقَاضِي؟ فَقَالَ لَهُ: اللَّهُمَّ غَفْرًا، اللَّهُمَّ غَفْرًا، وَخَجِلَ وَقَامَ. قَالَ: وَاجْتَازَ يَوْمًا فِي بَعْضِ الدُّرُوبِ فَسَمِعَ امْرَأَةً تَقُولُ لِأُخْرَى: كَمْ عُمْرُ بِنْتِكِ يَا أُخْتِي؟ فَقَالَتْ لَهَا: رُزِقْتُهَا يَوْمَ شُهِّرَ بِالْقَاضِي التَّنُوخِيِّ وَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَقَالَ: يَا بَظْرَاءُ صَارَ صَفْعِي تَارِيخَكِ وَمَا وَجَدْتِ تَارِيخًا غَيْرَهُ؟ وَكَانَ أَعْمَشَ الْعَيْنَيْنِ لَا تَهْدَأُ جُفُونُهُ مِنَ الِانْخِفَاضِ وَالِارْتِفَاعِ وَالتَّغْمِيضِ وَالِانْفِتَاحِ، فَقَالَ فِيهِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بَابَكَ الشَّاعِرُ:

إِذَا التَّنُوخِي انْتَشَا ... وَغَاضَ ثُمَّ انْتَعَشَا

أَخْفَى عَلَيْهِ إِنْ مَشِيـ ... ـتُ وَهُوَ يَخْفَى إِنْ مَشَا

فَلَا أَرَاهُ قِلَّةً ... وَلَا يَرَانِي عَمَشَا

وَكَانَ تَوَلَّى دَارَ الضَّرْبِ فَقَالَ الْبُصْرَوِيُّ فِيهِ :

وَفِي أَمَضِّ الْأَعْمَالِ قَاضٍ لَيْسَ بِأَعْمَى وَلَا بَصِيرِ
يَقْضَمُ مَايُجْتَبَى إِلَيْهِ قَضْمَ الْبَرَاذِينِ لِلشَّعِيرِ

قَالَ غَرْسُ النِّعْمَةِ : حُدِّثْتُ أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى التَّنُوخِيِّ عَلَى الطَّرِيقِ وَهُوَ رَاكِبٌ حِمَارَهُ وَأَعْطَاهُ رُقْعَةً وَبَعُدَ مُسْرِعاً فَفَتَحَهَا وَإِذَا فِيهَا :

إِنَّ التَّنُوخِيَّ بِهِ أُبْنَةٌ كَأَنَّهُ يَسْجُدُ لِلْفَيْشِ
لَهُ غُلَامَانِ يَنِيكَانِهِ بِعِلَّةِ التَّزْوِيجِ فِي الْخَيْشِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ :رُدُّوا ذَاكَ زَوْجَ الْقَحْبَةِ الَّذِي أَعْطَانِي الرُّقْعَةَ ، فَعَدَوْا وَرَاءَهُ فَرَدُّوهُ فَقَالَ : هَذِهِ الرُّقْعَةُ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : لَا ، أَعْطَانِيهَا بَعْضُ النَّاسِ وَأَمَرَنِي أَنْ أُوَصِّلَهَا إِلَيْكَ ، قَالَ : قُلْ لَهُ : يَا كَشْخَانُ (١) يَاقَرْنَانُ يَازَوْجَ أَلْفِ قَحْبَةٍ ، هَاتِ زَوْجَتَكَ وَأُخْتَكَ وَأُمَّكَ إِلَى دَارِي ، وَانْظُرْ مَايَكُونُ مِنِّي إِلَيْهِمْ ،

(١) الكشخان : الديوث الذي لا غيرة له ، وكذا القرنان ، إلا أن القرنان يمتاز بأن له شريكا في قرينته أي زوجته

وَاحكُمْ ذَلِكَ الْوَقْتَ بِمَا قَدْ حَكَمْتَ بِهِ فِي رُقْعَتِكَ أَوْ بِضِدِّهِ، قَفَاهُ قَفَاهُ، فصفعوه وَافْتَرَقَا.

قَالَ غَرْسُ النِّعْمَةِ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعْدٍ الْمَانِدَائِيُّ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ وَكَانَتْ عَيْنُهُ رَمِدَةً أَتعَرَّفُ خَبَرَهُ فَقَالَ لِي: حَدِّثْنِي مَنْ رَأَيْتَ وَمَا رَأَيْتَ فِي طَرِيقِكَ؟ فَقُلْتُ: رَأَيْتُ مِنْسَفًا فِيهِ نَحْوُ عِشْرِينَ رِطْلاً رُطَبًا أَزَاذًا لِقَاطًا[1] مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ. فَقَالَ لِغُلَامِهِ: يَا أَحْمَدُ، عَلَيَّ بِالْمِنْسَفِ السَّاعَةَ، فَمَضَى أَحْمَدُ وَابْتَاعَهُ وَجَاءَ بِهِ. كَحَلَ عَيْنَهُ وَغَسَلَهَا مِنَ الدَّوَاءِ الَّذِي فِيهَا وَقَالَ لِي: كُلْ حَتَّى آكُلَ، فَقُلْتُ يَا سَيِّدِي عَيْنُكَ رَمِدَةٌ فَكَيْفَ تَأْكُلُ رُطَبًا؟ فَقَالَ: كُلْ فَعَيْنِي تَهْدَأُ وَالرُّطَبُ يَفْنَى، فَأَكَلَ وَاللهِ مِنْهُ حَتَّى وَقَفَ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي قَالَ: كُنْتُ لَيْلَةً بَائِتًا عِنْدَهُ فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَمَا زَالَ طَرَفُ النِّطْعِ الَّذِي تَحْتَهُ يَصْعَدُ وَيَنْزِلُ وَيَصْفَعُ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا سُقُوطُ السَّاعَةِ أَمْ مُصَافَعَةٌ؟ فَقُلْتُ: مِمَّنْ يَا سَيِّدَنَا؟ فَقَالَ: فُضُولُكَ وَضَحِكْنَا.

---

(١) الأزاذ كسحاب: نوع من التمر، واللقاط: الطيبات منه، والمفرد لقط.

قَالَ : وَحَدَّثنِي قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاضِي قَالَ: كُنْتُ يَوْماً فِي وَقْتِ الْقَيْلُولَةِ نَائِماً فَاجْتَازَ وَاحِدٌ غَثٌّ يَصِيحُ صِيَاحاً أَزْعَجَنِي وَأَيْقَظَنِي : شَرَّاكُ النِّعَالِ ، شَرَّاكُ النِّعَالِ . فَقُلْتُ لِأَحَدِ الْغُلَامِ : خُذْ كُلَّ نَعْلٍ لِي وَلِمَنْ فِي دَارِي وَأَخْرِجْهَا إِلَى هَذَ الرَّجُلِ لِيَرُمَّهَا وَيَشْتَغِلَ بِهَا فَفَعَلَ ، وَنِمْتُ إِلَى أَنِ اكْتَفَيْتُ ثُمَّ انْتَبَهْتُ وَصَلَّيْتُ الْعَصْرَ وَأَعْطَيْتُهُ أُجْرَتَهُ وَمَضَى ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ جَاءَ وَأَنَا نَائِمٌ فَصَاحَ وَأَنْبَهَنِي فَقُلْتُ لِلْغُلَامِ : أَدْخِلْهُ ، فَأَدْخَلَهُ فَقُلْتُ : يَامَاصَّ كَذَا وَكَذَا مِنْ أُمِّهِ ، أَمْسِ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَصْلَحْتَ كُلَّ نَعْلٍ لَنَا ، وَعُدْتَ الْيَوْمَ تَصِيحُ عَلَى بَابِنَا ، أَبَلَغَكَ أَنَّنَا الْبَارِحَةَ تَصَافَعْنَا بِالنِّعَالِ وَقَطَّعْنَاهَا؟ وَقَدْ عُدْتَ الْيَوْمَ لِعَمَلِهَا وَإِصْلَاحِهَا ، قَفَاهُ . فَقَالَ يَا سَيِّدَنَا الْقَاضِي : أَوْ أَتُوبَ أَلَّا أَدْخُلَ هَذَا الدَّرْبَ؟ قُلْتُ : فَمَا تَتْرُكُنِي أَنَامُ وَلَا أَهْدَأُ وَلَا أَسْتَقِرُّ؟ فَحَلَفَ أَلَّا يَعُودَ إِلَى الدَّرْبِ وَأَخْرَجْتُهُ إِلَى لَعْنَةِ اللهِ . قَالَ : وَرَأَيْتُهُ يَوْماً عِنْدَ الرَّئِيسِ الْوَالِدِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — وَهُوَ يَشْكُو إِلَيْهِ قُبْحَ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمُسْلِمَةِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ وَقَصْدِهِ

لَهُ وَغَضِّهِ مِنْهُ ، وَتَنَاهَى غَضَبُهُ إِلَى أَنْ أَخَذَ الدَّوَاةَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الرَّئِيسِ وَرَفَعَهَا إِلَى فَوْقِ رَأْسِهِ وَقَالَ : وَاللهِ لَقَدْ بَالَ فِي حِجْرِي وَعَلَى ثِيَابِي بِعَدَدِ الرَّمْلِ وَالْحَصَا وَالتُّرَابِ، وَحَطَّ الدَّوَاةَ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ فَكُسِرَتْ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ وَانْصَرَفَ وَقَدِ اسْتَحْيَا وَبَقِينَا مُتَعَجِّبِينَ مِنْهُ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعْدٍ الْمَانِدَائِيُّ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْقَاضِي التَّنُوخِيِّ وَقَدْ خَرَجَ يَوْماً مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ لِيَعْبُرَ إِلَى دَارِهِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، فَلَمَّا بَلَغْنَا مَشْرَعَةَ نَهْرِ مُعَلَّى صَاحَ بِهِ الْمَلَّاحُونَ : يَاشَيْخُ يَاشَيْخُ ، تَعَالَ هُنَا تَعَالَ هُنَا ، فَوَقَفَ وَقَالَ لَهُمْ : كُلُّ مُرْدِيٍّ[1] مَعَكُمْ وَمِجْذَافٍ فِي كَذَا وَكَذَا مِنْ نِسَائِكُمْ، مَافِيكُمْ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُنِي وَيَعْلَمُ أَنِّي الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ يَا كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ نَزَلَ وَهُوَ يَسُبُّهُمْ وَيَشْتِمُهُمْ وَالْمَلَّاحُونَ وَأَنَا قَدْ مُتْنَا بِالضَّحِكِ. وَجَاءَهُ غُلَامٌ قَدْ تَزَوَّجَ وَكَتَبَ كِتَاباً بِمَهْرٍ يُشْهِدُهُ فِيهِ وَاسْتَحْيَا الْغُلَامُ مِنْ ذَلِكَ فَجَذَبَ طَاقَةً مِنْ حَصِيرِ الْقَاضِي وَجَعَلَ يَقْطَعُهَا لِحَيَائِهِ وَخَجَلِهِ، وَلَحَظَهُ الْقَاضِي فَقَالَ يَاهَذَا : أَنَا أَشْهَدُ لَكَ فِي كِتَابٍ يَقْتَضِي أَنْ يُحْمَلَ بِهِ إِلَيْكَ الْقُمَاشُ

(١) المردى : خشبة تدفع بها السفينة والجمع مرادىّ

وَالْجِهَازُ اللَّذَانِ يُعَمِّرَانِ بَيْتَكَ وَيُجَمِّلَانِ أَمْرَكَ، وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِقَطْعِ حَصِيرِي وَتَخْرِيبِ بَيْتِي؟ وَشَقَّ الْكِتَابَ قِطَعًا وَلَمْ يَشْهَدْ فِيهِ وَرَمَى بِهِ إِلَيْهِ، فَأَخَذَهُ وَانْصَرَفَ مُتَعَجِّبًا.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي الرَّئِيسُ أَبُو الْحُسَيْنِ وَالِدِي قَالَ: شَهِدَ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ — مُنْذُ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ النِّصْفَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ —، نَيِّفًا[1] وَسِتِّينَ سَنَةً مَا وُقِفَ لَهُ عَلَى زَلَّةٍ وَلَا غَلْطَةٍ. وَأَذْكُرُ لَهُ حِكَايَةً وَهِيَ: أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّهُودِ عَلَى زَوْجَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي تَمَّامٍ الْهَاشِمِيِّ نَقِيبِ النُّقَبَاءِ فِي إِقْرَارٍ أَقَرَّتْ بِهِ، فَلَمَّا سَمِعُوا إِقْرَارَهَا مِنْ وَرَاءِ السِّتَارَةِ لَمْ يُقْنِعْهُمْ ذَاكَ، وَأَرَادُوا مَنْ يَشْهَدُ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْمُقِرَّةَ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْكِتَابِ بِعَيْنِهَا، وَأَنْ يُشَاهِدُوهَا حَتَّى يُسَلِّمُوا لَهُ، وَيَصِحَّ أَنْ يَشْهَدُوا عَلَيْهَا بِالْمَعْرِفَةِ، فَلَمْ يُقْدِمُوا عَلَى ذَلِكَ وَخِطَابِ

(١) نيفا معمول لشهد السابقة

أَبِي تَمَّامٍ فِيهِ ، فَخَرَجَ وَلَدُهُ مِنْهَا فَقَامَ لَهُ التَّنُوخِيُّ وَأَخَذَهُ إِلَى حِجْرِهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ : قَلِيلًا قَلِيلًا ، مَنْ هَذِهِ الَّتِي تُكَلِّمُنَا مِنْ وَرَاءِ السِّتَارَةِ وَتُحَدِّثُنَا وَتُشْهِدُنَا عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : سِتِّي ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَقَالَ لَهُمْ : اشْهَدُوا يَاسَادَةُ ، فَأَنَا أَشْهَدُ عِنْدَكُمْ أَنَّ الْمُقِرَّةَ عِنْدَنَا مِنْ وَرَاءِ السِّتَارَةِ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْكِتَابِ بِعَيْنِهَا ، فَشَهِدُوا وَشَهِدَ مَعَهُمْ . وَقَالَ مِنْ بَعْدِ : هَذَا صَبِيٌّ لَا يَعْرِفُ مَا نَحْنُ فِيهِ ، وَلَوْ كَانَ خَلْفَ السِّتَارَةِ غَيْرُ سِتِّهِ لَقَالَ ، وَلَمَّا كَانَتْ هِيَ بِعَيْنِهَا قَالَ : هِيَ سِتِّي . وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ أَجَلَّ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا مَعَنَا .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : كَانَ لَنَا غُلَامٌ يُعْرَفُ بِجَمِيلَةَ فَابْتَاعَ أَلْفَ سَابِلٍ[1] سِرْجِيناً مِنْ مَلَّاحٍ يُعْرَفُ بِالدَّابَّةِ لِيَحْمِلَهُ إِلَى قَرَاحِنَا[2] الْمُشَجَّرِ فِي نَهْرِ عِيسَى لِيُطْرَحَ فِي أُصُولِ الشَّجَرِ ، فَلَمَّا ذَكَرَ جَمِيلَةُ ذَاكَ لِلرَّئِيسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ : اُكْتُبْ عَلَيْهِ خَطًّا

(١) سابل وحدة من الواحدات يقدر بها ، ولم أجد لها أصلا فى القاموس ، ويظهر أنها اصطلاح عامي ، وأما السرجين : فهو روث الدواب وهذا ما يطلق عليه اسم سبلة فى عرف العامة . (٢) القراح : الأرض لا ماء بها ولا شجر ولكنها هنا مشجرة أى بها الشجر

وَأَشْهِدْ فِيهِ يَعْنِي الْمُعَلِّمَ فِي الدَّارِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُ ، فَكَتَبَ جَمِيلَةُ عَلَى الْمَلَّاحِ رُقْعَةً وَمَضَى بِهَا لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ عَادَ التَّنُوخِيُّ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ وَهُوَ جَائِعٌ حَاقِنٌ تَعِبٌ وَالزَّمَانُ صَائِفٌ ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَدَعَا لَهُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ غُلَامُ فُلَانٍ . قَالَ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : شَهَادَةٌ . قَالَ لَهُ : اُقْعُدْ وَدَخَلَ فَخَلَعَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ بَيْتَ الطَّهَارَةِ وَأَطَالَ وَالْغُلَامُ يَصِيحُ يَا سَيِّدَنَا أَنَا قَاعِدٌ مِنْ ضَحْوَةِ النَّهَارِ إِلَى السَّاعَةِ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ؟ اُصْبِرْ حَتَّى أَخْرَا ، اُصْبِرْ حَتَّى أَخْرَا ، اُصْبِرْ حَتَّى أَخْرَا ، ثُمَّ تَوَضَّأَ لِيُصَلِّيَ فَلَمْ يُهَنِّئْهُ[1] فَقَالَ : اُدْخُلْ دَخَلَتْ بَطْنَكَ الشَّمْسُ ، فَقَدْ وَاللهِ حَيَّرْتَنِي وَجَنَّنْتَنِي ، فَلَمَّا دَخَلَ أَعْطَاهُ الرُّقْعَةَ فَقَرَأَهَا وَقَالَ : وَيْلَكَ ، مَا اسْمُ هَذَا الْمَلَّاحِ ؟ فَقَالَ الدَّابَّةُ يَا سَيِّدِي ، فَقَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ يُقِرُّ بِهِ ؟ وَيْلَكَ فَمَا أَقِفُ عَلَيْهِ ، أَرَى خَمْسَةَ آلَافِ سَابِلٍ وَلَا أَدْرِي مَا بَعْدَهُ ، فَقَالَ يَاسَيِّدَنَا خَمْسَةُ آلَافِ سَابِلٍ سِرْقِينٍ[2] . فَقَالَ لَهُ : وَمَا السِّرْقِينُ[3] ؟ فَقَالَ : خَرْءُ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ .

---

(١) يريد لم يتركه يهنأ بحاله (٢) السرجين والسرقين : الزبل معرب سركين بالفارسية (٣) استفهام تهكمي

قَالَ : يَا مَاصَّ بَظْرِ أُمِّهِ ، أَنَا شَاهِدُ الْخَرْءِ ؟ وَنَهَضَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُغْتَاظٌ فَأَخَذَ يَنْتِفُ ذَقْنَهُ وَيَضْرِبُ رَأْسَهُ وَفَكَّهُ إِلَى أَنْ جَرَى الدَّمُ مِنْ فِيهِ وَأَخْرَجَهُ ، وَجَاءَ إِلَى الرَّئِيسِ رَحِمَهُ اللهُ فَحَدَّثَهُ بِمَا جَرَى عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، الشُّهُودُ يُسْتَشْهَدُونَ فِي الْخَرَا ؟ أَنْتَ بِاللهِ أَحْمَقُ . وَجَاءَنَا الْقَاضِي بَعْدَ الْعَصْرِ يَشْكُو مِنْ جَمِيلَةَ وَلَزِّهِ لَهُ وَتَوَكُّلِهِ بِهِ ، وَيَعْتَذِرُ مِمَّا جَرَّهُ جُنُونُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا انْتَهَى مَعَهُ إِلَيْهِ ، فَضَحِكْنَا عَلَيْهِ وَمَرَّتْ لَنَا سَاعَةٌ طَيِّبَةٌ بِمَا أَوْرَدَهُ عَلَيْهِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي الرَّئِيسُ أَبُو الْحَسَنِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — قَالَ : حَضَرَ عِنْدِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ يَوْماً وَقَدْ هَرَبَ الْكَافِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقِنَائِيُّ بِبَغْدَادَ ، وَخَرَجَ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَنَظَرَ أَبَا سَعْدٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَكَانَ التَّنُوخِيُّ مَائِلًا إِلَى بَنِي عَبْدِ الرَّحِيمِ وَنَابِيًا عَنْ أَضْدَادِهِمْ . فَبَدَأَ بِذِكْرِ الْقِنَائِيِّ — وَكَانَ لِي صَدِيقاً — بِقَبِيحٍ وَزَادَ وَخَشُنَ وَخَبَطَ ، فَغَمَّضْتُ عَيْنِي وَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى

مخدَّتِى لعلَّهُ يَكُفُّ وَيَقْطَعُ ، فَعلِمَ ذَاكَ مِنِّى فقفزَ إِلَىَّ يُحَرِّكُنِي وَيقُولُ : وَاللهِ مَا أَنْتَ نَائِمٌ ، وَلَكِنَّكَ مَا تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ فِي القِنَائِىِّ قَبِيحاً . فقلْتُ : مَا أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ فِي القِنَائِىِّ وَلا فِى غَيْرِهِ قَبِيحاً ، وَقَدْ تَنَاوَمْتُ لِتَقْطَعَ فَلَمْ تَفعلْ وَمَضَى ، وَبَلَغَ القِنَائِىَّ الْمَجْلِسُ بعَيْنِهِ . وَعَادَ القِنَائِىُّ إِلَى بَغْدَادَ نَاظِراً ، وَدَخَلَ التَّنُوخِىُّ إِلَيْهِ مُسلِّماً وَخَادِماً فَقَالَ لَهُ : يَا قَاضِى ، مَا فَعلْتُ بِكَ قَبِيحاً يقْتَضِى ذِكْرَكَ لِى وَطَعْنَكَ فِىَّ ، فَقَالَ : يَا مَوْلَانَا أَنَا مَجْنُونٌ . قَالَ : إِذَا كُنْتَ مَجْنُوناً فَالْمَارِسْتَانُ لِمِثْلِكَ عَمِلَ ، وَفِى حَمْلِكَ إِلَيْهِ وَمُدَاوَاتِكَ فِيهِ ثَوَابٌ وَمَصْلَحَةٌ وَكَفٌّ لَكَ عَنِ النَّاسِ وَأَذَاهُمْ بِجُنُونِكَ وَخُبَاطِكَ[1] ، يَا أَنْصَارِىُّ « لِلْعَرِيفِ عَلَى بَابِهِ » احْمِلْهُ إِلَى الْمَارِسْتَانِ وَاحْبِسْهُ مَعَ إِخْوَانِهِ الْمَجَانِينِ ، فَأُخِذَ وَحُمِلَ إِلَى الْمَارِسْتَانِ وَحُبِسَ فِيهِ ، قَالَ الرَّئِيسُ : وَعَرَفْتُ الْقِصَّةَ فَرَكِبْتُ إِلَى القِنَائِىِّ وَلَحِقَنِي الْمُرْتَضَى وَالرُّؤَسَاءُ مِنَ النَّاسِ وَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى أُفْرِجَ عَنْهُ وَأُطْلِقَهُ .

وَاجْتَازَ الْقَاضِى أَبُو الْقَاسِمِ يَوْماً فَرَأَى فِى طَرِيقِهِ كَلْباً

(١) الخباط كغراب : داء كالجنون

رَابِضاً فَقَالَ لَهُ : اُخْسَأْ(١) اُخْسَأْ اُخْسَأْ فَلَمْ يَبْرَحْ ، فَقَالَ اُخْسَأْ ، وَعَادَ عَنْهُ وَمَضَى . قَالَ أَبُوالْحَسَنِ : لَقِيتُهُ يَوْماً بِنْتُ ابْنِ الْعَلَّافِ زَوْجَةُ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ الْمُزَرَّعِ ، وَكَانَتْ عَاهِرَةً إِلَى الْحَدِّ الَّذِي تَلْبَسُ الْجُبَّةَ الْمُضَرَّبَةَ ، وَتَتَعَمَّمُ بِالْقِيَادِ(٢) وَتَأْخُذُ السَّيْفَ وَالدَّرَقَةَ(٣) ، وَتَخْرُجُ لَيْلًا فَتَمْشِي مَعَ الْعَيَّارِينَ(٤) وَتَشْرَبُ إِلَى أَنْ تَسْكَرَ وَتَعُودُ سَحَراً إِلَى بَيْتِهَا ، وَرُبَّمَا انْتَهَى بِهَا السُّكْرُ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي لَا تَمْلِكُ مَعَهُ أَمْرَ نَفْسِهَا فَيَحْمِلُهَا الْعَيَّارُونَ إِلَى دَارِ زَوْجِهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ يَا قَاضِي : مَا مَعْنَى هَذِهِ التَّاءِ الَّتِي تَكْتُبُهَا عَلَى الدَّرَاهِمِ ؟ وَكَانَ إِلَيْهِ الْعِيَارُ(٥) فِي دَارِ الضَّرْبِ ، فَقَالَ لَهَا : هَذَا شَيْءٌ يَعْمَلُونَهُ كَالْعَلَامَةِ ، أَنَّ التَّنُوخِيَّ مُتَوَلِّي الْعِيَارِ فَيَأْخُذُونَ التَّاءَ مِنْ أَوَّلِ نِسْبَتِي ، فَقَالَتْ : كَذَبْتَ وَأَثِمْتَ أَيُّهَا الْقَاضِي ، تُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ مَعْنَاهَا ؟ فَقَالَ لَهَا : قُولِي

---

(١) اخسأ : ابعد ، من خسأ الكلب : طرده (٢) القياد : الحبل الذى تقاد به الدابة ، فهى تعتم به . وفى المخصص إن من العمامة نوعا يدعى العصاد وقال : إنه ما يلف على الرأس من خرقة أو منديل دون العمامة ، فلعل هذا هو المراد ، أو لعل المراد أنها تجعل القياد كالعقال على الرأس (٣) الدرقة : الترس من الجلد ليس فيه خشب ولا عقب (٤) العيار : من يكثر الذهاب والمجىء ، والذكى الكثير التطواف (٥) أى مراقبة دار الضرب وعيار الدراهم والدنانير

يَاسِتَّ النِّسَاءِ ، فَقَالَتْ مَعْنَاهَا يَا قَاضِى : تَنِيكُهَا يَا قَاضِى ، فَضَرَبَ حِمَارَهُ وَمَضَى وَهُوَ يَقُولُ لَهَا : لِحْيَةُ زَوْجِكِ فِى حِجْرِى ، لِحْيَةُ زَوْجِكِ فِى حِجْرِى . قَالَ : وَلَقِيَهُ إِنْسَانٌ وَمَعَهُ كِتَابٌ فِى الطَّرِيقِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَشْهَدَ فِيهِ فَقَالَ: هَاتِ دَوَاةً وَمِحْبَرَةً . فَقَالَ : مَا مَعِى ، فَقَالَ : وَيْحَكَ مَا صَبَرْتَ أَنْ أَنْزِلَ إِلَى دَارِى وَأَشْهَدَ عَلَيْكَ بِدَوَاتِى ؟ بَلِ اعْتَرَضْتَنِى فِى الطَّرِيقِ وَلَيْسَ مَعَكَ مَا تَكْتُبُ مِنْهُ وَيْلَكَ ، مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنِيكَ فِى الدِّهْلِيزِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَيْرُهُ قَائِمًا مِثْلَ دَسْتَكِ الْهَاوُنِ (١) وَتَرَكَهُ وَمَضَى .

﴿ ٣٠ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِى سَيْفٍ * ﴾

على بن محمد المدائنى

الْمَدَائِنِيُّ أَبُو الْحَسَنِ مَوْلَى سَمُرَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، بَصْرِيٌّ سَكَنَ الْمَدَائِنَ ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى

---

(١) يريد يد الهاون ، وقد بحثت عنها فى شفاء الغليل فما وجدتها وهى فارسية لم تعرب ، وسألت أحد الفارسيين فقال لى : إنها تنطق بدون أن يظهر للكاف أثر فى النطق إلا قليلا ، وقال هذا من الهاون ، وأن آخره كاف أيضاً لا ينطق بها . « عبد الخالق »

(*) راجع شذرات الذهب

بَغْدَادَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ . رَوَى عَنْهُ الزُّبَيْرُ ابْنُ بَكَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَزَّازُ ، وَالْحَارِثُ ابْنُ أَبِي أُسَامَةَ وَغَيْرُهُمْ.

حَدَّثَ أَبُو قِلَابَةَ قَالَ : حَدَّثْتُ أَبَا عَاصِمٍ النَّبِيلَ بِحَدِيثٍ فَقَالَ : عَمَّنْ ؟ فَإِنَّهُ حَسَنٌ ، فَقُلْتُ : لَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ وَلَكِنْ حَدَّثَنِيهِ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ . فَقَالَ لِي : سُبْحَانَ اللهِ ، أَبُو الْحَسَنِ إِسْنَادٌ[1] .

وُلِدَ الْمَدَائِنِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ أُسَامَةَ : سَرَدَ[2] الْمَدَائِنِيُّ الصَّوْمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَإِنَّهُ كَانَ قَدْ قَارَبَ الْمِائَةَ سَنَةٍ[3] فَقِيلَ لَهُ فِي مَرَضِهِ : مَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : أَشْتَهِي أَنْ أَعِيشَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ وَمَنْشَؤُهُ الْبَصْرَةَ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْمَدَائِنِ بَعْدَ حِينٍ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادَ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَاتَّصَلَ بِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ فَكَانَ لَا يُفَارِقُ مَنْزِلَهُ ، وَفِي

---

(١) أبو الحسن وحده كاف فانه كالاسناد (٢) سرد الصوم : تابعه

(٣) صواب هذا التعبير مائة السنة كما يرى البصريون ، أو المائة السنة على رأى الكوفيين . « عبد الخالق »

منزِلِهِ كانتْ وفاتُهُ ، وكانَ ثِقةً إذا حدَّثَ عنِ الثِّقاتِ .

نقلتُ منْ خطِّ عُمرَ بنِ مُحمَّدِ بنِ سيْفٍ الكاتِبِ البغْدادِيِّ ، حدَّثنا اليزِيدِيُّ أبو عبدِ اللهِ مُحمَّدُ بنُ العبَّاسِ ابنِ مُحمَّدِ بنِ أبي مُحمَّدٍ قالَ :

حدَّثني أحمدُ بنُ زُهيْرِ بنِ حرْبٍ قالَ : كانَ أبي ويحْيَى بنُ معِينٍ ومُصعبٌ الزُّبيْدِيُّ يجْلِسُونَ العشيَّاتِ على بابِ مُصعبٍ قالَ : فمرَّ عشيَّةً منَ العشيَّاتِ رجُلٌ على حِمارٍ فارِهٍ (١) وبِزَّةٍ (٢) حسنةٍ ، فسلَّمَ وخصَّ بمسائِلِهِ يحْيَى ابنَ معِينٍ . فقالَ لهُ يحْيَى : إلى أيْنَ يا أبا الحسَنِ ؟ فقالَ : إلَى هذا الكرِيمِ الَّذِي يمْلأُ كُمِّي منْ أعلاهُ إلى أسفلِهِ دنانِيرَ ودراهِمَ . فقالَ : ومنْ هذا يا أبا الحسنِ ؟ قالَ : أبو مُحمَّدٍ إسحاقُ بنُ إبراهِيمَ الموْصِلِيُّ . قالَ : فلمَّا ولَّى قالَ يحْيَى بنُ معِينٍ : ثِقةٌ ثِقةٌ ثِقةٌ . قالَ : فسألْتُ أبي فقلْتُ منْ هذا الرَّجُلُ ؟ فقالَ المدائِنِيُّ .

وحدَّثَ أبو أحمدَ العسكرِيُّ في كِتابِ التَّصحِيفِ لهُ عنْ أحمدَ بنِ عمَّارٍ عنِ ابنِ أبي سعْدٍ الورَّاقِ قالَ :

---

(١) الفاره : البين الفراهة أى الحسن (٢) البزة : الهيئة والثياب

الْعَبَّاسُ بْنُ مَيْمُون قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَائِشَةَ : جَاءَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فَتَحَدَّثَ بِحَدِيثِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُغِيرَ عَلَى طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ الشَّامِ ، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي دَلِيلِهِ رَافِعٍ :

لِلّٰهِ دَرُّ رَافِعٍ أَنَّى اهْتَدَى   فَوَّزَ مِنْ قُرَاقِرٍ[1] إِلَى سُوَى

خَمْساً إِذَا مَا سَارَهَا الْجَيْشُ بَكَى

فَقَالَ : الْجَيْشُ[2] فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ الْجَيْشُ لَكَانَ بَكَوْا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ عِلْمَهُ مِنَ الصُّحُفِ . قَالَ الْعَسْكَرِيُّ : أَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَائِشَةَ إِنَّ الرِّوَايَةَ : «الْجَيْشُ بَكَى» فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَهُوَ صَحِيحٌ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ لَوْ كَانَ الْجَيْشُ لَكَانَ بَكَوْا فَقَدْ وَهِمَ فِي هَذَا ، وَيَجُوزُ لِلْجَيْشِ بَكَى فَيُحْمَلُ عَلَى اللَّفْظِ ، وَقَدْ قَالَ طُفَيْلٌ الْغَنَوِيُّ أَوْ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

---

(١) قراقر : موضع بالسماوة ، وسوى : اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة ، ورافع هذا ، كان دليل خالد بن الوليد سنة اثنتي عشرة ، وبقية الرجز :

« ما سارها من قبله إنس يرى »

وفوز : صار في المفازة ، وقد سبق ذكر رافع هذا في ترجمة خالد بن يزيد مولى بني المهلب فيمن يضرب بهم المثل في الاهتداء ولم أكن عرفته فهو هذا المذكور في الرجز ، وهو طائي الاصل . (٢) كان يريد أن يقول الجبس بكسر الجيم : وهو الضعيف والجبان كما ورد في معجم البلدان لياقوت « عبد الخالق »

إِنْ يَكُ عَارٌ بِالْقِنَانِ أَتَيْتُهُ
فِرَارِي فَإِنَّ الْجَيْشَ قَدْ فَرَّ أَجْمَعُ [١]

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ قَالَ: قَرَأْتُ بِخَطِّ ابْنِ الْإِخْشِيدِ: كَانَ الْمَدَائِنِيُّ مُتَكَلِّماً مِنْ غِلْمَانِ مَعْمَرِ بْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ: وَحَفْصٌ الْفَرْدُ وَأَبُو شِمْرٍ وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ الْأَصَمُّ وَأَبُو عَامِرٍ وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ رَوْحٍ سِتَّةٌ كَانُوا غِلْمَانَ مَعْمَرِ بْنِ الْأَشْعَثِ.

حَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: أَمَرَ الْمَأْمُونُ أَحْمَدَ بْنَ يُوسُفَ بِإِدْخَالِي عَلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ ذَكَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحَدَّثْتُهُ فِيهِ بِأَحَادِيثَ إِلَى أَنْ ذَكَرَ لَعْنَ بَنِي أُمَيَّةَ لَهُ، فَقُلْتُ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ الْمُثَنَّى بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخُو مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ:

قَالَ لِي رَجُلٌ: كُنْتُ بِالشَّامِ فَجَعَلْتُ لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يُسَمِّي عَلِيًّا وَلَا حَسَنًا وَلَا حُسَيْنًا، وَإِنَّمَا أَسْمَعُ مُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ وَالْوَلِيدَ، قَالَ: فَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ جَالِسٍ عَلَى بَابِ دَارِهِ

---

(١) في البيت خرم وهو حذف الحرف الأول من الوتد المجموع من أول فعولن وما ماثله.

وَقَدْ عَطِشْتُ فَاسْتَسْقَيْتُهُ فَقَالَ : يَاحَسَنُ اسْقِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَسَمَّيْتَ حَسَنًا ؟ فَقَالَ : إِى وَاللهِ ، إِنَّ لِى أَوْلَادًا أَسْمَاؤُهُمْ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ وَجَعْفَرٌ ، فَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ يُسَمُّونَ أَوْلَادَهُمْ بِأَسْمَاءِ خُلَفَاءِ اللهِ وَلَا يَزَالُ أَحَدُنَا يَلْعَنُ وَلَدَهُ وَيَشْتُمُهُ ، وَإِنَّمَا سَمَّيْتُ أَوْلَادِى بِأَسْمَاءِ أَعْدَاءِ اللهِ ، فَإِذَا لَعَنْتُ إِنَّمَا أَلْعَنُ أَعْدَاءَ اللهِ فَقُلْتُ لَهُ : ظَنَنْتُكَ خَيْرَ أَهْلِ الشَّامِ ، وَإِذَا جَهَنَّمُ لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ مِنْكَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَاجَرَمَ[1] ، قَدِ ابْتَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَلْعَنُ أَحْيَاءَهُمْ وَأَمْوَاتَهُمْ ، وَيَلْعَنُ مَنْ فِى أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، يَعْنِى الشِّيعَةَ . فِهْرِسْتُ كُتُبِ الْمَدَائِنِيِّ نَقْلًا مِنْ كِتَابِ ابْنِ النَّدِيمِ

وَذَكَرَ أَنَّهُ نَقَلَهُ مِنْ خَطِّ ابْنِ الْكُوفِيِّ .

« كُتُبُهُ فِى أَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » :

كِتَابُ أُمَّهَاتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كِتَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْمُنَافِقِينَ ، كِتَابُ عُهُودِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كِتَابُ

---

(١) لا جرم : لا عجب

تَسْمِيَةِ الْمُنَافِقِينَ وَمَنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، كِتَابُ تَسْمِيَةِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَسْمِيَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، كِتَابُ رَسَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ كُتُبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُلُوكِ ، كِتَابُ آيَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ إِقْطَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ فُتُوحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ صُلْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ خُطَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ عُهُودِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ الْمَغَازِي . وَزَعَمَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْكُوفِيِّ أَنَّهَا عِنْدَهُ فِي ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ جُلُودٍ بِخَطِّ ابْنِ عَبَّاسٍ الْيَابِسِ، وَزَعَمَ تَحْتَ هَذَا الْفَصْلِ وَأُخْرَى فِي جُزْأَيْنِ تَأْلِيفُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزَّازِ . كِتَابُ سَرَايَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ الْوُفُودِ يَحْتَوِي عَلَى وُفُودِ الْيَمَنِ ، وَوُفُودِ مُضَرَ ، وَوُفُودِ رَبِيعَةَ ، كِتَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ خَبَرِ الْإِفْكِ ، كِتَابُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ

السَّرَايَا [1] ، كِتَابُ عُمَّالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّدَقَاتِ ، كِتَابُ مَا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ حَجَّةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كِتَابُ خُطَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ الْخَاتَمِ وَالرُّسُلِ ، كِتَابُ مَنْ كَتَبَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَاباً أَوْ أَمَاناً ، كِتَابُ أَمْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُتَّابِهِ وَمَنْ كَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِ الصَّدَقَةَ مِنَ الْعَرَبِ .

﴿ أَخْبَارُ قُرَيْشٍ ﴾

كِتَابُ نَسَبِ قُرَيْشٍ وَأَخْبَارِهَا ، كِتَابُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي طَالِبٍ وَوَلَدِهِ ، كِتَابُ خُطَبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، كِتَابُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . كِتَابُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، كِتَابُ آلِ أَبِي الْعَاصِ ، كِتَابُ أَبِي الْعِيصِ ، كِتَابُ خَبَرِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، كِتَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ،

(١) تقدم له ذكر مضافا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام

كِتَابُ ٱبْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، كِتَابُ عَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ ، كِتَابُ فَضَائِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، كِتَابُ فَضَائِلِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كِتَابُ عَبْدِ اللهِ ٱبْنِ جَعْفَرٍ ، كِتَابُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، كِتَابُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، كِتَابُ أَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، كِتَابُ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، كِتَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ ، كِتَابُ بِشْرِ ٱبْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، كِتَابُ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ التَّيْمِيِّ ، كِتَابُ هِجَاءِ حَسَّانَ لِقُرَيْشٍ ، كِتَابُ فَضَائِلِ قُرَيْشٍ ، كِتَابُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، كِتَابُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ ٱبْنِ الْحَارِثِ ، كِتَابُ أَسْمَاءِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ زِيَادِ ٱبْنِ أَبِيهِ ، كِتَابُ مَنَاكِحِ زِيَادٍ وَوَلَدِهِ وَدِعْوَتِهِ[1] ، كِتَابُ الْجَوَابَاتِ وَيَحْتَوِى عَلَى جَوَابَاتِ قُرَيْشٍ ، وَجَوَابَاتِ مُضَرَ ، وَجَوَابَاتِ رَبِيعَةَ ، وَجَوَابَاتِ الْمَوَالِى ، وَجَوَابَاتِ الْيَمَنِ .

(١) الدعوة بكسر الدال : الادعاء فى النسب ، ولذا يقولون فى زياد : إن أوله لزنية وآخره لدعوة . « عبد الخالق »

﴿ كُتُبُهُ فِي أَخْبَارِ مَنَاكِحِ الْأَشْرَافِ وَأَخْبَارِ النِّسَاءِ ﴾

كِتَابُ الصَّدَاقِ ، كِتَابُ الْوَلَائِمِ ، كِتَابُ الْمَنَاكِحِ ، كِتَابُ النَّوَاكِحِ ، كِتَابُ الْمُغْتَرِبَاتِ ، كِتَابُ الْقَيْنَاتِ كِتَابُ الْمُرْدَفَاتِ مِنْ قُرَيْشٍ ، كِتَابُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ أُخْتَيْنِ ، وَمَنْ تَزَوَّجَ ابْنَةُ امْرَأَتِهِ ، وَمَنْ جَمَعَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ ، وَمَنْ تَزَوَّجَ مَجُوسِيَّةً ، كِتَابُ مَنْ كُرِهَتْ مُنَاكَحَتُهُ ، كِتَابُ مَنْ قُتِلَ عَنْهَا زَوْجُهَا ، كِتَابُ مَنْ نُهِيَتْ عَنْ تَزْوِيجِ رَجُلٍ فَتَزَوَّجَتْهُ ، كِتَابُ مَنْ تَزَوَّجَ مِنَ الْأَشْرَافِ فِي كَلْفٍ ، كِتَابُ مَنْ هَجَاهَا زَوْجُهَا أَوْ شَكَاهَا ، كِتَابُ مُنَاقَضَاتِ الشُّعَرَاءِ وَأَخْبَارِ النِّسَاءِ ، كِتَابُ مَنْ تَزَوَّجَ فِي ثَقِيفٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، كِتَابُ الْفَاطِمِيَّاتِ ، كِتَابُ مَنْ وَصَفَ امْرَأَةً فَأَحْسَنَ ، كِتَابُ الْكَلْبِيَّاتِ ، كِتَابُ الْعَوَاتِكِ .

﴿ كُتُبُهُ فِي أَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ ﴾

كِتَابُ مَنْ تَزَوَّجَ مِنْ نِسَاءِ الْخُلَفَاءِ ، كِتَابُ تَسْمِيَةِ الْخُلَفَاءِ وَكُنَاهُمْ وَأَعْمَارِهِمْ ، كِتَابُ تَارِيخِ أَعْمَارِ الْخُلَفَاءِ ، كِتَابُ حُلِيِّ الْخُلَفَاءِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ الْكَبِيرُ ابْتَدَأَهُ بِأَخْبَارِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَخَتَمَهُ بِأَخْبَارِ الْمُعْتَصِمِ .

﴿ كُتُبُهُ فِي الْأَحْدَاثِ ﴾

كِتَابُ الرِّدَّةِ ، كِتَابُ الْجَمَلِ ، كِتَابُ الْغَارَاتِ ، كِتَابُ النَّهْرَوَانِ ، كِتَابُ الْخَوَارِجِ ، كِتَابُ خَبَرِ ضَابِئِ بْنِ الْحَارِثِ الْبُرْجُمِيِّ ، كِتَابُ تَوْبَةَ بْنِ مُضَرِّسٍ ، كِتَابُ بَنِي نَاجِيَةَ وَمَصْقَلَةَ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، كِتَابُ مُخْتَصَرِ الْخَوَارِجِ ، كِتَابُ خُطَبِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَكُتُبِهِ إِلَى عُمَّالِهِ ، كِتَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ الْحَضْرَمِيِّ ، كِتَابُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هَبَّارَ ، كِتَابُ عَمْرِو ابْنِ الزُّبَيْرِ ، كِتَابُ مَرْجِ رَاهِطٍ ، كِتَابُ الرَّبَذَةِ وَمَقْتَلِ حُبَيْشٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْحَجَّاجِ وَوَفَاتِهِ ، كِتَابُ عَبَّادِ بْنِ الْحُصَيْنِ ، كِتَابُ حَرَّةِ وَاقِمٍ ، كِتَابُ ابْنِ الْجَارُودِ بِرُسْتُقُبَاذَ ، كِتَابُ مَقْتَلِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، كِتَابُ زِيَادِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَشْرَفِ الْعَتَكِيِّ ، كِتَابُ خِلَافِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْأَزْدِيِّ وَمَقْتَلِهِ ، كِتَابُ سَلْمِ بْنِ قُتَيْبَةَ وَرَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ ، كِتَابُ الْمُسَوَّرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبَّادٍ الْحَبَطِيِّ وَعَمْرِو بْنِ سَهْلٍ ، كِتَابُ مَقْتَلِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، كِتَابُ يَوْمِ سَنْبِيلَ ، كِتَابُ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ يَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ كُتُبٍ

لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ النَّدِيمِ ، وَوَقَعَ إِلَيَّ بِخَطِّ السُّكَّرِيِّ بَعْضُهُ وَقَدْ قَرَأَهُ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ أُسَامَةَ .

« كُتُبُهُ فِي الْفُتُوحِ » :

كِتَابُ فُتُوحِ الشَّامِ مُنْذُ أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَإِلَى أَيَّامِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، كِتَابُ فُتُوحِ الْعِرَاقِ مُنْذُ أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَإِلَى آخِرِ أَيَّامِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، كِتَابُ خَبَرِ الْبَصْرَةِ وَفُتُوحِهَا وَفُتُوحِ مَا يُقَارِبُهَا مِنْ دِهِسْتَانَ وَالْأَهْوَازِ وَمَاسَبَذَانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، كِتَابُ فُتُوحِ خُرَاسَانَ وَأَخْبَارِ أُمَرَائِهَا كَقُتَيْبَةَ وَنَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ وَغَيْرِهِمَا ، كِتَابُ نَوَادِرِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ وِلَايَةِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ ، كِتَابُ وِلَايَةِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ، كِتَابُ ثَغْرِ الْهِنْدِ ، كِتَابُ أَعْمَالِ الْهِنْدِ ، كِتَابُ فُتُوحِ سِجِسْتَانَ ، كِتَابُ فَارِسَ ، كِتَابُ فَتْحِ الْأُبُلَّةِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَرْمِينِيَةَ ، كِتَابُ كَرْمَانَ ، كِتَابُ كَابُلَ وَزَابُلِسْتَانَ ، كِتَابُ الْقِلَاعِ وَالْأَكْرَادِ ، كِتَابُ عُمَانَ ، كِتَابُ فُتُوحِ جِبَالَ طَبَرِسْتَانَ أَيَّامَ الرَّشِيدِ ، كِتَابُ فُتُوحِ مِصْرَ ، كِتَابُ

الرَّيِّ وَأَمْرِ الْعَلَوِيِّ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ وَمَا مُدِحَ بِهِ مِنَ الشِّعْرِ وَعُمَّالِهِ ، كِتَابُ فُتُوحِ الْجَزِيرَةِ ، كِتَابُ فُتُوحِ الْبَامِيَانِ ، كِتَابُ فُتُوحِ الْأَهْوَازِ ، كِتَابُ أَمْرِ الْبَحْرَيْنِ ، كِتَابُ فَتْحِ شَهْرَ كَنْدَ ، كِتَابُ فَتْحِ بَرْقَةَ ، كِتَابُ فَتْحِ مَكْرَانَ ، كِتَابُ فُتُوحِ الْحِيرَةِ ، كِتَابُ مُوَادَعَةِ النُّبُوَّةِ ، كِتَابُ خَبَرِ سَارِيَةَ بْنِ زُنَيْمٍ ، كِتَابُ فُتُوحِ الرَّيِّ ، كِتَابُ فُتُوحِ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ .

﴿ كُتُبُهُ فِي أَخْبَارِ الْعَرَبِ ﴾

كِتَابُ الْبُيُوتَاتِ ، كِتَابُ الْجِيرَانِ ، كِتَابُ أَشْرَافِ عَبْدِ الْقَيْسِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ ثَقِيفٍ ، كِتَابُ مَنْ نُسِبَ إِلَى أُمِّهِ ، كِتَابُ مَنْ سُمِّيَ بِاسْمِ أُمِّهِ ، كِتَابُ الْخَيْلِ وَالرِّهَانِ ، كِتَابُ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، كِتَابُ خَبَرِ خُزَاعَةَ ، كِتَابُ الْمَدِينَةِ وَجِبَالِهَا وَأَوْدِيَتِهَا .

﴿ كُتُبُهُ فِي أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ ﴾

كِتَابُ أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ مَنْ نُسِبَ إِلَى أُمِّهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ الْعَمَائِرِ ، كِتَابُ الشُّيُوخِ ، كِتَابُ

الْغُرَمَاء ، كِتَابُ مَنْ هَادَنَ أَوْ غزَا ، كِتَابُ مَنِ اُقْتَرَضَ
مِنَ الْأَعْرَابِ فِي الدِّيوَانِ فَنَدِمَ وَقَالَ شِعْراً ، كِتَابُ
الْمُتَمَثِّلِينَ ، كِتَابُ مَنْ تَمَثَّلَ بِشِعْرٍ فِي مَرَضِهِ ، كِتَابُ
الْأَبْيَاتِ الَّتِي جوَابُهَا كَلَامٌ ، كِتَابُ النَّجَاشِيِّ ، كِتَابُ مَنْ
وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ فَتَمَثَّلَ بِشِعْرٍ ، كِتَابُ مَنْ بَلَغَهُ مَوْتُ رَجُلٍ
فَتَمَثَّلَ شِعْراً أَوْ كَلَاماً ، كِتَابُ مَنْ تَشَبَّهَ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ،
كِتَابُ مَنْ فَضَّلَ الْأَعْرَابِيَّاتِ عَلَى الْحَضَرِيَّاتِ ، كِتَابُ
مَنْ قَالَ شِعْراً عَلَى الْبَدِيهَةِ ، كِتَابُ مَنْ قَالَ شِعْراً فِي الْأَوَابِدِ ،
كِتَابُ الِاسْتِعْدَاء عَلَى الشُّعَرَاء ، كِتَابُ مَنْ قَالَ شِعْراً
فَسُمِّيَ بِهِ ، كِتَابُ مَنْ قَالَ فِي الْحُكُومَةِ مِنَ الشُّعَرَاء ،
كِتَابُ تَفْضِيلِ الشُّعَرَاء بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، كِتَابُ مَنْ
نَدِمَ عَلَى الْمَدِيحِ وَمَنْ نَدِمَ عَلَى الْهِجَاء ، كِتَابُ مَنْ قَالَ
شِعْراً فَأُجِيبَ بِكَلَامٍ ، كِتَابُ الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ ، كِتَابُ
خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ، كِتَابُ مُهَاجَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ
لِلنَّجَاشِيِّ ، كِتَابُ قَصِيدَةِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ فِي الْمُلُوكِ
وَالْأَحْدَاثِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْفَرَزْدَقِ ، كِتَابُ قَصِيدَةِ

عَبْدِ اللهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، كِتَابُ خَبَرِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ .

وَمِنْ كُتُبِهِ الْمُؤَلَّفَةِ : كِتَابُ الْأَوَائِلِ ، كِتَابُ الْمُتَيَّمِينَ ، كِتَابُ التَّعَازِي ، كِتَابُ الْمُنَافَرَاتِ ، كِتَابُ الْأَكَلَةِ ، كِتَابُ الْمُسَيَّرِينَ ، كِتَابُ الْقِيَافَةِ وَالْفَأْلِ وَالزَّجْرِ. كِتَابُ مَنْ جُرِّدَ مِنَ الْأَشْرَافِ ، كِتَابُ الْمُرُوءَةِ ، كِتَابُ الْحَمْقَى ، كِتَابُ اللَّوَّاطِينَ ، كِتَابُ الْجَوَاهِرِ ، كِتَابُ الْمُغَنِّينَ ، كِتَابُ الْمَسْمُومِينَ ، كِتَابُ كَانَ يُقَالُ ، كِتَابُ ذَمِّ الْحَسَدِ ، كِتَابُ مَنْ وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ ، كِتَابُ الْخَيْلِ ، كِتَابُ مَنِ اسْتُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ، كِتَابُ قُضَاةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، كِتَابُ قُضَاةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ رَقَبَةَ بْنِ مَصْقَلَةَ ، كِتَابُ مُفَاخَرَةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، كِتَابُ مُفَاخَرَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، كِتَابُ ضَرْبِ الدَّرَاهِمِ وَالصَّرْفِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، كِتَابُ خَبَرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، كِتَابُ خُطْبَةِ وَاصِلٍ ، كِتَابُ إِصْلَاحِ الْمَالِ ، كِتَابُ آدَابِ الْإِخْوَانِ ، كِتَابُ الْبُخْلِ ،

كِتَابُ الْمُقَطَّعَاتِ الْمُتَخَيَّرَاتِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ ٱبْنِ سِيرِينَ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ إِلَى ٱبْنِ أَبِي دُؤَادٍ ، كِتَابُ النَّوَادِرِ ، كِتَابُ الْمَدِينَةِ ، كِتَابُ مَكَّةَ ، كِتَابُ الْمُخَضْرَمِينَ ، كِتَابُ الْمَرَاعِي وَالْجَرَادِ وَيَحْتَوِي عَلَى الْكُوَرِ[1] وَالطَّسَاسِيجِ[2] وَجِبَايَاتِهَا .

﴿ ٣١ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الْمِسْعَرِيُّ * ﴾

على بن محمد المسعرى

صَاحِبُ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ. رَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ : هَذَا الْكِتَابُ - يَعْنِي غَرِيبَ الْحَدِيثِ الْمُصَنَّفَ - أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَعَدَدُ أَبْوَابِهِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَلْفُ بَابٍ ، وَفِيهِ مِنْ شَوَاهِدِ الشِّعْرِ أَلْفٌ وَمِائَتَا بَيْتٍ .

﴿ ٣٢ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ بَسَّامٍ * ﴾

على بن محمد ابن بسام

أَبُو الْحَسَنِ الْعَبَرْتَائِيُّ[3] الْكَاتِبُ . وَأُمُّهُ أُخْتُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّدِيمِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ . وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ :

---

(١) كور جمع كورة وهي : البقعة التى تجتمع فيها القرى والمساكن

(٢) الطساسيج : جمع طسوج : وهو الناحية والقرية (٣) نسبة على غير قياس ، فان الصواب : عبرتى نسبة إلى عبرتا « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع وفيات الأعيان جزء أول

أُمُّهُ بِنْتُ النَّدِيمِ ، وَلَهُ مَعَ خَالِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ حَمْدُونَ أَخْبَارٌ . وَكَانَ حَسَنَ الْبَدِيهَةِ شَاعِراً مَاضِياً أَدِيباً لَا يَسْلَمُ مِنْ لِسَانِهِ أَحَدٌ ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي الْعَقَقَةِ (١) وَكَانَ يَصْنَعُ الشِّعْرَ فِي الرُّؤَسَاءِ وَيَنْحَلُهُ (٢) ابْنَ الرُّومِيِّ وَغَيْرَهُ . مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمَرْزُبَانِيِّ بَعْدَ سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ بِسَنَتَيْنِ .

وَقَالَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ : مَاتَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَسَّامٍ فِي صَفَرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ عَنْ نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَاسْتَفْرَغَ شِعْرَهُ فِي هِجَاءِ وَالِدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ بَسَّامٍ وَالْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَكَانَ مَعَ فَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ لَاحَظَّ لَهُ فِي التَّطْوِيلِ ، إِنَّمَا تَحْسُنُ مُقَطَّعَاتُهُ وَتَنْدُرُ أَبْيَاتُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْكِتَابَةِ ، كَانَ جَدُّهُ نَصْرُ بْنُ مَنْصُورٍ يَتَوَلَّى دِيوَانَ الْخَاتَمِ وَالنَّفَقَاتِ وَالْأَزِمَّةِ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِمِ ، وَكَانَ هُوَ السَّبَبَ فِي نَكْبَةِ الْفَضْلِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ قَدْ هَجَا الْوَزِيرَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ لَمَّا نُفِيَ إِلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا رُدَّتِ الْوَزَارَةُ جَلَسَ يَوْماً لِلْمَظَالِمِ فَمَرَّتْ فِي جُمْلَةِ الْقِصَصِ رُقْعَةٌ فِيهَا مَكْتُوبٌ :

---

(١) جمع عاق : من العقوق ، لأن لسانه لم يسلم منه أحد حتى من أحسن إليه ، ولأنه هجا والده (٢) ينحله : ينسبه ، وبابه سمع ومنع

وَافَى ابْنُ عِيسَى وَكُنْتُ أَضْغَنُهُ[1]

أَشَدُّ شَيْءٍ عَلَيَّ أَهْوَنُهُ

مَا قَدَّرَ اللهُ لَيْسَ يَدْفَعُهُ وَمَا سِوَاهُ فَلَيْسَ يُمْكِنُهُ

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: صَدَقَ هَذَا ابْنُ بَسَّامٍ، وَاللهِ لَا نَالَهُ مِنِّي مَكْرُوهٌ أَبَداً، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى ابْنِ بَسَّامٍ الشِّعْرَ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُذْكَرَ مَعَ الشُّعَرَاءِ، وَإِنَّمَا حَمَلَنَا عَلَى ذِكْرِهِ هَاهُنَا رَسَائِلُهُ وَمَالَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ وَهِيَ:

كِتَابُ أَخْبَارِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ جَيِّدٌ بَالِغٌ فِي مَعْنَاهُ، وَجَدْتُ أَخْبَارَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ تَصْنِيفَ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ بَسَّامٍ وَقَدْ رَوَى فِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِ ابْنِ بَكَّارٍ، وَعُمَرَ بْنِ شَبَّةَ، وَحَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزَّازِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ وَسُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ وَخَالِهِ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدُونَ، كِتَابُ الْمُعَاقِرِينَ. كِتَابُ دِيوَانِ رَسَائِلِهِ. كِتَابُ مُنَاقَضَاتِ

(١) أضغنه: أحقد عليه وأبغضه، وليس هذا الفعل متعديا ولعله أبغضه، أو أن الضمير على نزع الخافض «عبد الخالق»

الشُّعَرَاءِ . كِتَابُ أَخْبَارِ الْأَحْوَصِ . وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِي قَالَهُ وَنَحَلَهُ ٱبْنَ الرُّومِيِّ قَوْلُهُ يُخَاطِبُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ سُلَيْمَانَ الْوَزِيرَ وَقَدْ مَاتَ ٱبْنُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَمَانِينَ [1] :

قُلْ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْمُرَجَّى قَابَلَكَ الدَّهْرُ بِالْعَجَائِبِ
مَاتَ لَكَ ٱبْنٌ وَكَانَ زَيْنًا وَعَاشَ ذُو الشَّيْنِ وَالْمَعَايِبِ
حَيَاةُ هَذَا كَفَقْدِ هَذَا فَلَسْتَ تَخْلُو مِنَ الْمَصَائِبِ

فَبَلَغَتِ الْأَبْيَاتُ عُبَيْدَ اللهِ فَسَاءَتْهُ ، فَدَعَا الْبَسَّامِيَّ وَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، كَيْفَ قُلْتَ ؟ فَعَلِمَ الْبَسَّامِيُّ أَنَّهُ مُغْضَبٌ فَقَالَ : قُلْتُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ :

قُلْ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْمُرَجَّى لَنْ يَدْفَعَ الْمَوْتَ كَفُّ غَالِبِ
لَئِنْ تَوَلَّى بِمَنْ تَوَلَّى وَفَقْدُهُ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ
لَقَدْ تَخَطَّتْ لَكَ الْمَنَايَا عَنْ حَامِلٍ عَنْكَ لِلنَّوَائِبِ

يَعْنِي ٱبْنَهُ أَبَا الْحُسَيْنِ ، فَسَكَتَ عُبَيْدُ اللهِ وَلَهَا عَنْهُ . وَذَكَرَ الصُّولِيُّ فِي كِتَابِ الْوُزَرَاءِ قَالَ : قَالَ أَبُو الْحَارِثِ النَّوْفَلِيُّ الشَّاعِرُ : كُنْتُ أُبْغِضُ الْقَاسِمَ بْنَ

(١) الصواب : سنة تسع ومائتين

عُبَيْدِ اللهِ لِكُفْرِهِ وَلِمَكْرُوهٍ نَالَنِي مِنْهُ ، فَلَمَّا قَرَأْتُ شِعْرَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ ، وَهُوَ شِعْرٌ « رَثَى بِهِ الْحُسَيْنَ أَبَا مُحَمَّدٍ » مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِهِ ، وَشِعْرَ ابْنِ بَسَّامٍ ، وَكَانَ ابْنُ بَسَّامٍ قَدْ قَالَ :

مَعَاذَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وَمَيْنٍ[1]
لَقَدْ أَبْكَتْ وَفَاتُكَ كُلَّ عَيْنٍ
وَلَكِنْ قَدْ تُنَسِّينَا الرَّزَايَا وَيَعْضُدُنَا بَقَاءُ أَبِي الْحُسَيْنِ

قُلْتُ عَلَى لِسَانِ ابْنِ بَسَّامٍ وَأَشَعْتُهَا عَلَيْهِ وَأَنْفَذْتُهَا إِلَيْهِ : قُلْ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْمُرَجَّى الْأَبْيَاتَ .

وَحَدَّثَ السَّلَامِيُّ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْمُجَمِّعِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُجَمِّعِ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ حَمْدُونَ النَّدِيمُ قَالَ : كَانَ الْمُعْتَضِدُ أَمَرَ بِعِمَارَةِ الْبُحَيْرَةِ وَاتِّخَاذِ رِيَاضٍ حَوَالَيْهَا ، وَأَنْفَقَ عَلَى الْأَبْنِيَةِ بِهَا سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ يَخْلُو فِيهَا مَعَ جَوَارِيهِ ، وَفِيهِنَّ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا دُرَيْرَةُ ، فَقَالَ الْبَسَّامِيُّ :

تَرَكَ النَّاسَ بِحَيْرَهْ وَتَخَلَّى فِي الْبُحَيْرَهْ

---

(١) المين : عطف تفسير على ما قبله

قَاعِداً يَضْرِبُ بِالزُّ بِّ عَلَى حِرِّ دُرَيْرَهْ

وَبَلَغَتِ الْأَبْيَاتُ الْمُعْتَضِدَ ، فَلَمْ يُظْهِرْ لِأَحَدٍ أَنَّهُ سَمِعَهَا ، وَأَمَرَ بِتَخْرِيبِ مَا اسْتَعْمَرَهُ مِنْ تِلْكَ الْعِمَارَاتِ وَالْأَبْنِيَةِ . قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ : فَكُنْتُ أُلَاعِبُ الْمُعْتَضِدَ بِالشِّطْرَنْجِ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ وَهُوَ وَزِيرُهُ ، فَاسْتَأْمَرَهُ فِي شَيْءٍ وَانْصَرَفَ ، فَلَمَّا وَلَّى أَنْشَدَ الْمُعْتَضِدُ قَوْلَ الْبَسَّامِيِّ فِي الْقَاسِمِ :

حَيَاةُ هَذَا كَمَوْتِ هَذَا فَلَسْتَ تَخْلُو مِنَ الْمَصَائِبِ

وَجَعَلَ يُكَرِّرُ الْبَيْتَ ، وَعَادَ الْقَاسِمُ إِلَيْهِ فِي شُغْلٍ وَالْمُعْتَضِدُ مَشْغُولٌ بِاللَّعِبِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِحُضُورِهِ وَهُوَ يُرَدِّدُ الْبَيْتَ ، فَاحْتَلْتُ حَتَّى أَعْلَمْتُهُ حُضُورَهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَاسْتَحْيَا مِنْهُ حَتَّى تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا الْحُسَيْنِ « وَهُوَ أَوَّلُ مَا كَنَّاهُ لِلْخَجَلِ الَّذِى تَدَاخَلَهُ » لِمَ لَا تَقْطَعُ لِسَانَ هَذَا الْمَاجِنِ وَتَدْفَعُ شَرَّهُ عَنْكَ ؟ فَانْصَرَفَ الْقَاسِمُ مُبَادِراً إِلَى مَجْلِسِهِ وَمُنْتَهِزاً لِلْفُرْصَةِ فِي ابْنِ بَسَّامٍ وَأَمَرَ بِطَلَبِهِ .

قَالَ ابْنُ حَمْدُونَ: فَدَهِشْتُ وَارْتَعَشَتْ يَدِى فِى اللَّعِبِ خَوْفاً مِمَّا يَلْحَقُ ابْنَ بَسَّامٍ لِلْقَرَابَةِ الَّتِى بَيْنِى وَبَيْنَهُ: فَقَالَ الْمُعْتَضِدُ: مَالَكَ؟ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ لَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ، وَكَأَنِّى بِهِ وَقَدْ قَطَعَ لِسَانَ الْبَسَّامِىِّ حَنَقاً عَلَيْهِ، وَهُوَ أَحَدُ النُّبَلَاءِ الشُّعَرَاءِ فَيَكُونُ ذَلِكَ سُبَّةً عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْقَاسِمِ وَسَأَلَهُ عَمَّا فَعَلَهُ فِى أَمْرِ ابْنِ بَسَّامٍ فَقَالَ: قَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَى مُؤْنِسٍ بِإِحْضَارِهِ لِأَقْطَعَ لِسَانَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْحُسَيْنِ، إِنَّنَا أَمَرْنَاكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانَهُ بِالْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالتَّكْرِمَةِ لِيَعْدِلَ عَنْ هِجَائِكَ إِلَى مَدْحِكَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: لَوْ عَرَفْتَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ وَعَلِمْتَ مَا قَالَهُ لَاسْتَجَزْتَ قَطْعَ رَأْسِهِ، عَرَّضَ بِمَا قَالَهُ فِى الْمُعْتَضِدِ وَدُرَيْرَةَ، فَتَبَسَّمَ الْمُعْتَضِدُ وَقَالَ: يَا أَبَا الْحُسَيْنِ، إِنَّمَا أَمَرْنَا بِتَخْرِيبِ الْبُحَيْرَةِ لِذَلِكَ، فَتَقَدَّمْ أَنْتَ بِإِحْضَارِهِ وَأَخْرِجْ ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْلَى وَأَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهِ. قَالَ: فَأَحْضَرَهُ الْقَاسِمُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَوَلَّاهُ بَرِيدَ الصَّيْمَرَةِ وَمَا وَالَاهَا، فَبَقِىَ فِى عَمَلِهِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْمُعْتَضِدِ، ثُمَّ جَمَحَ بِهِ طَبْعُهُ إِلَى إِعَادَةِ الْإِسَاءَةِ فَقَالَ:

أَبْلِغْ وَزِيرَ الْإِمَامِ عَنِّى ... وَنَادِ يَاذَا الْمُصِيبَتَيْنِ

يَمُوتُ حِلْفُ النَّدَى(١) وَيَبْقَى حِلْفُ الْمَخَازِي(٢) أَبُو الْحُسَيْنِ
فَأَنْتَ مِنْ ذَا عَمِيدُ قَلْبٍ(٣) وَأَنْتَ مِنْ ذَا سَخِينُ(٤) عَيْنِ
حَيَاةُ هَذَا كَمَوْتِ هَذَا فَالْطِمْ عَلَى الرَّأْسِ بِالْيَدَيْنِ

قَالَ جَحْظَةُ: كَانَ ابْنُ بَسَّامٍ يَفْخَرُ بِقَوْلِهِ فِيَّ:

يَا مَنْ هَجَوْنَاهُ فَغَنَّانَا أَنْتَ وَحَقِّ اللهِ أَهْجَانَا(٥)

فَقُلْتُ: هَذَا مَعْنًى لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ خَاطِرُ ابْنِ بَسَّامٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَتَى بِهِ مَطْبُوعاً، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي هِجَائِهِ شُنْطُفَ:

وَفِي قُبْحِهَا كَافٍ لَنَا مِنْ كِيَادِهَا
وَلَكِنَّهَا فِي فِعْلِهَا لَمْ تَرَدَّدِ(٦)
وَلَوْ عَلِمَتْ مَا كَايَدَتْنَا لِقُبْحِهَا(٧)
بِأَنْفَاسِهَا وَالْوَجْهِ وَالطَّبْلِ وَالْيَدِ

وَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي الْوَزِيرِ الْخَاقَانِيِّ:

وَزِيرٌ مَا يُفِيقُ مِنَ الرَّقَاعَهْ(٨) يُوَلِّي ثُمَّ يَعْزِلُ بَعْدَ سَاعَهْ

(١) حلف الندى: صديق الكرم (٢) المخازي: المعايب (٣) أي حزين
(٤) يقال: سخنت عينه عند الحزن، ويقابله قرت عينه عند السرور
(٥) يريد أن غناءه أشق عليهم من هجائهم له (٦) كانت في الأصل تبرد وأصلحت
(٧) كانت في الأصل «لأنها» وأصلحت. (٨) الرقاعة: الحمق وقلة الحياء

إِذَا أَهْلُ الرُّشَا صَارُوا إِلَيْهِ فَأَحْظَى الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَهْ

فَلَا رَحِمًا تُقَرِّبُ مِنْهُ خَلْقًا

سِوَى الْوَرِقِ الصِّحَاحِ وَلَا شَفَاعَهْ

وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ ذَا الْفِعْلُ مِنْهُ

لِأَنَّ الشَّيْخَ أُفْلِتَ مِنْ مَجَاعَهْ

حَدَّثَ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْعَلَاءِ الشِّيرَازِيُّ الْكَاتِبُ قَالَ: لَمَّا تَقَلَّدَ أَبُو الْفَتْحِ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ الْوَزَارَةَ كُنْتُ أُجَالِسُهُ وَأُؤَانِسُهُ، فَحَدَّثَنِي يَوْمًا أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ قَالَ: تَقَلَّدْتُ مِصْرَ وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ بَسَّامٍ مَوَدَّةٌ وَرَضَاعٌ، وَنَحْنُ مُخْتَلِطُونَ وَأَنَا بِمِصْرَ يَوْمًا فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِابْنِ بَسَّامٍ قَدْ دَخَلَ إِلَيَّ مُتَقَلِّداً لِلْبَرِيدِ، فَأَفْهَمْتُهُ أَحْوَالِي، وَقَاسَمْتُهُ أَكْثَرَ مُرُوءَتِي وَأَمْوَالِي، وَتَطَلَّبْتُ الْخَلَاصَ مِنْ لِسَانِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ يُمْكِنُ، وَأَوْصَيْتُ حَاجِبِي أَلَّا يَحْجُبَهُ عَنِّي وَلَوْ كُنْتُ مَعَ زَوْجَتِي، فَجَاءَ يَوْمًا وَأَنَا نَائِمٌ فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ: ادْخُلْ، فَدَخَلَ فَوَجَدَنِي نَائِمًا فَاسْتَدْعَى دَوَاةً وَكَتَبَ شَيْئًا وَتَرَكَهُ

وَٱنْصَرَفَ . فَلَمَّا ٱنْتَبَهْتُ عَرَّفَنِي حَاجِبِي ذَلِكَ ، فَأَخَذْتُ الرُّقْعَةَ فَإِذَا فِيهَا :

مُحْتَجِبٌ دُونَ مَنْ يُلِمُّ بِهِ وَلَيْسَ لِلْخَارِجَاتِ حُجَّابُ
لِأَنَّ لِلْخَارِجَاتِ مَنْفَعَةً تَأْتِيهِ وَالدَّاخِلُونَ طُلَّابُ

قَالَ : فَبَعَثْتُ أَعْرِفُ خَبَرَهُ لِأُعَاتِبَهُ فَإِذَا هُوَ تَحَمَّلَ وَسَارَ عَنِ الْبَلَدِ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أُدَارِيهِ وَأُلَاطِفُهُ لِيَرْجِعَ فَلَمْ يُجِبْ .

قَالَ التَّنُوخِيُّ : حَدَّثَنِي ٱبْنُ أَبِي قِيرَاطٍ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ قَالَ : كُنْتُ أَحْقِدُ ٱبْنَ بَسَّامٍ لِهِجَائِهِ إِيَّايَ ، نُخُوطِبَ ٱبْنُ الْفُرَاتِ فِي وَزَارَتِهِ الْأُولَى فِي تَصْرِيفِهِ ، فَاعْتَرَضْتُ وَقُلْتُ : إِذَا صُرِفَ فَلَا يَحْتَبِسُ النَّاسُ عَلَى مَجَالِسِنَا وَقَدِ ٱفْتَرَقَتْ ، فَإِذَا لَمْ يَضُرَّهُ الْوَزِيرُ فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَلَّا يَنفَعَهُ ، فَامْتَنَعَ مِنْ تَصْرِيفِهِ قَضَاءً لِحَقِّي ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ٱبْنَ بَسَّامٍ فَجَاءَنِي وَخَضَعَ لِي ثُمَّ لَازَمَنِي نَحْوَ سَنَةٍ حَتَّى صَارَ يَخْتَصُّ بِي وَيُعَاشِرُنِي عَلَى الْبَرِيدِ ، وَمَدَحَنِي فَقَالَ :

يَا زِينَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَمَا جَمَعَا
وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْقِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ

إِنْ يُنْسِىءِ اللهُ فِي عُمْرِي فَسَوْفَ تَرَى
مِنْ خِدْمَتِي لَكَ مَا يُغْنِي عَنِ الْخَدَمِ
أَبَا عَلِيٍّ لَقَدْ طَوَّقْتَنِي مِنَناً
طَوْقَ الْحَمَامَةِ لَا تَبْلَى عَلَى الْقِدَمِ
فَاسْلَمْ فَلَيْسَ يُزِيلُ اللهُ نِعْمَتَهُ
عَمَّنْ يَبُثُّ الْأَيَادِي فِي ذَوِي النِّعَمِ

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّولِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ ابْنِ بَسَّامٍ يَقُولُ: كُنْتُ أَتَعَشَّقُ خَادِماً لِخَالِي أَحْمَدَ بْنِ حَمْدُونَ فَقُمْتُ لَيْلَةً لِأَدِبَّ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ لَسَعَتْنِي عَقْرَبٌ فَصَرَخْتُ فَقَالَ خَالِي: مَا تَصْنَعُ هَا هُنَا؟ فَقُلْتُ: جِئْتُ لِأَبُولَ. فَقَالَ: صَدَقْتَ وَلَكِنْ فِي اسْتِ غُلَامِي، فَقُلْتُ لِوَقْتِي:

وَلَقَدْ سَرَيْتُ مَعَ الظَّلَامِ لِمَوْعِدٍ حَصَّلْتُهُ مِنْ غَادِرٍ كَذَّابِ
فَإِذَا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مُغِذَّةٌ (١)
سَوْدَاءُ قَدْ عَرَفَتْ أَوَانَ ذَهَابِي
لَا بَارَكَ الرَّحْمَانُ فِيهَا عَقْرَباً دَبَّابَةً دَبَّتْ إِلَى دَبَّابِ

فَقَالَ خَالِي: قَبَّحَكَ اللهُ، لَوْ تَرَكْتَ الْمُجُونَ يَوْماً

---

(١) من أغذ بمعنى أسرع السير.

لَتَرَكْتَهُ فِى هَذِهِ الْحَالِ. وَلِابْنِ بَسَّامٍ فِى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْوَزِيرِ :

رَجَوْتُ لَكَ الْوَزَارَةَ طُولَ عُمْرِى
فَلَمَّا كَانَ مِنْهَا مَا رَجَوْتُ

تَقَدَّمَنِى أُنَاسٌ لَمْ يَكُونُوا
يَرُومُونَ الْكَلَامَ إِذَا دَنَوْتُ

فَأَحْبَبْتُ الْمَمَاتَ وَكُلُّ عَيْشٍ
يُحَبُّ الْمَوْتُ فِيهِ فَهُوَ مَوْتُ

وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ بَسَّامٍ مِنْ خَطِّ السَّمْعَانِيِّ :

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصِّبَا
لَمَّا عَلَانِى لِلْمَشِيبِ قِنَاعُ

لِلّٰهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَلَهْوُهُ
لَوْ أَنَّ أَيَّامَ الشَّبَابِ تُبَاعُ!

فَدَعِ الصِّبَا يَا قَلْبُ وَاسْلُ عَنِ الْهَوَى
مَا فِيكَ بَعْدَ مَشِيبِكَ اسْتِمْتَاعُ

وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ مُوَدِّعٍ
فَلَقَدْ دَنَا سَفَرٌ وَحَانَ وَدَاعُ

فَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتٌ بِالْفَتَى
وَالنَّاسُ بَعْدَ الْحَادِثَاتِ سَمَاعُ

وَلَمَّا وَلِىَ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَزَارَةَ الْمُقْتَدِرِ وَرَتَّبَ مَعَهُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى يُدِيرُ الْأُمُورَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ :

يَا بْنَ الْفُرَاتِ تَعَزَّهْ قَدْ صَارَ أَمْرُكَ آيَهْ
لَمَّا عُزِلْتَ حَصَلْنَا عَلَى وَزِيرٍ بِدَايَهْ

وَعَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ الْقَائِلُ يَمْدَحُ النَّحْوَ :

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ وَافِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوَانَهُ فَانْظُرْ بِمَاذَا تُعَنْوِنُ ؟
فَلَا تَعْدُ إِصْلَاحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ
وَيُعْجِبُنِي زِيُّ الْفَتَى وَجَمَالُهُ
فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنَيَّ سَاعَةَ يَلْحَنُ
عَلَى أَنَّ لِلْإِعْرَابِ حَدًّا وَرُبَّمَا
سَمِعْتَ مِنَ الْإِعْرَابِ مَا لَيْسَ يَحْسُنُ
وَلَا خَيْرَ فِي اللَّفْظِ الْكَرِيهِ اسْتِمَاعُهُ
وَلَا فِي قَبِيحِ اللَّحْنِ وَالْقَصْدُ أَزْيَنُ

وَمِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَهْجُو فِيهَا الْكُتَّابَ :

وَعَبْدُونُ يَحْكُمُ فِي الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ مِثْلِهِ تُؤْخَذُ الْجَالِيَهْ [1]
وَدِهْقَانُ [2] طَيٍّ تَوَلَّى الْعِرَاقْ وَسَقْيَ الْفُرَاتِ وَزُرْ فَانِيَهْ
وَحَامِدُ يَاقَوْمِ لَوْ أَمْرُهُ إِلَيَّ لَأَلْزَمْتُهُ الزَّاوِيَهْ

(١) الجالية : أهل الذمة لأن عمر رضي الله عنه أجلاهم عن جزيرة العرب يريد أنه ممن يجلون عن البلاد ، ولعل المراد بها الجزية على التجوز لملاقة السببية
(٢) الدهقان : رئيس الاقليم «عبدالخالق»

نَعَمْ وَلَأَرْجَعْتُهُ صَاغِراً إِلَى بَيْعِ رُمَّانِ خُسْرَاوِيَهْ
أَيَارَبُّ قَدْ رَكِبَ الْأَرْذَلُون وَرِجْلِيَ مِنْ بَيْنِهِمْ مَاشِيَهْ
فَإِنْ كُنْتَ حَامِلَهَا مِثْلَهُمْ وَإِلَّا فَأَرْجِلْ بَنِي الزَّانِيَهْ

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ هِشَامِ بْنِ أَبِي قِيرَاطٍ: سَمِعْتُ ابْنَ بَسَّامٍ يُنْشِدُ فِي وَزَارَةِ ابْنِ الْفُرَاتِ:

إِذَا حَكَمَ النَّصَارَى فِي الْفُرُوجِ وَبَاهَوْا بِالْبِغَالِ وَبِالسُّرُوجِ
فَقُلْ لِلْأَعْوَرِ الدَّجَّالِ هَذَا أَوَانُكَ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي زَنْجِيٌّ الْكَاتِبُ، حَدَّثَنِي ابْنُ بَسَّامٍ قَالَ: كُنْتُ أَتَقَلَّدُ الْبَرِيدَ بِقَلَمٍ (١) فِي أَيَّامِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَالْعَامِلُ بِهَا أَبُو عِيسَى أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ خَالِدٍ الْمَعْرُوفُ بِأَخِي أَبِي صَخْرَةٍ، فَأَهْدَى إِلَيَّ فِي لَيْلَةِ عِيدِ الْأَضْحَى بَقَرَةً لِلْأُضْحِيَةِ، فَاسْتَقْلَلْتُهَا وَرَدَدْتُهَا وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

كَمْ مِنْ يَدٍ لِي إِلَيْكَ سَالِفَةٍ وَأَنْتَ بِالْحَقِّ غَيْرُ مُعْتَرِفِ
نَفْسَكَ أَهْدَيْتَهَا لِأَذْبَحَهَا فَصُنْتُهَا عَنْ مَوَاقِعِ التَّلَفِ

(١) لم أعثر على قلم في معجم البلدان والقاموس «عبد الخالق»

﴿ ٢٣ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ * ﴾

على بن محمد الأسدى

الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْكُوفِيِّ صَاحِبُ ثَعْلَبٍ وَالْخَصِيصُ بِهِ . وَهُوَ مِنْ أَسَدِ قُرَيْشٍ ، وَهُوَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ ابْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ رَهْطِ الزُّبَيْرِ ابْنِ الْعَوَّامِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَعْرُوفِ بِالصِّحَّةِ الْمَشْهُورِ بِإِتْقَانِ الضَّبْطِ وَحُسْنِ الشَّكْلِ ، فَإِذَا قِيلَ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ ابْنِ الْكُوفِيِّ فَقَدْ بَالَغَ فِي الِاحْتِيَاطِ ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ أَصْحَابِ ثَعْلَبٍ . مَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ ثِقَةً صَادِقًا فِي الرِّوَايَةِ وَحُسْنِ الدِّرَايَةِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْهَمْزِ رَأَيْتُهُ أَنَا بِخَطِّهِ ، كِتَابُ مَعَانِي الشِّعْرِ وَاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهِ ، كِتَابُ الْفَرَائِدِ وَالْقَلَائِدِ فِي اللُّغَةِ . قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَرَأَيْتُ بِخَطِّهِ عِدَّةَ كُتُبٍ فَلَمْ أَرَ أَحْسَنَ ضَبْطًا وَإِتْقَانًا لِلْكِتَابَةِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ الْإِعْرَابَ عَلَى الْحَرْفِ بِمِقْدَارِ الْحَرْفِ احْتِيَاطًا ، وَيَكْتُبُ عَلَى الْكَلِمَةِ الْمَشْكُوكِ

(*) راجع بغية الوعاة

فِيهَا عِدَّةَ مِرَارٍ: صَحَّ صَحَّ صَحَّ، فَكَانَ مِنْ جَمَّاعِي الْكُتُبِ وَأَرْبَابِ الْهَوَى فِيهَا. وَذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ التَّمِيمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ النَّجَّارِ فِي كِتَابِ الْكُوفَةِ مِنْ تَصْنِيفِهِ قَالَ: وَمِنْ أَصْحَابِ ثَعْلَبٍ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيُّ الْأَسَدِيُّ الَّذِي خَطُّهُ الْيَوْمَ يُؤْتَدَمُ بِهِ، وَبِيعَ جُزَازَاتُ كُتُبِهِ وَرِقَاعُ سُؤَالَاتِهِ الْعُلَمَاءَ، كُلُّ رُقْعَةٍ بِدِرْهَمٍ، وَأَنْفَقَ عَلَى الْعِلْمِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ عَلَى ثَعْلَبٍ وَحْدَهُ، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَظُنُّهُ سَهْوًا مِنْهُ، فَإِنَّ ابْنَ الْكُوفِيِّ الْمَشْهُورَ بِجَوْدَةِ الضَّبْطِ اسْمُهُ بِخَطِّهِ عَلَى عِدَّةٍ مِنْ كُتُبِهِ، وَهُوَ عَلِيُّ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ الْكُوفِيُّ الْأَسَدِيُّ كَمَا قَدَّمْنَا، فَإِنْ صَحَّتْ رِوَايَةُ ابْنِ النَّجَّارِ فَهُوَ غَيْرُ الَّذِي نَعْرِفُهُ نَحْنُ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ لِهَذَا الْمُسَمَّى ذِكْرًا مَعَ كَثْرَةِ بَحْثِي وَتَنْقِيرِي، وَوَجَدْتُ جُزَازَةً مِنْ إِمْلَاءِ أَبِي الْهَيْذَامِ كِلَابِ بْنِ حَمْزَةَ الْعُقَيْلِيِّ اللُّغَوِيِّ — وَلَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ تَرْجَمَةٌ — مَا صُورَتُهُ: وَلِأَبِي الْهَيْذَامِ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْكُوفِيِّ النَّحْوِيِّ الْبَغْدَادِيِّ رَحِمَهُ اللهُ:

أَبَا حَسَنٍ أَرَاكَ تَمُدُّ حَبْلِي لِتَقْطَعَهُ وَأُرْسِلُهُ بِجُهْدِي

وَأَتْبَعُهُ إِذَا قَصُرَ احْتِيَاطاً وَأَنْتَ تَشُدُّ حَبْلَكَ أَيَّ شَدِّ

أَخِيَّ فَكَمْ يَكُونُ بَقَاءُ حَبْلٍ يُتَلْتَلُ[١] بَيْنَ إِرْسَالٍ وَمَدِّ

تَعَالَى اللهُ مَا أَجْفَى زَمَاناً بَقِيتُ لَهُ وَأُنْكَدُ فِيهِ جَدِّي[٢]

أَظُنُّ الدَّهْرَ يَقْصِدُنِي لِأَمْرٍ يُحَاوِلُهُ وَيَطْلُبُنِي بِحِقْدِ

إِذَا ذَهَبَتْ بِشَكْلِي[٣] عَنْ وِدَادِي مَذَاهِبُهُ فَكَيْفَ أَلُومُ ضِدِّي؟

سَأَصْبِرُ طَائِعاً وَأَغُضُّ طَرْفِي وَأَحْفَظُ عَهْدَ مُطَّرِحٍ[٤] لِعَهْدِي

وَأَقْصِدُ أَنْ أُحَصِّلَ لِي صَدِيقاً أُعَزُّ بِهِ عَلَى خَطَئِي وَعَمْدِي

فَإِنْ أَظْفَرْ بِذَاكَ فَأَيُّ كَنْزٍ وَنَيْلِ غَنِيمَةٍ وَثُقُوبِ زَنْدِ[٥]

وَإِلَّا كَانَ حُسْنُ الصَّبْرِ أَحْرَى بِحُسْنِ مَثُوبَةٍ وَبِنَاءِ مَجْدِ

أَلَا لِلَّهِ مَا أَصْبَحْتُ فِيهِ مِنَ الْخُلَطَاءِ مِنْ تَعَبٍ وَكَدِّ

لِقَاءٌ بِالْجَمِيلِ وَحُسْنُ بِشْرٍ وَإِنْصَافٌ يُشَابُ[٦] بِخُلْفِ وَعْدِ

---

(١) يتلتل : يقلقل ويحرك ويزعزع (٢) أنكد جدى : أمنع من حظى

(٣) أى بمن يشاكلنى من أهل وصديق (٤) أى غير ملتفت إليه

(٥) ثقوب زند : ضوء العود الذى تقدح به النار ، وأى للتعظيم فهى الدالة على كمال الصنعة (٦) أى يخلط ، يريد أنهم يلقونه لقاء جميلا ولكن الوعد لا ينجز ، فهم يظهرون غير ما يبطنون .

وَعِلْمٌ لَا يُقَاسُ إِلَيْهِ عِلْمٌ بِكُلِّ طَرِيقَةٍ وَبِكُلِّ حَدٍّ
وَإِغْفَالٌ لِمَا أَوْلَى وَأَحْجَى[1] تَفَقُّدُهُ بِذِي أَدَبٍ وَحَشْدِ
فَيَا لِلّهِ يَا لَلنَّاسِ يَا لَلْـ ـعَجَائِبِ بَيْنَ تَقْرِبَةٍ وَبُعْدِ
مِنَ الْأَخْلَاقِ إِذْ مُزِجَتْ فَصَارَتْ
عَلَاقِمُهَا مُجَدَّحَةً[2] بِشَهْدِ
أَرَانِي بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ مَالِي سِوَى إِحْدَاهُمَا ثِقَةٌ لِقَصْدِ
فَإِنْ أُرِدِ الْأَنِيسَ أَعِشْ ذَلِيلًا وَإِنْ أُرِدِ التَّعَزُّزَ أَبْقَ وَحْدِي

﴿ ٣٤ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّاهِ الطَّاهِرِيُّ ﴾
﴿ مِنْ وَلَدِ الشَّاهِ بْنِ مِيكَالَ * ﴾

علي بن محمد الطاهري

وَكَانَ أَدِيبًا طَيِّبًا مُفَاكِهًا فِي نِهَايَةِ الظَّرْفِ وَالنَّظَافَةِ ، يَسْلُكُ مَسْلَكَ أَبِي الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيِّ فِي تَصَانِيفِهِ ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ دَعْوَةِ التُّجَّارِ ، كِتَابُ فَخْرِ الْمُشْطِ عَلَى الْمِرْآةِ ، كِتَابُ حَرْبِ الْجُبْنِ مَعَ الزَّيْتُونِ ، كِتَابُ الرُّؤْيَا ، كِتَابُ اللَّحْمِ وَالسَّمَكِ ، كِتَابُ عَجَائِبِ الْبَحْرِ ، كِتَابُ

---

(١) تفقده مبتدا خبره أولى وما عطفت عليه ، وبذى متعلق بأولى

(٢) مجدحة : مختلطة « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة

قَصِيدَةِ «وَخيارياممكانس[١]» . وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لَهُ مَا يُكْتَبُ ، وَجَدْتُ فِي كِتَابِ الرِّيَاضِ لِلْمَرْزُبَانِيِّ : أَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الشَّاهِ الطَّاهِرِيُّ :

فُؤَادِي عَلِيلٌ وَجِسْمِي نَحِيلٌ وَلَيْلِي طَوِيلٌ وَنَوْمِي قَلِيلٌ
وَقَلْبِي غَلِيلٌ وَدَائِي دَخِيلٌ[٢] وَسُقْمِي دَلِيلٌ عَلَى مَا أَقُولُ
وَطَرْفِي كَلِيلٌ[٣] فَمَالِي مَقِيلٌ وَأَمْرِي جَلِيلٌ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

﴿ ٣٥ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدُوسٍ الْكُوفِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

علي بن محمد ابن عبدوس الكوفي

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الشِّعْرِ بِالْعَرُوضِ . كِتَابُ الْبُرْهَانِ فِي عِلَلِ النَّحْوِ . كِتَابُ مَعَانِي الشِّعْرِ .

﴿ ٣٦ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْقَاسِمِ الْإِسْكَافِيُّ * ﴾

علي بن محمد الاسكافي

مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ ، ذَكَرَهُ الثَّعَالِبِيُّ فَقَالَ : هُوَ لِسَانُ

---

(١) ما فهمت من هذه الكلمة شيئا ولذا أغفلتها من الضبط ، ويخيل إلى أنها زجل خماسي من نوع الهذل ، كأن يقال لامرىء : أتريد كذا ؟ فيقول : وكذا أيضا ، فلعل هذه ختام لكل أربعة أنصاف من الزجل . (٢) أي داخل في أعماق البدن (٣) أي بصري ضعيف « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة

(*) لم نعثر له على ترجمة

خُرَاسَانَ وَعَيْنُهَا ، وَوَاحِدُهَا فِي الْكِتَابَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَمِمَّنْ لَمْ يَخْرُجْ مِثْلُهُ فِي الصِّنَاعَةِ وَالْبَرَاعَةِ ، وَكَانَ تَأَدَّبَ بِنَيْسَابُورَ عِنْدَ مُؤَدِّبٍ بِهَا يُعْرَفُ بِالْحَسَنِ بْنِ مَهْرَجَانَ مِنْ أَعْرَفِ الْمُؤَدِّبِينَ بِأَسْرَارِ التَّأْدِيبِ وَالتَّدْرِيسِ ، وَأَعْلَمِهِمْ بِطَرِيقِ التَّدْرِيجِ إِلَى التَّخْرِيجِ ، ثُمَّ حَرَّرَ مُدَيْدَةً فِي بَعْضِ الدَّوَاوِينِ فَخَرَجَ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ ، وَاسِطَةَ عِقْدِ الْفَضْلِ ، وَنَادِرَةَ الزَّمَانِ ، وَبِكْرَ(١) الْفَلَكِ كَمَا قَالَ فِيهِ الْهُزَيْمِيُّ :

سَبَقَ النَّاسَ بَيَانًا فَغَدَا وَهُوَ بِالْإِجْمَاعِ بِكْرُ الْفَلَكِ
أَصْبَحَ الْمُلْكُ بِهِ مُتَّسِقًا لِسَلِيلِ الْمُلْكِ عَبْدِ الْمَلِكِ(٢)

وَوَقَعَ فِي رَيْعَانِ(٣) أَمْرِهِ وَعُنْفُوَانِ عُمُرِهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الصَّاغَانِيِّ وَاسْتَأْثَرَ بِهِ وَاسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ ، وَقَلَّدَهُ دِيوَانَ رَسَائِلِهِ ، فَحَسُنَ خَبَرُهُ ، وَسَافَرَ(٤) أَثَرُهُ ، وَكَانَتْ كُتُبُهُ تَرِدُ عَلَى الْحَضْرَةِ فِي نِهَايَةِ الْحُسْنِ وَالنَّضْرَةِ ، فَتَقَعُ الْمُنَافَسَةُ فِيهِ ، وَيُكَاتَبُ أَبُو عَلِيٍّ فِي إِيثَارِ الْحَضْرَةِ بِهِ ، فَيَتَعَلَّلُ

---

(١) بكر كل شىء : أوله (٢) يعنى عبد الملك بن فتوح السمانى وهو أحد ملوكهم (٣) ريعان أمره ، وعنفوان عمره : أول كل منهما
(٤) سافر أثره : شاع ذكره وذاع صيته

وَيَتَسَلَّلُ لِوَاذًا[1] ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْهُ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ كَشْفِ أَبِي عَلِيٍّ قِنَاعَ الْعِصْيَانِ ، وَانْهِزَامِهِ فِي وَقْعَةِ خَرْجِيكَ إِلَى الصَّغَانِيَّانِ مَا كَانَ ، وَحَصَلَ[2] أَبُو الْقَاسِمِ فِي جُمْلَةِ الْأَسْرَى مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ ، فَحُبِسَ فِي الْقُهَنْدَزِ[3] وَقُيِّدَ مَعَ حُسْنِ الرَّأْيِ فِيهِ وَشِدَّةِ الْمَيْلِ إِلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ الْحَمِيدَ نُوحَ بْنَ نَصْرٍ أَرَادَ أَنْ يَسْتَكْشِفَهُ عَنْ سِرِّهِ وَيَقِفَ عَلَى خَبِيئَةِ صَدْرِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةٌ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْمَشَايِخِ وَيُقَالُ لَهُ فِيهَا : إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ الصَّاغَانِيَّ قَدْ كَتَبَ إِلَى الْحَضْرَةِ يَسْتَوْهِبُكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَيَسْتَدْعِيكَ إِلَى الشَّاسِ لِتَتَوَلَّى لَهُ كِتَابَةَ الْكُتُبِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فَمَا رَأْيُكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَوَقَّعَ فِي الرُّقْعَةِ : « رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ » فَلَمَّا عُرِضَ تَوْقِيعُهُ عَلَى الْحَمِيدِ حَسُنَ مَوْقِعُهُ مِنْهُ وَأُعْجِبَ بِهِ ، وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَالْخَلْعِ عَلَيْهِ ، وَإِقْعَادِهِ فِي دِيوَانِ الرَّسَائِلِ خَلِيفَةً لِأَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَمِيدِ الْمُلَقَّبِ بِكَلَّهْ ، وَهُوَ وَالِدُ

(١) يتسلل لواذا : يقدر على الخروج من مأزق الطلب (٢) أى وقع

(٣) القهندز كسفرجل : القلعة

أَبِي الفَضْلِ بْنِ العَمِيدِ ، وَكَانَ الإِسْمُ لِلْعَمِيدِ وَالْعَمَلُ لِأَبِي القَاسِمِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ بَعْضُ مُجَّانِ الْحَضْرَةِ :

تَبَظْرَمَ (١) الشَّيْخُ كُلَّهْ وَلَسْتُ أَرْضَى ذَاكَ لَهْ
كَأَنَّهُ لَمْ يَرَ مَنْ قَعَّدَ عَنْهُ بَدَلَهْ
وَاللهِ إِنْ دَامَ عَلَى هَذَا الْجُنُونِ وَالْبَلَهْ
فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَنْتَفُ مِنْهُ السَّبَلَهْ (٢)

وَكَانَ أَبُو القَاسِمِ يَهْجُوهُ فَقَالَ فِيهِ وَكَانَ يَحْضُرُ الدِّيوَانَ فِي مِحَفَّةٍ لِسُوءِ أَثَرِ النِّقْرِسِ عَلَى قَدَمِهِ :

يَاذَا الَّذِي رَكِبَ الْمِحَفْـ ـفَةَ جَامِعًا فِيهَا جِهَازَهْ
أَتُرَى الزَّمَانَ يُعِيشُنِي حَتَّى يُرِينِيهَا جَنَازَهْ ؟

فَلَمْ تَطُلِ الْأَيَّامُ حَتَّى أَدْرَكَتِ الْعَمِيدَ مَنِيَّتُهُ ، وَبَلَغَ أَبُو القَاسِمِ أُمْنِيَّتَهُ ، وَتَوَلَّى الْعَمَلَ بِرَأْسِهِ ، وَعَلَا أَمْرُهُ وَبَعُدَ صِيتُهُ ، وَجَمَعَتْ رَسَائِلُهُ أَقْسَامَ الْحُسْنِ وَالْجَوْدَةِ ، وَازْدَادَ عَلَى الْأَيَّامِ تَبَحُّرًا فِي الصِّنَاعَةِ ، وَيُحْكَى أَنَّ الْحَمِيدَ أَمَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ بِكَتْبِ كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ الْأَطْرَافِ وَرَكِبَ مُتَصَيِّدًا

(١) تبظرم : تحمق (٢) السبلة : ما على الشارب من الشعر ، وقيل : طرفه ، وقيل : مجتمع الشاربين .

وَاشْتَغَلَ أَبُو الْقَاسِمِ عَنْ ذَلِكَ لِمَجْلِسِ أُنْسٍ عَقَدَهُ بَيْنَ إِخْوَانٍ جَمَعَهُمْ عِنْدَهُ، فَحِينَ رَجَعَ الْحَمِيدُ مِنْ مُتَصَيَّدِهِ اسْتَدْعَى أَبَا الْقَاسِمِ وَأَمَرَهُ بِاسْتِصْحَابِ الْكِتَابِ الَّذِي رَسَمَ لَهُ كِتَابَتَهُ لِيَعْرِضَهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ كَتَبَهُ، فَأَجَابَ دَاعِيَهُ وَقَدْ نَالَ مِنْهُ الشَّرَابُ وَمَعَهُ طُومَارٌ بَيَاضٌ أَوْهَمَ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِيهِ الْكِتَابُ الْمَرْسُومُ لَهُ، وَقَعَدَ بِالْبُعْدِ عَنْهُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابًا طَوِيلًا سَدِيداً بَلِيغاً أَنْشَأَهُ فِي وَقْتِهِ وَقَرَأَهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، وَارْتَضَاهُ الْحَمِيدُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ قَرَأَهُ مِنْ سَوَادِ مَكْتُوبِهِ وَأَمَرَهُ بِخَتْمِهِ، فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَحَرَّرَ مَا قَرَأَهُ وَأَصْدَرَهُ عَلَى الرَّسْمِ فِي أَمْثَالِهِ.

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ: أَنَّهُ كَانَ أَكْتَبَ النَّاسِ فِي السُّلْطَانِيَّاتِ، فَإِذَا تَعَاطَى الْإِخْوَانِيَّاتِ كَانَ قَصِيرَ الْبَاعِ، وَكَانَ يُقَالُ: إِذَا اسْتَعْمَلَ أَبُو الْقَاسِمِ نُونَ الْكِبْرِيَاءِ تَكَلَّمَ مِنَ السَّمَاءِ، وَكَانَ فِي عُلُوِّ الرُّتْبَةِ فِي النَّثْرِ وَانْحِطَاطِهِ فِي النَّظْمِ كَالْجَاحِظِ، وَرَسَائِلُهُ كَثِيرَةٌ مُدَوَّنَةٌ سَائِرَةٌ فِي الْآفَاقِ.

قَالَ: وَلَمَّا انْتَقَلَ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ أَكْمَلَ مَا كَانَ شَبَابًا

وَآدَاباً ، وَغَدَتِ الْكِتَابَةُ لِفِرَاقِهِ شَعْثَاءَ[1] ، وَالْبَلَاغَةُ غَبْرَاءَ .
أَكْبَرَ فُضَلَاءُ الْحَضْرَةِ رَزِيَّتَهُ ، وَأَكْثَرُوا مَرْثِيَتَهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ
قَوْلُ الْهُزَيْمِيِّ الْأَبِيوَرْدِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَلَمْ تَرَ دِيوَانَ الرَّسَائِلِ عُطِّلَتْ
لِفِقْدَانِهِ أَقْلَامُهُ وَدَفَاتِرُهْ

كَثَغْرٍ مَضَى حَامِيهِ لَيْسَ لِسَدِّهِ
سِوَاهُ وَكَالْكَسْرِ الَّذِي عَزَّ جَابِرُهْ

لِيَبْكِ عَلَيْهِ خَطُّهُ وَبَيَانُهُ
فَذَا مَاتَ وَاشِيهِ وَذَا مَاتَ سَاحِرُهْ

﴿ ٣٧ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَهْمِ ﴾
﴿ دَاوُدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ * ﴾

علي بن محمد التنوخي

التَّنُوخِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَاضِي ، قَدْ تَقَدَّمَ نَسَبُهُ فِي تَرْجَمَةِ
حَفِيدِهِ عَلِيِّ بْنِ الْمُحَسِّنِ . قَالَ السَّمْعَانِيُّ : وُلِدَ أَبُو الْقَاسِمِ هَذَا
بِأَنْطَاكِيَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ،
وَقَدِمَ بَغْدَادَ فِي حَدَاثَتِهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتَفَقَّهَ بِهَا

(١) يريد بذلك اضطراب أحوال الكتابة ونظمها

عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ ، وَوُلِّيَ الْقَضَاءَ بِالْأَهْوَازِ وَكُوَرِهَا ، وَتَقَلَّدَ قَضَاءَ إِيذَجَ وَجُنْدَ حِمْصَ مِنْ قِبَلِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ ، وَمَاتَ بِالْبَصْرَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَدُفِنَ بِالْمِرْبَدِ . أَعْرِفُ مِنَ التَّنُوخِيِّينَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرُوا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَهُمْ : أَبُو الْقَاسِمِ وَابْنُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ صَاحِبُ كِتَابِ نِشْوَارِ الْمُحَاضَرَةِ وَكِتَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ ، وَحَفِيدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيٌّ الْأَخِيرُ شَيْخُ الْخَطِيبِ وَتِلْكَ الطَّبَقَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي الْأَدَبِ مِنْهَا :

كِتَابٌ فِي الْعَرُوضِ . قَالَ الْخَالِعُ : مَا عُمِلَ فِي الْعَرُوضِ أَجْوَدُ مِنْهُ . كِتَابٌ فِي عِلْمِ الْقَوَافِي ، وَكَانَ بَصِيراً بِعِلْمِ النُّجُومِ ، قَرَأَهُ عَلَى الْبُنَانِيِّ الْمُنَجِّمِ صَاحِبِ الزِّيجِ وَيُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِعَشَرَةِ عُلُومٍ ، وَتَقَلَّدَ الْقَضَاءَ بِالْأَهْوَازِ وَكُورَةِ وَاسِطَ وَأَعْمَالِهَا وَالْكُوفَةِ ، وَسَقْيِ الْفُرَاتِ وَجُنْدَ حِمْصَ وَعِدَّةِ نَوَاحٍ مِنَ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ وَأَرَّجَانَ وَكُورَةِ سَابُورَ مُجْتَمِعاً وَمُفْتَرِقاً ، وَأَوَّلُ وِلَايَتِهِ الْقَضَاءَ رِيَاسَةً فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ

بِاللهِ بِعَهْدٍ كَتَبَهُ لَهُ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مُقْلَةَ الْوَزِيرُ ، وَشَهِدَ الشُّهُودُ عِنْدَهُ فِيمَا حَكَمَ بَيْنَ أَهْلِ عَمَلِهِ بِالْحَضْرَةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَشَهِدُوا عَلَى إِنْفَاذِهِ . وَكَانَ الْمُطِيعُ لِلهِ قَدْ عَوَّلَ عَلَى صَرْفِ أَبِي السَّائِبِ عَنْ قَضَاءِ الْقُضَاةِ وَتَقْلِيدِهِ إِيَّاهُ ، فَأَفْسَدَ ذَلِكَ بَعْضُ أَعْدَائِهِ ، وَكَانَ ابْنُ مُقْلَةَ قَلَّدَهُ الْمَظَالِمَ بِالْأَهْوَازِ وَالْإِشْرَافَ عَلَى الْعِيَارِ بِهَا ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيُّ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ بِوَاسِطَ عَلَى بَعْضِ أُمُورِ النَّظَرِ ، وَلَمْ يَزَلْ نَبِيهاً مُتَقَدِّماً يَمْدَحُهُ الشُّعَرَاءُ وَيُجِيزُهُمْ ، وَيُفْضِلُ عَلَى مَنْ قَصَدَهُ إِفْضَالًا أَثَّرَ فِي حَالِهِ ، وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ وَقَضَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ وَهُوَ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ : كَانَ أَبِي يَحْفَظُ لِلطَّائِيِّينَ سَبْعَمِائَةِ قَصِيدَةٍ وَمَقْطُوعَةٍ سِوَى مَا يَحْفَظُ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُحْدَثِينَ وَالْمُخَضْرَمِينَ وَالْجَاهِلِيِّينَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ دَفْتَراً بِخَطِّهِ هُوَ عِنْدِي يَحْتَوِي عَلَى رُءُوسِ مَا يَحْفَظُهُ مِنَ الْقَصَائِدِ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَرَقَةً أَثْمَانَ مَنْصُورِيٍّ لِطَافٍ . وَكَانَ يَحْفَظُ مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ شَيْئاً عَظِيماً مَعَ ذَلِكَ ، وَكَانَ

عَظِيماً في الْفِقْهِ وَالْفَرَائِضِ . وَالشُّرُوطُ وَالْمَحَاضِرُ وَالسِّجِلَّاتُ رَأْسُ مَالِهِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ مِنْهُ مَاقَدِ اشْتَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَنْطِقِ وَالْهَنْدَسَةِ ، وَكَانَ فِي النَّحْوِ وَحِفْظِ الْأَحْكَامِ وَعِلْمِ الْهَيْئَةِ قُدْوَةً وَفِي حِفْظِ عِلْمِ الْعَرُوضِ . وَلَهُ فِيهِ وَفِي الْفِقْهِ وَغَيْرِهِمَا عِدَّةُ كُتُبٍ مُصَنَّفَةٍ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَحْفَظُ وَيُجِيبُ فِيمَا يَفُوقُ عِشْرِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً أَحْفَظَ مِنْهُ ، وَلَوْلَا أَنَّ حِفْظَهُ افْتَرَقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْعُلُومِ لَكَانَ أَمْراً هَائِلًا .

قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ : هُوَ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَأَفْرَادِ الْكَرَمِ وَحُسْنِ الشِّيَمِ ، وَكَانَ كَمَا قَرَأْتُهُ فِي فَصْلٍ لِلصَّاحِبِ : إِنْ أَرَدْتَ فَإِنِّي سُبْحَةُ نَاسِكٍ ، أَوْ أَحْبَبْتَ فَإِنِّي تُفَّاحَةُ فَاتِكٍ ، أَوِ اقْتَرَحْتَ فَإِنِّي مُدَرَّعَةُ رَاهِبٍ ، أَوْ آثَرْتَ فَإِنِّي تَحِيَّةُ شَارِبٍ . وَكَانَ يَتَقَلَّدُ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ بِضْعَ سِنِينَ ، وَحِينَ صُرِفَ عَنْهُ وَرَدَ حَضْرَةَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ زَائِراً وَمَادِحاً ، فَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ وَأَحْسَنَ قِرَاهُ ، وَكَتَبَ فِي مَعْنَاهُ إِلَى الْحَضْرَةِ بِبَغْدَادَ حَتَّى أُعِيدَ إِلَى عَمَلِهِ ، وَزِيدَ فِي رِزْقِهِ وَرُتْبَتِهِ . وَكَانَ الْمُهَلَّبِيُّ الْوَزِيرُ وَغَيْرُهُ مِنْ رُؤَسَاءِ

الْعِرَاقِ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ جِدًّا وَيَتَعَصَّبُونَ لَهُ ، وَيَعُدُّونَهُ رَيْحَانَةَ النُّـدَمَاءِ ، وَتَارِيخَ الظُّرَفَاءِ ، وَيُعَاشِرُونَ مِنْهُ مَنْ تَطِيبُ عِشْرَتُهُ ، وَتَكْرُمُ أَخْلَاقُهُ ، وَتَحْسُنُ أَخْبَارُهُ ، وَتَسِيرُ أَشْعَارُهُ ، نَاظِماً حَاشِيَتَيِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَنَاحِيَتَيِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ . وَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ لَهُ غُلَامٌ يُسَمَّى نَسِيماً فِي نِهَايَةِ الْمَلَاحَةِ وَاللَّبَاقَةِ ، وَكَانَ يُؤْثِرُهُ عَلَى سَائِرِ غِلْمَانِهِ ، وَيَخْتَصُّهُ بِتَقْرِيبِهِ وَاسْتِخْدَامِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْـهِ بَعْضُ مَنْ يَأْنَسُ بِهِ :

هَلْ عَلَى مَنْ لَامُهُ مُدْغَمَةٌ
لِاضْطِرَارِ الشِّعْرِ فِي مِيمِ نَسِيمِ ؟
فَوَقَّعَ تَحْتَهُ نَعَمْ ، وَلِمَ لَا ؟

قَالَ : وَيُحْكَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْقُضَاةِ الَّذِينَ يُنَادِمُونَ الْوَزِيرَ الْمُهَلَّبِيَّ وَيَجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ فِي الْأُسْبُوعِ لَيْلَتَيْنِ عَلَى أُطَّرَاحِ الْحِشْمَةِ[1] ، وَالتَّبَسُّطِ فِي الْقَصْفِ[2] وَالْخَلَاعَةِ ، وَهُمُ ابْنُ قُرَيْعَةَ[3] ، وَابْنُ مَعْرُوفٍ ، وَالْقَاضِي

(١) أى إزالة ما يوجب الكلفة (٢) أى الاقامة فى الأكل والشرب واللهو .
(٣) وقريعة اسم جده ، قال : هذا ابن خلكان نقلا عن السمعاني ، واسمه محمد بن عبد الرحمن ، ولقبه أبو بكر بن قريعة « عبد الخالق »

الإيذَجِيُّ وَغَيْرُهُمْ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا أَبْيَضُ اللِّحْيَةِ طَوِيلُهَا ، وَكَذَلِكَ كَانَ الْمُهَلَّبِيُّ ، فَإِذَا تَكَامَلَ الْأُنْسُ وَطَابَ الْمَجْلِسُ ، وَلَذَّ السَّمَاعُ وَأَخَذَ الطَّرَبُ مِنْهُمْ مَأْخَذَهُ ، وَهَبُوا ثَوْبَ الْوَقَارِ لِلْعُقَارِ ، وَتَقَلَّبُوا فِي أَعْطَافِ الْعَيْشِ بَيْنَ الْخِفَّةِ وَالطَّيْشِ ، وَوُضِعَ فِي يَدِ كُلٍّ مِنْهُمْ طَاسٌ ذَهَبٌ مِنْ أَلْفِ مِثْقَالٍ مَمْلُوءٌ شَرَابًا قُطْرُبُلِيًّا[1] وَعُكْبَرِيًّا فَيَغْمِسُ لِحْيَتَهُ فِيهِ ، بَلْ يَنْقَعُهَا حَتَّى تَتَشَرَّبَ أَكْثَرَهُ ، ثُمَّ يَرُشُّ بِهَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَيَرْقُصُونَ بِأَجْمَعِهِمْ وَعَلَيْهِمُ الْمُصَبَّغَاتُ وَمَخَانِقُ[2] الْبَرَمِ وَيَقُولُونَ كُلَّمَا كَثُرَ شُرْبُهُمْ : هَرْهَرْ[3] وَإِيَّاهُمْ عَنَى السَّرِيُّ بِقَوْلِهِ :

مَجَالِسٌ تَرْقُصُ الْقُضَاةُ بِهَا ... إِذَا انْتَشَوْا[4] فِي مَخَانِقِ الْبَرَمِ

وَصَاحِبٌ يَخْلِطُ الْمُجُونَ[5] لَنَا ... بِشِيمَةٍ حُلْوَةٍ مِنَ الشِّيَمِ

يَخْضِبُ بِالرَّاحِ شَيْبَهُ عَبَثًا ... أَنَامِلٌ مِثْلُ حُمْرَةِ الْعَنَمِ

(١) قطربليا : نسبة إلى قطربل ، وهو موضع بالعراق تنسب إليه الخمر الجيدة ، والعكبرى : منسوب إلى عكبرا (٢) مخانق جمع مخنقة : وهى القلادة ، البرم : خيوط مختلفة فالمخانق مصنوعة منها (٣) يريد كثرة ضحكهم ، فان الهرهرة : الضحك فى الباطل (٤) أى إذا سكروا وأخذتهم نشوة الخمر (٥) المجون : المزاح

حَتَّى تَخَالَ الْعُيُونُ شَيْبَتَهُ شُيَيْبَةً [١] قَدْ مَزَجْتَهَا بِدَمِ

فَإِذَا أَصْبَحُوا عَادُوا إِلَى عَادَاتِهِمْ فِي التَّزَمُّتِ وَالتَّوَقُّرِ وَالتَّحَفُّظِ بِأُبَّهَةِ الْقَضَاءِ وَحِشْمَةِ الْمَشَايِخِ الْكُبَرَاءِ.

وَمِنْ شِعْرِ التَّنُوخِيِّ هَذَا:

وَجَاءَ لَا جَاءَ الدُّجَى كَأَنَّهُ
مِنْ طَلْعَةِ الْوَاشِي وَوَجْهِ الْمُرْتَقِبْ

وَفَعَلَ الظَّلَامُ بِالضِّيَاءِ مَا يَفْعَلُهُ الْحُرْفُ [٢] بِأَبْنَاءِ الْأَدَبْ

وَلَهُ:

وَلَيْلَةِ مُشْتَاقٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ
قَدِ اغْتَصَبَتْ عَيْنِي الْكَرَى فَهْيَ نُوَّمُ

كَأَنَّ عُيُونَ السَّاهِرِينَ لِطُولِهَا
إِذَا شَخَصَتْ لِلْأَنْجُمِ الزُّهْرِ أَنْجُمُ

كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرُ ضَاحِكٌ [٣]
يَلُوحُ وَيَخْفَى أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

---

(١) يابس من الورق أبيض اسمه شيبة (٢) الحرف بضم حائه: الحرمان، ومنه الحرفة بضم حائها وكسرها، ومن هنا قول عمر رضي الله عنه: «لحرفة أحدهم أشد عليه من عيابه». (٣) أي مسفر ظاهر

وَلَهُ :

عَهْدِى بِهَا وَضِيَاءُ الصُّبْحِ يُطْفِيهَا
كَالسُّرْجِ تُطْفَأُ أَوْ كَالْأَعْيُنِ الْعُورِ
أَعْجِبْ بِهِ حِينَ وَافَى وَهْىَ نَيِّرَةٌ
وَظَلَّ يَطْمِسُ مِنْهَا النُّورَ بِالنُّورِ

وَلَهُ :

لَمْ أَنْسَ دِجْلَةَ وَالدُّجَى مُتَصَوِّبٌ[1]
وَالْبَدْرُ فِى أُفُقِ السَّمَاءِ مُغَرِّبُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَزْرَقٌ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازٌ مُذْهَبُ

وَلَهُ :

كَتَبْتُ وَلَيْلِى بِالسُّهَادِ نَهَارُ
وَصَدْرِى لِوُرَّادِ الْهُمُومِ صِدَارُ[2]
وَلِى أَدْمُعٌ غُزْرٌ تَفِيضُ كَأَنَّهَا
سَحَائِبُ فَاضَتْ مِنْ يَدَيْكَ غِزَارُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الدَّمْعِ مَاءً إِذَا جَرَى
تَلَهَّبُ مِنْهُ فِى الْمَدَامِعِ نَارُ

(١) الدجى متصوب : الظلام نازل (٢) الصدار : ما يلبس فوق الشعار ، وهو الذى يقال عنه عند العامة : « سديرى »

رَحَلْتُ وَزَادِي لَوْعَةٌ وَمَطِيَّتِي
جَوَانِحُ مِنْ حَرِّ الْفِرَاقِ حِرَارُ
مَسِيرٌ دَعَاهُ النَّاسُ سَيْراً تَوَسُّعاً
وَمَعْنَى اسْمِهِ إِنْ حَقَّقُوهُ إِسَارُ
إِذَا رُمْتُ أَنْ أَنْسَى الْأَسَى ذَكَّرَتْ بِهِ
دِيَارٌ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ دِيَارُ
لَكَ الْخَيْرُ، عَنْ غَيْرِ اخْتِيَارِي تَرَحُّلِي
وَهَلْ بِي عَلَى صَرْفِ الزَّمَانِ خِيَارُ؟
وَهَـذَا كِتَابِي وَالْجُفُونُ كَأَنَّهَا
تُحَكَّمُ فِي أَشْفَارِهِنَّ[1] شِفَارُ

وَلَهُ:

فَحْمٌ كَيَوْمِ الْفِرَاقِ يُشْعِلُهُ نَارٌ كَنَارِ الْفِرَاقِ فِي الْكَبِدِ
أَسْوَدُ قَدْ صَارَ تَحْتَ حُمْرَتِهَا مِثْلَ الْعُيُونِ اكْتَحَلْنَ بِالرَّمَدِ

وَلَهُ فِي مَحْبُوبٍ جَسِيمٍ:

مِنْ أَيْنَ أَسْتُرُ وَجْدِي وَهُوَ مُنْهَتِكُ[2]
مَا لِلْمُتَيَّمِ فِي فَتْكِ الْهَوَى دَرَكُ؟

(١) أشفار جمع شفر: وهو أصل منبت شعر الجفن، وشفار جمع شفرة: وهي السكين العظيمة العريضة، أو حد السيف (١) منهتك: مفتضح

قَالُوا : عَشِقْتَ عَظِيمَ الْجِسْمِ ، قُلْتُ لَهُمْ :

كَالشَّمْسِ أَعْظَمُ جِسْمٍ حَازَهُ الْفَلَكُ

وَلَهُ :

رِضَاكَ شَبَابٌ لَا يَلِيهِ مَشِيبُ

وَسُخْطُكَ دَاءٌ لَيْسَ مِنْهُ طَبِيبُ

كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الْقُلُوبِ مُرَكَّبٌ

فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ حَبِيبُ

قَالَ : وَمِمَّا أُنْشِدْتُهُ لَهُ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي دِيوَانِهِ :

قُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ مَرَّ بِي مُنْتَقِبًا بَعْدَ الضِّيَا بِالظُّلَمْ

بِاللهِ يَا أَهْلَ وِدَادِي قِفُوا كَيْ تُبْصِرُوا كَيْفَ زَوَالُ النِّعَمْ ؟

وَحَدَّثَ السَّلَامِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي اللَّحَّامُ قَالَ : خَرَجَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ وَرْقَاءَ الشَّيْبَانِيُّ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ الْأَنْطَاكِيُّ يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ وَيَجْزَعُ عَلَى فِرَاقِهِ :

أَسِيرُ وَقَلْبِي فِي ذُرَاكَ أَسِيرُ وَحَادِي رِكَابِي لَوْعَةٌ وَزَفِيرُ

وَلِي أَدْمُعٌ غُزْرٌ تَفِيضُ كَأَنَّهَا
جَدًى فَاضَ فِي الْعَافِينَ مِنْكَ غَزِيرُ
وَطَرْفٌ طَرِيفٌ(١) بِالسُّهَادِ كَأَنَّهُ
نَدَاكَ وَجَيْشُ الْجُودِ فِيهِ يُغِيرُ
أَبَا أَحْمَدٍ إِنَّ الْمَكَارِمَ مَنْهَلٌ
لَكُمْ أَوَّلٌ مِنْ وِرْدِهِ وَأَخِيرُ
سَمَاحٌ كَمُزْنِ الْجُودِ فِيهِ تَسَجُّمٌ
وَغَابٌ لِأُسْدِ الْمَوْتِ فِيهِ زَئِيرُ
شَبَابُ بَنِي شَيْبَانَ شِيبٌ إِذَا انْتَدَوْا(٢)
وَقُلُّهُمُ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَثِيرُ
وُجُوهٌ كَأَكْبَادِ الْمُحِبِّينَ رِقَّةً
عَلَى أَنَّهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ صُخُورُ

وَحَدَّثَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى مَنْصُورٍ الْخَالِدِيِّ قَالَ: كُنْتُ لَيْلَةً عِنْدَ الْقَاضِي

(١) طريف فعيل بمعنى مفعول، يريد أنه مصاب (٢) انتدوا: جلسوا فى الندى «النادى» يريد مدحهم بأنهم بلغوا الغاية فى الكمال والوقار وقال: إن الشباب كالشيب ويحترمون احترامهم، وهم يوم اللقاء كثير عددهم وأن لهم عاطفة هى ما هى إلا أنهم صلب عند اللقاء. «عبد الخالق»

التَّنُوخِيُّ فِي ضِيَافَتِهِ فَأَغْفَى إِغْفَاءَةً خَرَجَتْ مِنْهُ رِيحٌ ، فَضَحِكَ بَعْضُ الْقَوْمِ فَانْتَبَهَ لِضَحِكِهِ وَقَالَ : لَعَلَّ رِيحاً ، فَسَكَتْنَا فَمَكَثَ هُنَيْهَةً ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ مِنْ مُتَيَقِّظٍ
تَرَاخَتْ بِلَا شَكٍّ تَشَارِيجُ فَقْحَتِهْ
فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ فَيَعْذِرُ نَائِماً
وَمَنْ كَانَ ذَا جَهْلٍ فَفِي جَوْفِ لِحْيَتِهْ

وَمِنْ خَطِّ السَّمْعَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ لَهُ ، وَهِيَ مِنْ مَشْهُورِ شِعْرِهِ :

لَمْ أَنْسَ شَمْسَ الضُّحَى تُطَالِعُنِي ... وَنَحْنُ مِنْ رِقْبَةٍ[1] عَلَى فَرَقِ
وَجَفْنُ عَيْنِي بِدَمْعِهِ شَرِقٌ[2] ... لَمَّا بَدَتْ فِي مُعَصْفَرٍ شَرَقِ
كَأَنَّهُ أَدْمُعِي وَوَجْنَتُهَا ... لَمَّا رَمَتْنَا الْوُشَاةُ بِالْحَدَقِ
ثُمَّ تَغَطَّتْ بِكُمِّهَا خَجَلًا
كَالشَّمْسِ غَابَتْ فِي حُمْرَةِ الشَّفَقِ

(١) الرقبة : التحفظ والحراسة (٢) الشرق بكسر الراء : الجفن غص بالدمع ، وبفتحها : الثوب الذى زيد صبغه حتى صار مشرقا

وَلَهُ :

تَخَيَّرْ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْأَمْرِ مُرْسِلًا
فَمُبْلِغُ آرَاءِ الرِّجَالِ رَسُولُهَا
وَرَوِّئْ[1] وَفَكِّرْ فِي الْكِتَابِ فَإِنَّمَا
بِأَطْرَافِ أَقْلَامِ الرِّجَالِ عُقُولُهَا

وَحَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّنُوخِيُّ : جَرَى فِي مَجْلِسِ أَبِي — رَحِمَهُ اللهُ — يَوْمًا ذِكْرُ رَجُلٍ كَانَ صَغِيرًا فَارْتَفَعَ ، فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ : مَنْ ذَاكَ الْوَضِيعُ ؟ أَمْسِ كُنَّا نَرَاهُ بِمُرَقَّعَةٍ يَشْحَذُ ، فَقَالَ أَبِي : وَمَا يَضَعُهُ مِنْ أَنَّ الزَّمَانَ عَضَّهُ ثُمَّ سَاعَدَهُ ؟ كُلُّ كَبِيرٍ إِنَّمَا كَانَ صَغِيرًا أَوَّلًا ، وَالْفَقْرُ لَيْسَ بِعَارٍ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فَاضِلًا فِي نَفْسِهِ ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ خَاصَّةً لَا يَعِيبُهُمْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ كَانَ صَغِيرًا فَارْتَفَعَ ، أَوْ فَقِيرًا فَاسْتَغْنَى ، أَفْضَلُ مِمَّنْ وُلِدَ فِي الْغِنَى أَوْ فِي الْجَلَالَةِ ، لِأَنَّ مَنْ وُلِدَ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا يُحْمَدُ عَلَى فِعْلِ غَيْرِهِ ، فَلَا حَمْدَ لَهُ هُوَ خَاصَّةً فِيهِ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ

(١) روأ فى الأمر : نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بالجواب فيه ، وكانت فى الأصل « ورد »

فكان ، فكأنما بكدّه وصل إلى ذلك ، فهو أفضل ممن وصل إليه ميراثاً أو بجدّ غيره وكدّ سواه .

حدث أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد ابن داود التنوخي : حدثني أبي قال : سمعت أبي ـ رحمه الله ـ يوماً ينشد وسني إذ ذاك خمس عشرة سنة بعض قصيدة دعبل بن علي الطويلة التي يفخر فيها باليمن ويعدّد مناقبهم ، ويرد على الكميت فيها فخره بنزار ، وأولها :

أفيقي من ملامك يا ظعينا[1] كفاك اللوم مرّ الأربعينا

وهي نحو ستمائة بيت ، فاشتهيت حفظها لما فيها من مفاخر اليمن لأنهم أهلي ، فقلت ياسيدي : تخرجها إليّ حتى أحفظها ؟ فدافعني فألححت عليه فقال : كأني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيت ، ثم ترمي بالكتاب وتخلقه[2] عليّ ، فقلت : أدفعها إليّ فأخرجها وسلمها لي وقد كان كلامه أثر فيّ فدخلت حجرة لي كانت برسمي من داره ، فخلوت فيها ولم أتشاغل يومي وليلتي بشيء غير

(١) الظعينة : المرأة التي في الهودج (٢) تخلقه : تهمله حتى يبلى

حِفْظِهَا ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ كُنْتُ قَدْ فَرَغْتُ مِنْهَا جَمِيعِهَا وَأَتْقَنْتُهَا، نَخَرَجْتُ إِلَيْهِ غُدْوَةً عَلَى رَسْمِي فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي : كَمْ حَفِظْتَ مِنَ الْقَصِيدَةِ ؟ فَقُلْتُ : قَدْ حَفِظْتُهَا بِأَسْرِهَا ، فَغَضِبَ وَقَدَّرَ أَنِّي قَدْ كَذَبْتُهُ وَقَالَ : هَاتِهَا ، فَأَخْرَجْتُ الدَّفْتَرَ مِنْ كُمِّي فَأَخَذَهُ وَفَتَحَهُ وَنَظَرَ فِيهِ وَأَنَا أُنْشِدُ إِلَى أَنْ مَضَيْتُ فِي أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ بَيْتٍ ، فَصَفَّحَ مِنْهَا عِدَّةَ أَوْرَاقٍ وَقَالَ : أَنْشِدْ مِنْ هَاهُنَا ، فَأَنْشَدْتُ مِقْدَارَ مِائَةِ بَيْتٍ ، فَصَفَّحَ إِلَى أَنْ قَارَبَ آخِرَهَا بِمِائَةِ بَيْتٍ وَقَالَ : أَنْشِدْنِي مِنْ هَاهُنَا ، فَأَنْشَدْتُهُ مِنْ مِائَةِ بَيْتٍ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا فَهَالَهُ مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حِفْظِي، فَضَمَّنِي إِلَيْهِ وَقَبَّلَ رَأْسِي وَعَيْنِي وَقَالَ : بِاللهِ يَا ابْنِي لَا تُخْبِرْ بِهَذَا أَحَدًا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنَ الْعَيْنِ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : قَالَ لِي أَبِي : حَفَّظَنِي أَبِي وَحَفِظْتُ بَعْدَهُ مِنْ شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ وَالْبُحْتُرِيِّ سِوَى مَا كُنْتُ أَحْفَظُ لِغَيْرِهِمَا مِنَ الْمُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ مِائَتَيْ قَصِيدَةٍ قَالَ: وَكَانَ أَبِي وَشُيُوخُنَا بِالشَّامِ يَقُولُونَ : مَنْ حَفِظَ لِلطَّائِيَّيْنِ أَرْبَعِينَ قَصِيدَةً وَلَمْ يَقُلِ الشِّعْرَ فَهُوَ حِمَارٌ فِي مِسْلَاخِ (١) إِنْسَانٍ ، فَقُلْتُ الشِّعْرَ وَبَدَأْتُ بِمَقْصُورَتِي الَّتِي أَوَّلُهَا :

(١) مسلاخ : جلد

لَوْلَا التَّنَاهِي لَمْ أُطِعْ نَهْيَ النُّهَى
أَيَّ مَدًى يَطْلُبُ مَنْ جَازَ الْمَدَى ؟

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ: وَجَدْتُ فِي كُتُبِ أَبِي كِتَاباً مِنْ كُتُبِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ إِلَيْهِ قَبْلَ تَقَلُّدِهِ الْوَزَارَةَ بِسِنِينَ أَوَّلُهُ : كِتَابِي أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا الْقَاضِي عَنْ سَلَامَةٍ لَا زَالَتْ لَهُ إِلْفاً وَعَلَيْهِ وَقْفاً :

وَحَمْدٍ لِمَوْلًى أَسْتَمِدُّ بِحَمْدِهِ
لَهُ الرُّتْبَةَ الْعَلْيَاءَ وَالْعِزَّ دَائِماً
وَأَنْ يُسْخِطَ الْأَيَّامَ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا
وَتَرْضَى الْمُنَى حَتَّى يُرِينِيكَ سَالِمَا

وَصَلَ كِتَابُهُ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ فَقُمْتُ مُعَظِّماً لَهُ ، وَقَعَدْتُ مُشْتَمِلاً عَلَى السُّرُورِ بِهِ :

وَفَضَضْتُهُ فَوَجَدْتُهُ لَيْلًا عَلَى صَفَحَاتِ نُورِ
مِثْلَ السَّوَالِفِ وَالْخُدُو دِ الْبِيضِ زِينَتْ بِالشُّعُورِ
بِنِظَامِ لَفْظٍ كَالثُّغُو رِ وَكَاللَّآلِئِ فِي النُّحُورِ
أَنْزَلْتُهُ فِي الْقَلْبِ مَنْـــزِلَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ فِي النِّشْوَارِ : حَدَّثَنِي أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ ابْنُ ثَابِتٍ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ جَوَابَ كِتَابٍ كَتَبْتُهُ إِلَيْهِ ، وَصَلَ كِتَابُكَ :

فَمَا شَكَكْتُ وَقَدْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِهِ
أَنَّ الشَّبَابَ أَتَانِي بَعْدَ مَاذَهَبَا

وَقُلْتُ : نَفْسِي تُفَدِّي نَفْسَ مُرْسِلِهِ
مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا

وَكَادَ قَلْبِي وَقَدْ قَلَّبْتُهُ قَرِماً (١)
إِلَى قِرَاءَتِهِ أَنْ يَخْرِقَ الْحُجُبَا

قَالَ : وَالشِّعْرُ لَهُ وَأَنْشَدَنِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ .قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: وَلَسْتُ أَعْرِفُ لَهُ ذَلِكَ وَلَا وَجَدْتُهُ فِي كُتُبِهِ مَنْسُوباً إِلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا قَالَهُ وَلَمْ يُثْبِتْهُ ، أَوْ ضَاعَ فِيمَا ضَاعَ مِنْ شِعْرِهِ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مِمَّا حُفِظَ ، وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّنُوخِيِّ الْأَكْبَرِ :

يَجُودُ فَيَسْتَحْيِي الْحَيَا عِنْدَ جُودِهِ
وَيَخْرَسُ صَرْفُ الدَّهْرِ حِينَ يَقُولُ

(١) أي مشتاقاً إليه

عَطَايَا تُبَارِى الرِّيحَ وَهِىَ عَوَاصِفٌ
وَيَخْجَلُ مِنْهَا الْمُزْنُ وَهُوَ هَطُولُ
أَقَامَ لَهُ سُوقاً بَضَائِعُهَا النَّدَى
سَمَاحٌ لِأَرْسَالِ السَّمَاحِ رَسِيلُ (١)
لَهُ نَسَبٌ لَوْ كَانَ لِلشَّمْسِ ضَوْءُهُ
لَمَا غَالَهَا بَعْدَ الطُّلُوعِ أُفُولُ

وَلَهُ :

يَاوَاحِدَ النَّاسِ لَامُسْتَثْنِياً أَحَداً
إِذْ كَانَ دُونَ الْوَرَى بِالْمَجْدِ مُنْفَرِدَا
أَمَا تَرَى الرَّوْضَ قَدْ لَاقَاكَ مُبْتَسِمًا
وَمَدَّ نَحْوَ النَّدَامَى لِلسَّلَامِ يَدَا
فَاخْضَرَّ نَاضِرُهُ فِى أَبْيَضٍ يَقَقٍ (٢)
وَاصْفَرَّ فَاقِعُهُ فِى أَحْمَرٍ نُضِدَا
مِثْلُ الرَّقِيبِ بَدَا لِلْعَاشِقَيْنِ ضُحًى
فَاحْمَرَّ ذَا خَجَلًا وَاصْفَرَّ ذَا كَمَدَا (٣)

---

(١) الأرسال جمع رسل : القطيع من كل شىء ، فسماحه لكثرته جعله أرسالا ، والرسيل : المراسل (٢) أى شديد البياض (٣) أى غيظاً

وَلَهُ :

إِلْقَ الْعَدُوَّ بِوَجْهٍ لَاقُطُوبَ بِهِ
يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَاتِ
فَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ يَلْقَى أَعَادِيَهُ
فِي جِسْمِ حِقْدٍ وَثَوْبٍ مِنْ مَوَدَّاتِ
أَلصَّبْرُ خَيْرٌ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَكَثْرَةُ الْمَزْحِ مِفْتَاحُ الْعَدَاوَاتِ

وَلَهُ فِي النَّاعُورَةِ :

بَاتَتْ تَئِنُّ وَمَا بِهَا وَجْدِي وَتَحِنُّ مِنْ وَجْدٍ إِلَى نَجْدِ
فَدُمُوعُهَا تَحْيَا الرِّيَاضُ بِهَا وَدُمُوعُ عَيْنِي أَقْرَحَتْ خَدِّي .

وَلَهُ :

فَدَيْتُ عَيْنَيْكَ وَإِنْ كَانَتَا لَمْ تُبْقِيَا مِنْ جَسَدِي شَيْئَا
إِلَّا خَيَالًا لَوْ تَأَمَّلْتَهُ فِي الشَّمْسِ لَمْ تُبْصِرْ لَهُ فَيْئَا [1]

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ قَدْ قَالَ قَصِيدَةً يَفْتَخِرُ فِيهَا بِبَنِي الْعَبَّاسِ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ أَوَّلُهَا :

(١) الفيء : الظل .

أَبَى اللهُ إِلَّا مَا تَرَوْنَ فَمَا لَكُمْ
غِضَابٌ عَلَى الْأَقْدَارِ يَا آلَ طَالِبِ

فَأَجَابَهُ أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ بِقَصِيدَةٍ نَحَلَهَا بَعْضَ الْعَلَوِيِّينَ وَهِيَ مُثْبَتَةٌ فِي دِيوَانِهِ أَوَّلُهَا :

مِنِ ابْنِ رَسُولِ اللهِ وَابْنِ وَصِيِّهِ
إِلَى مُدْغِلٍ[1] فِي عُقْدَةِ الدِّينِ نَاصِبِ

نَشَا بَيْنَ طُنْبُورٍ وَدُفٍّ وَمِزْهَرٍ
وَفِي حِجْرِ شَادٍ أَوْ عَلَى صَدْرِ ضَارِبِ

وَمِنْ ظَهْرِ سَكْرَانٍ إِلَى بَطْنِ قَيْنَةٍ
عَلَى شُبَهٍ فِي مِلْكِهَا وَشَوَائِبِ

يَقُولُ فِيهَا :

وَقُلْتَ : بَنُو حَرْبٍ كَسَوْكُمْ عَمَائِمًا
مِنَ الضَّرْبِ فِي الْهَامَاتِ حُمْرَ الذَّوَائِبِ

صَدَقْتَ ، مَنَايَانَا السُّيُوفُ وَإِنَّمَا
تَمُوتُونَ فَوْقَ الْفَرْشِ مَوْتَ الْكَوَاعِبِ

(١) أدغل فى الأمر : أفسد فيه

وَنَحْنُ الأُلَى لَا يَسْرَحُ الذَّمُّ بَيْنَنَا
وَلَا تَدَّرِى[١] أَعْرَاضُنَا بِالْمَعَايِبِ
إِذَا مَا انْتَدَوْا كَانُوا شُمُوسَ نَدِيِّهِمْ
وَإِنْ رَكِبُوا كَانُوا بُدُورَ الرَّكَائِبِ
وَإِنْ عَبَسُوا يَوْمَ الْوَغَى ضَحِكَ الرَّدَى
وَإِنْ ضَحِكُوا بَكَّوْا عُيُونَ النَّوَائِبِ
وَمَا لِلْغَوَانِي وَالْوَغَى ؟ فَتَعَوَّذُوا
بِقَرْعِ الْمَثَانِي مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ قُلْتَ حُزْنَا فَخَارَهُ
وَلَوْ كَانَ يَدْرِي عَدَّهَا فِي الْمَثَالِبِ
أَبُوهُ مُنَادٍ وَالْوَصِيُّ مُضَارِبٌ[٢]
فَقُلْ فِي مُنَادٍ صَيِّتٍ وَمُضَارِبِ[٣]
وَجِئْتُمْ مَعَ الْأَوْلَادِ تَبْغُونَ إِرْثَهُ
فَأَبْعِدْ بِمَحْجُوبٍ بِحَاجِبِ حَاجِبِ

---

(١) تدرى : أى تجعل نفسها دريئة للمعايب (٢) يريد العباس وعليا الوصي
(٣) وإن الفرق لعظيم بين المنادى والمحارب

وَقُلْتُمْ نَهَضْنَا ثَائِرِينَ شِعَارُنَا
بِثَارَاتِ زَيْدِ الْخَيْرِ عِنْدَ التَّحَارُبِ
فَهَلَّا بِإِبْرَاهِيمَ كَانَ شِعَارُكُمْ
فَتَرْجِعَ دَعْوَاكُمْ تَعِلَّةَ[1] خَائِبِ

وَلَهُ فِي مُعِزِّ الدَّوْلَةِ :

لِلّٰهِ أَيَّامٌ مَضَيْنَ قَطَعْتُهَا ... وَطِوَالُهَا بِالْغَانِيَاتِ قِصَارُ
حِينَ الصِّبَا لَدْنُ الْمَهَزِّ قَضِيبُهُ ... غَضٌّ وَأَنْوَاءُ السُّرُورِ غِزَارُ
أَجْلُو النَّهَارَ عَلَى النَّهَارِ وَأَنْثَنِي ... وَالشَّمْسُ لِي دُونَ الشِّعَارِ شِعَارُ
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ أَقْبَلَ ضَمَّنَا ... دُونَ الْإِزَارِ مِنَ الْعِنَاقِ إِزَارُ
فَعَلَى النُّحُورِ مِنَ النُّحُورِ قَلَائِدٌ ... وَعَلَى الْخُدُودِ مِنَ الْخُدُودِ خِمَارُ
وَبَدَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ مِنْ خُلَلِ الدُّجَى
تَزْكُو كَمَا يَتَفَتَّحُ النُّوَّارُ
أَقْبَلْنَ وَالْمِرِّيخُ فِي أَوْسَاطِهَا ... مِثْلَ الدَّرَاهِمِ وَسْطَهَا دِينَارُ
فَالْجَوُّ مُجْتَلُوٌّ النُّجُومِ عَلَى الدُّجَى ... فِي قُمُصِ وَشْيٍ مَا لَهَا أَزْرَارُ
وَكَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ وِشَاحُ خَرِيدَةٍ ... وَالنَّجْمُ تَاجٌ وَالْوِشَاحُ خِمَارُ

---

(١) أى تعلل

وَمِنهَا فِي الْمَدْحِ :

مَلِكٌ تُنَاجِيهِ الْقُلُوبُ بِمَاجَنَتْ
وَتَخَافُهُ الْأَوْهَامُ وَالْأَفْكَارُ

فَيَدٌ مُؤَيَّدَةٌ وَقَلْبٌ قُلَّبٌ وَشَباً يُشَبُّ وَخَاطِرٌ خَطَّارُ
حِينَ الْعُيُونُ شَوَاخِصٌ وَكَأَنَّهَا لِلْخَوْفِ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا أَبْصَارُ

كُلُّ الْوَرَى أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاؤُهَا
وَجَمِيعُهُمْ لَيْلٌ وَأَنْتَ نَهَارُ

وَلَهُ :

مَا مِنْهُمُ إِلَّا امْرُؤٌ غَمْرُ النَّدَى سَمْحُ الْيَدَيْنِ مُؤَمَّلٌ مَرْهُوبُ

يُغْرِيهِ بِالْخُلُقِ الرَّفِيعِ وَبِالنَّدَى
وَالْمَكْرُمَاتِ الْعَذْلُ وَالتَّأْنِيبُ

فَلَهُ رَقِيبٌ مِنْ نَدَاهُ عَلَى الْوَرَى
وَعَلَيْهِ مِنْ كَرَمِ الطِّبَاعِ رَقِيبُ

وَلَهُ :

وَقَفْنَا نُجِيلُ الرَّأْىَ فِي سَاكِنِي الْغَضَا
وَجَمْرُ الْغَضَا بَيْنَ الضُّلُوعِ يَجُولُ

نَشِيمُ بِأَرْضِ الشَّامِ بَرْقًا كَأَنَّهُ
عُقُودٌ نِضَادٌ مَا لَهُنَّ فُصُولُ[(١)]

وَلَهُ :

أَمَا فِي جِنَايَاتِ النَّوَاظِرِ نَاظِرُ
وَلَا مُنْصِفٌ إِنْ جَارَ مِنْهُنَّ جَائِرُ ؟
بِنَفْسِيَ مَنْ لَمْ يَبْدُ قَطُّ لِعَاذِلٍ فَيَرْجِعَ إِلَّا وَهُوَ لِي فِيهِ عَاذِرُ
وَلَا لَحَظَتْ عَيْنَاهُ نَاهٍ[(٢)] عَنِ الْهَوَى
فَأَصْبَحَ إِلَّا وَهُوَ بِالْحُبِّ آمِرُ
يُؤَثِّرُ فِيهِ نَاظِرُ الْفِكْرِ بِالْمُنَى
وَتَجْرَحُهُ بِاللَّمْسِ مِنْهَا الضَّمَائِرُ

حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّنُوخِيُّ فِي نِشْوَارِهِ قِصَّةً لِأَبِي مَعْشَرٍ قَدْ ذَكَرْتُهَا فِي مَجْمُوعِ الِاخْتِطَافِ عَجِيبَةً . ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا دَقِيقٌ وَلَكِنَّ فِيمَا شَاهَدْنَاهُ مِنْ صِحَّةِ بَعْضِ أَحْكَامِ النُّجُومِ كِفَايَةٌ ، هَذَا

---

(١) الفاصلة : خرزة تفصل بين الخرزتين فى نظم العقد ، والعقود النضاد : ما جعل الواحد منها بعضه فوق بعض ولذا قال : ما لهن فصول ، فالبرق بأرض الشام يتصل بعضه ببعض كالعقود المنضودة . (٢) كان الحق ناهيا

« عبد الخالق »

أَبِي حَوَّلَ مَوْلِدَ نَفْسِهِ فِي السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا وَقَالَ لَنَا : هَذِهِ سَنَةُ قَطْعٍ[1] عَلَى مَذْهَبِ الْمُنَجِّمِينَ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى بَغْدَادَ إِلَى أَبِي[2] الْحَسَنِ الْبُهْلُولِ الْقَاضِي صِهْرِهِ يَنْعِي نَفْسَهُ وَيُوصِيهِ ، فَلَمَّا اُعْتَلَّ أَدْنَى عِلَّةٍ وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَحْكِمَ عِلَّتُهُ أَخْرَجَ التَّحْوِيلَ وَنَظَرَ فِيهِ طَوِيلًا وَأَنَا حَاضِرٌ فَبَكَى ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَاُسْتَدْعَى كَاتِبَهُ وَأَمْلَى عَلَيْهِ وَصِيَّتَهُ الَّتِي مَاتَ عَنْهَا وَأَشْهَدَ فِيهَا مِنْ يَوْمِهِ ، فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ غُلَامُ زُحَلَ الْمُنَجِّمِ فَأَخَذَ يُطَيِّبُ نَفْسَهُ وَيُورِدُ عَلَيْهِ شُكُوكًا ، فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ : لَسْتَ مِمَّنْ تَخْفَى عَلَيْهِ فَأَنْسِبَكَ إِلَى غَلَطٍ، وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ هَذَا فَتَسْتَغْفِلَنِي ، وَجَلَسَ فَوَافَقَهُ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي خَافَهُ وَأَنَا حَاضِرٌ ، فَقَالَ لَهُ : دَعْنِي مِنْ هَذَا . بَيْنَنَا شَكٌّ فِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ الْعَصْرُ[3] لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ فَهُوَ سَاعَةُ قَطْعٍ عِنْدَكُمْ ؟ فَأَمْسَكَ أَبُو الْقَاسِمِ غُلَامُ زُحَلَ لِأَنَّهُ كَانَ خَادِمًا لِأَبِي وَبَكَى طَوِيلًا وَقَالَ : يَا غُلَامُ طِسْتٌ فَجَاءُوهُ بِهِ فَغَسَلَ التَّحْوِيلَ وَقَطَعَهُ وَوَدَّعَ أَبَا الْقَاسِمِ

(١) أى يكون فيها الموت . (٢) إلى الثانية ومجرورها بدل من إلى الأولى ومجرورها (٣) العصر بدل من يوم الثلاثاء . « عبد الخالق »

تَوْدِيعَ مُفَارِقٍ ، فَلَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصْرُ مَاتَ[١] كَمَا قَالَ .

قَالَ الْمُحَسِّنُ : وَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : لَمَّا كُنْتُ أَتَقَلَّدُ الْقَضَاءَ بِالْكَرْخِ كَانَ بَوَّابِي بِهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ ، وَلَهُ ابْنٌ عُمْرُهُ حِينَئِذٍ عَشْرُ سِنِينَ أَوْ نَحْوُهَا ، وَكَانَ يَدْخُلُ دَارِي بِلَا إِذْنٍ وَيَمْتَزِجُ مَعَ غِلْمَانِي ، وَأَهَبُ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ الدَّرَاهِمَ وَالثِّيَابَ كَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ بِأَوْلَادِ غِلْمَانِهِمْ ، ثُمَّ خَرَجْتُ عَنِ الْكَرْخِ وَرَحَلْتُ عَنْهَا وَلَمْ أَعْرِفْ لِلْبَوَّابِ وَلَا لِابْنِهِ خَبَرًا ، وَمَضَتِ السُّنُونَ وَأَنْفَذَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ مِنْ وَاسِطٍ بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ فَلَقِيتُهُ بِدَيْرِ الْعَاقُولِ ، ثُمَّ انْحَدَرْتُ أُرِيدُ وَاسِطًا فَقِيلَ لِي : إِنَّ فِي الطَّرِيقِ لِصًّا يُعْرَفُ بِالْكَرْخِيِّ مُسْتَفْحِلَ الْأَمْرِ ، وَكُنْتُ خَرَجْتُ بِطَالِعٍ اخْتَرْتُهُ عَلَى مُوجِبِ تَحْوِيلِ مَوْلِدِي لِتِلْكَ السَّنَةِ .

فَلَمَّا عُدْتُ مِنْ دَيْرِ الْعَاقُولِ خَرَجَ عَلَيْنَا اللُّصُوصُ فِي سُفُنٍ عِدَّةٍ بِسِلَاحٍ شَاكٍ[٢] فِي نَحْوِ مِائَةِ رَجُلٍ وَهُوَ كَالْعَسْكَرِ الْعَظِيمِ ، وَكَانَ مَعِي غِلْمَانٌ يَرْمُونَ بِالنُّشَّابِ فَخِفْتُ

(١) العصر فاعل كان بمعنى جاء أو أتى (٢) أى تام العدة

أَنَّ مَنْ رَمَى مِنْهُمْ سَهْماً ضَرَبْتُهُ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَأَنِّى مُفْزِعُهُ ، وَذَلِكَ أَنِّى خِفْتُ أَنْ يُقْتَلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَلا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِقَتْلِي ، وَبَادَرْتُ فَرَمَيْتُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مَعِى وَمَعَ الْغِلْمَانِ مِنَ السِّلَاحِ فِى دَجْلَةَ وَاسْتَسْلَمْتُ طَلَباً لِسَلَامَةِ النَّفْسِ ، وَجَعَلْتُ أُفَكِّرُ فِى الطَّالِعِ الَّذِى أَخْرَجْتُ فَإِذَا لَيْسَ مِثْلُهُ مِمَّا يُوجِبُ عِنْدَهُمْ قَطْعاً ، وَالنَّاسُ قَدْ أَدْبَرُوا إِلَى وَاسِطٍ وَأَنَا فِى جُمْلَتِهِمْ ، وَجَعَلُوا يُفْرِغُونَ السُّفُنَ وَيَنْقُلُونَ جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْتِعَةِ إِلَى الشَّاطِئِ وَهُمْ يَضْرِبُونَ وَيَقْطَعُونَ بِالسُّيُوفِ ، فَلَمَّا انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَىَّ جَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ حُصُولِى فِى مِثْلِ ذَلِكَ وَالطَّالِعُ لَا يُوجِبُهُ ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ وَإِذَا بِسَفِينَةِ رَئِيسِهِمْ قَدْ دَنَتْ وَطَرَحَ عَلَىَّ كَمَا صَنَعَ فِى سَائِرِ السُّفُنِ لِيُشْرِفَ عَلَى مَا يُؤْخَذُ ، فَحِينَ رَآنِى زَجَرَ أَصْحَابَهُ عَنِّى وَمَنَعَهُمْ مِنْ أَخْذِ شَىْءٍ مِنْ سَفِينَتِى ، وَصَعِدَ بِمُفْرَدِهِ إِلَىَّ وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُنِى ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَى يَدَىَّ يُقَبِّلُهُمَا وَهُوَ مُتَلَثِّمٌ فَارْتَعْتُ وَقُلْتُ : يَاهَذَا ، مَا شَأْنُكَ ؟ فَأَسْفَرَ لِثَامَهُ وَقَالَ : أَمَا تَعْرِفُنِى يَا سَيِّدِى ؟ فَتَأَمَّلْتُهُ فَلِجَزَعِى لَمْ أَعْرِفْهُ فَقُلْتُ : لَا وَاللهِ ،

فَقَالَ : بَلَى ، أَنَا عَبْدُكَ ابْنُ فُلَانٍ الْكَرْخِيُّ بَوَّابِكَ هُنَاكَ ، وَأَنَا الصَّبِيُّ الَّذِي تَرَبَّيْتُ فِي دَارِكَ . قَالَ : فَتَأَمَّلْتُهُ فَعَرَفْتُهُ إِلَّا أَنَّ اللِّحْيَةَ قَدْ غَيَّرَتْهُ فِي عَيْنِي ، فَسَكَنَ رَوْعِي قَلِيلًا وَقُلْتُ يَا هَذَا : كَيْفَ بَلَغْتَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ فَقَالَ يَا سَيِّدِي : نَشَأْتُ فَلَمْ أَتَعَلَّمْ غَيْرَ مُعَالَجَةِ السِّلَاحِ وَجِئْتُ إِلَى بَغْدَادَ أَطْلُبُ الدِّيوَانَ فَمَا قَبِلَنِي أَحَدٌ ، وَانْضَافَ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ فَطَلَبْنَتُ قَطْعَ الطَّرِيقِ ، وَلَوْ كَانَ أَنْصَفَنِي السُّلْطَانُ وَأَنْزَلَنِي بِحَيْثُ أَسْتَحِقُّ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَانْتَفَعَ بِخِدْمَتِي مَا فَعَلْتُ بِنَفْسِي هَذَا . قَالَ : فَأَقْبَلْتُ أَعِظُهُ وَأُخَوِّفُهُ اللهَ ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ يَشُقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَيُفْسِدَ رِعَايَتَهُ لِي فَأَقْصَرْتُ ، فَقَالَ لِي يَا سَيِّدِي : لَا يَكُونُ بَعْضُ هَؤُلَاءِ أَخَذَ مِنْكَ شَيْئًا ؟ فَقُلْتُ : لَا ، مَا ذَهَبَ مِنِّي إِلَّا سِلَاحٌ رَمَيْتُهُ أَنَا إِلَى الْمَاءِ وَشَرَحْتُ لَهُ الصُّورَةَ فَضَحِكَ وَقَالَ : قَدْ وَاللهِ أَصَابَ الْقَاضِي ، فَمَنْ فِي الْكَارِ[1] مِمَّنْ تَعْتَنِي بِهِ ؟ فَقُلْتُ : كُلُّهُمْ عِنْدِي بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْغَمِّ بِهِمْ ، فَلَوْ أَفْرَجْتَ عَنِ الْجَمِيعِ .

---

(١) فى الأصل « الكبار » والمناسب للمقام ما أثبتناه ، ومعنى الكار : السفن المنحدرة فيها طعام . « عبد الخالق »

فقال : والله لولا أن أصحابي قد تفرقوا(١) ما أخذوه لفعلت ذلك ، ولكنهم لا يطيعوني إلى رده ، ولكني أمنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ بعد ، فجزيته الخير فصعد إلى الشاطىء وأصعد جميع أصحابه ومنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ ، ورد على قوم أشياء كثيرة كانت أخذت منهم ، وأطلق الناس وسار معي إلى حيث آمن علي وودعني وانصرف راجعاً .

حدث أبو القاسم قال : حدثني أبي قال : كان أول شيء قلدته القضاء بعسكر مكرم وتستر وجنديسابور وأعمال ذلك من قبل القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي ، وكنت في السنة الثانية والثلاثين من عمري ، وذلك في شهور سنة عشرة وثلاثمائة ، ومن شعره المشهور ما نقلته من ديوان شعره :

وراح من الشمس مخلوقة ... بدت لك في قدح من نهار
هواء ولكنه ساكن ... وماء ولكنه غير جاري
إذا ما تأملته وهو فيه ... تأملت ماء محيطاً بنار

(١) تفرقوا بمعنى توزعوا فيما بينهم

فَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الِابْيِضَاضِ وَهَذِي النِّهَايَةُ فِي الِاحْمِرَارِ:
وَمَا كَانَ فِي الْحُكْمِ أَنْ يُوجَدَا
لِفَرْطِ التَّنَافِي وَفَرْطِ النِّفَارِ
وَلَكِنْ تَجَاوَرَ سَطْحَاهُمَا الْـ ـبَسِيطَانِ فَاتَّفَقَا بِالْجِوَارِ
وَكَانَ الْمُدِيرُ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا مَالَ لِلسَّقْيِ أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدَرَّعَ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسَمِينِ لَهُ فَرْدُ كُمٍّ مِنَ الْجُلَّنَارِ

قُلْتُ: وَقَدْ تُنُوزِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَرُوِيَتْ لِغَيْرِهِ فَقِيلَ: إِنَّهَا لِأَبِي النَّصْرِ الْأَنْطَاكِيِّ النَّحْوِيِّ وَغَيْرِهِ.

﴿ ٣٨ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ﴾

﴿ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْعَمِيدِ * ﴾

أبو الفتح ابن العميد

الْمُلَقَّبُ بِذِي الْكِفَايَتَيْنِ، كِفَايَةِ السَّيْفِ وَكِفَايَةِ الْقَلَمِ، وَزِيرُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ بَعْدَ أَبِيهِ، «وَبَذَلَ مَالًا فِي ذَلِكَ» ثُمَّ وَزِيرُ ابْنِهِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ بُوَيْهِ بِالرَّيِّ وَأَصْفَهَانَ وَتِلْكَ الْأَعْمَالِ. وَوَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ صُحْبَةَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ لِنُصْرَةِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بُخْتِيَارَ. قُتِلَ عَلَى مَا يَجِيءُ شَرْحُهُ — إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى — فِي سَنَةِ

سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، كَذَا ذَكَرَ ابْنُ الصَّابِىءِ . كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا بَلِيغًا ، قَدِ اقْتَدَى بِأَبِيهِ فِي عُلُوِّ الْهِمَّةِ وَبُعْدِ الشَّأْوِ فِي الْكَرَمِ وَالْفَضْلِ :

إِنَّ السَّرِيَّ إِذَا سَرِى[1] فَبِنَفْسِهِ
وَابْنُ السَّرِيِّ إِذَا سَرِى أَسْرَاهُمَا

وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ ، وَهَذَّبَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فَارِسٍ اللُّغَوِيُّ وَأَحْسَنَ تَهْذِيبَهُ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجَمَتِهِ ، وَهُوَ سَنَةُ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَامَ مَقَامَهُ فِي وَزَارَةِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَذَلِكَ قَبْلَ الِاسْتِكْمَالِ وَفِي بُعْدٍ مِنَ الِاكْتِهَالِ ، وَعُمْرُهُ حِينَئِذٍ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَأَلْقَى رُكْنُ الدَّوْلَةِ مَقَالِيدَهُ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلَ فِي تَدْبِيرِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جَرَى لِعِزِّ الدَّوْلَةِ بُخْتَيَارَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَادَ مَا جَرَى مَعَ غُلَامِهِ سُبُكْتِكِينَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ

(١) سرى كرضى : شرف ، وتأتى مثل كرم وسكنت الياء للضرورة .

رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ بِهِ ، تَقَدَّمَ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ بِالْمُضِيِّ إِلَى شِيرَازَ وَالْمَسِيرِ فِي صُحْبَةِ وَلَدِهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ لِإِنْجَادِ عِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَوَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ وَجَرَى مَا جَرَى مِنْ مَوْتِ سُبُكْتِكِينَ وَمُحَارَبَةِ أَصْحَابِهِ حَتَّى انْجَلَوْا عَنْهَا ، وَطَمِعَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِيهَا ، وَمُكَاتَبَتِهِ أَبَاهُ بِمُفَارَقَتِهَا وَتَسْلِيمِهَا إِلَى عِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَكَتَبَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ بِالْقِيَامِ بِذَلِكَ وَالتَّكَفُّلِ بِهِ ، حَتَّى يُفَارِقَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بَغْدَادَ فِي قِصَّةٍ هِيَ مَذْكُورَةٌ فِي التَّوَارِيخِ ، فَتَشَدَّدَ ابْنُ الْعَمِيدِ عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ ، وَخَاطَبَهُ فِيهِ مُخَاطَبَاتٍ حَقَدَهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ قَالَ لِابْنِ الْعَمِيدِ : مَا حَظِيتُ مِنْ وُرُودِي إِلَى بَغْدَادَ بِفَائِدَةٍ ، وَقَدْ أَطْلَقْتُ بِسَبَبِهَا أَمْوَالًا صَامِتَةً لَا تُحْصَى . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْفَتْحِ : مَا سَلِمَ مِنَ الْأَعْطِيَاتِ سُلْطَانٌ ، وَلَا خَلَا مِنَ النَّفَقَاتِ مَكَانٌ ، وَلَوِ اسْتَقْصَيْتَ مِقْدَارَ مَا فَرَّقْتَهُ لَكُنْتَ مُبَذِّراً . فَقَالَ لَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ : أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ شَرُفَ قَدْرُكَ وَعَلَا ذِكْرُكَ ، كَنَّاكَ خَلِيفَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَلَقَّبَكَ ، فَأَنْتَ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ

أَبُو الْفَتْحِ ، فَأَعْظِمْ بِذَلِكَ مِنْ فَخْرٍ يَبْقَى بَقَاءَ النَّيِّرَيْنِ وَيَدُومُ دَوَامَ الْعَصْرَيْنِ ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ يَقُولُ : خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ وَأَنَا زُرَيْقٌ[1] الشَّارِبُ — لِأَنَّ سَفَلَةَ النَّاسِ وَالْعَامَّةِ كَانُوا يَذْكُرُونَهُ بِذَلِكَ — وَخَرَجَ ابْنُ الْعَمِيدِ مُكَنًّى مِنَ الْخَلِيفَةِ ، مُلَقَّبًا بِذِي الْكِفَايَتَيْنِ . فَلَمَّا مَاتَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَقَامَ مَقَامَهُ بِالرَّيِّ وَتِلْكَ النَّوَاحِي ابْنُهُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ بُوَيْهِ ، كَانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ وَزِيرَهُ ، فَخَلَعَ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ وَاسْتَوْزَرَهُ وَالصَّاحِبُ عَلَى جُمْلَتِهِ فِي الْكِتَابَةِ لِمُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ ، فَكَرِهَ أَبُو الْفَتْحِ مَوْضِعَهُ فَبَعَثَ الْجُنْدَ عَلَى الشَّغَبِ وَهَمُّوا بِقَتْلِ الصَّاحِبِ ، فَأَمَرَهُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ بِالْعَوْدِ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَأَسَرَّ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ إِلَى أَشْيَاءَ كَانَ يَنْبَسِطُ فِيهَا يَحْمِلُهُ عَلَيْهَا نَزَقُ الشَّبَابِ ، وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ تَغَيُّرُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ وَكَثْرَةُ مَيْلِ الْقُوَّادِ وَالْعَسَاكِرِ إِلَيْهِ ، فَخِيفَتْ مِنْهُ غَائِلَةٌ فَكَتَبَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخِيهِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُهُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَاسْتِصْفَاءِ أَمْوَالِهِ وَتَعْذِيبِهِ ، فَقَبَضَ

---

(١) سيأتي معنى زريق الشارب بعد.

عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ إِلَى بَعْضِ الْقِلَاعِ، وَبَدَرَتْ إِلَيْهِ مِنْهُ كَلِمَاتٌ فِي حَقِّ عَضُدِ الدَّوْلَةِ نُمِيَتْ إِلَيْهِ فَزَادَتْ فِي ٱسْتِيحَاشِهِ مِنْهُ، فَأَنْهَضَ مِنْ حَضْرَتِهِ مَنْ تَكَفَّلَ بِتَعْذِيبِهِ وَٱسْتِخْرَاجِ أَمْوَالِهِ وَالتَّنْكِيلِ بِهِ، فَأَوَّلُ مَا عَمِلَ بِهِ أَنْ سَمَلَ[1] إِحْدَى عَيْنَيْهِ، ثُمَّ نَكَّلَ بِهِ وَجَزَّ لِحْيَتَهُ وَجَدَعَ أَنْفَهُ، وَعُذِّبَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ. قَالَ:

بُدِّلَ مِنْ صُورَتِي الْمَنْظَرُ ... لَكِنَّهُ مَا بُدِّلَ الْمَخْبَرُ

وَلَيْسَ إِشْفَاقًا عَلَى هَالِكٍ ... لَكِنْ عَلَى مَنْ لِيَ يَسْتَعْبِرُ[2]

وَوَالِهِ الْقَلْبِ بِمَا مَسَّنِي ... مُسْتَخْبِرٍ عَنِّي وَلَا يُخْبَرُ

فَقُلْ لِمَنْ سُرَّ بِمَا سَاءَنِي ... لَابُدَّ أَنْ يَسْلُكَ ذَا الْمَعْبَرُ

وَوُجِدَ عَلَى حَائِطِ مَجْلِسِهِ بَعْدَ قَتْلِهِ:

مَلِكٌ شَدَّ لِي عُرَا الْمِيثَاقِ ... بِأَمَانٍ قَدْ سَارَ فِي الْآفَاقِ

لَمْ يَحُلْ رَأْيُهُ وَلَكِنَّ دَهْرِي ... حَالَ عَنْ رَأْيِهِ فَشَدَّ وَثَاقِي

فَقَرَى الْوَحْشَ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمِي

وَسَقَى الْأَرْضَ مِنْ دَمِي الْمُهْرَاقِ

(١) سمل عينه. فقأها بحديدة محماة (٢) أدرك أبو الفتح أن فى البيت الأول ما يشير إلى أسفه وحزنه فقال: ولم آسف إشفاقا على نفسى ولكن لمن خلفى

فَعَلَى مَنْ تَرَكْتَهُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ حَبِيبٍ تَحِيَّةُ الْمُشْتَاقِ

وَفِي بَنِي الْعَمِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِ بَنِي الْعَمِيدِ فَأَلْفَيْتُ السَّعَادَةَ فِي خُمُودِ

فَقُلْ لِلشَّامِتِ الْبَاغِي رُوَيْداً فَإِنَّكَ لَمْ تُبَشَّرْ بِالْخُلُودِ

قَالَ : وَكَانَ أَبُو الْفَتْحِ قَدْ أُغْرِمَ قَبْلَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ بِإِنْشَادِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَا يَجِفُّ لِسَانُهُ عَنْ تَرْدِيدِهِمَا :

مَلَكَ الدُّنْيَا أُنَاسٌ قَبْلَنَا رَحَلُوا عَنْهَا وَخَلَّوْهَا لَنَا

وَنَزَلْنَاهَا كَمَا قَدْ نَزَلُوا وَنُخَلِّيهَا لِقَوْمٍ غَيْرِنَا

فَلَمَّا حَصَلَ فِي الِاعْتِقَالِ وَأَيْقَنَ أَنَّ الْقَوْمَ يُرِيدُونَ دَمَهُ وَأَنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْهُمْ وَإِنْ بَذَلَ مَالَهُ ، مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَيْبِ جُبَّةٍ عَلَيْهِ فَفَتَقَهُ عَنْ رُقْعَةٍ فِيهَا ثَبَتَ[1] مَا لَا يُحْصَى مِنْ وَدَائِعِهِ وَكُنُوزِ أَبِيهِ وَذَخَائِرِهِ ، فَأَلْقَاهَا فِي كَانُونِ نَارٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لِلْمُوَكَّلِ بِهِ : اصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ ، فَوَاللهِ لَا يَصِلُ مِنْ أَمْوَالِي الْمَسْتُورَةِ إِلَى صَاحِبِكَ دِينَارٌ وَاحِدٌ ، فَمَا زَالَ يَعْرِضُهُ عَلَى الْعَذَابِ إِلَى أَنْ تَلِفَ ، وَلَمَّا أَحَسَّ بِالْقَتْلِ قَالَ :

(١) ثبت : بين فيها

رَاعُوا قَلِيلًا فَلَيْسَ الدَّهْرُ عَبْدَ كُمُ
كَمَا تَظُنُّونَ وَالْأَيَّامُ تَنْتَقِلُ

وَهَذَا شَيْءٌ مِنْ خَبَرِهِ وَشِعْرِهِ :

قَالَ : كَانَ أَبُو الفَضْلِ أَبُوهُ قَدْ جَعَلَ جَمَاعَةً مِنْ ثِقَاتِ أَبِي الفَتْحِ فِي صِبَاهُ يُشْرِفُونَ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ وَمَكْتَبِهِ وَيُنْهُونَ إِلَيْهِ أَنْفَاسَهُ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَبَا الفَتْحِ اشْتَغَلَ لَيْلَةً بِمَا يَشْتَغِلُ بِهِ الْأَحْدَاثُ مِنْ عَقْدِ مَجْلِسِ مَسَرَّةٍ وَإِحْضَارِ النُّدَمَاءِ فِي خِفْيَةٍ شَدِيدَةٍ وَاحْتِيَاطٍ مِنْ أَبِيهِ ، وَأَنَّهُ كَتَبَ إِلَى مَنْ سَمَّاهُ يَسْتَهْدِيهِ شَرَابًا فَحَمَلَ إِلَيْهِ مَا يُصْلِحُهُمْ مِنَ الشَّرَابِ وَالنُّقْلِ وَالْمَشْمُومِ ، فَدَسَّ أَبُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانِ مَنْ جَاءَ بِالرُّقْعَةِ الصَّادِرَةِ عَنْ أَبِي الفَتْحِ ، فَإِذَا فِيهَا بِخَطِّهِ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» : قَدِ اغْتَنَمْتُ اللَّيْلَةَ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ — رَقْدَةً مِنْ عَيْنِ الدَّهْرِ ، وَانْتَهَزْتُ فِيهَا فُرْصَةً مِنْ فُرَصِ الْعُمْرِ ، وَانْتَظَمْتُ مَعَ أَصْحَابِي فِي سِمْطِ[1] الثُّرَيَّا ، فَإِنْ لَمْ تَحْفَظْ عَلَيْنَا النِّظَامَ بِإِهْدَاءِ الْمُدَامِ ، عُدْنَا كَبَنَاتِ نَعْشٍ[2] وَالسَّلَامُ . فَاسْتُطِيرَ أَبُوهُ فَرَحًا وَإِعْجَابًا بِهَذِهِ

(١) السمط : الخيط مادام اللؤلؤ منتظما فيه ، والكلام على التشبيه .

(٢) كناية عن تفرقهم لأن نجوم بنات نعش متفرقة ليست مجتمعة كالثريا

الرُّقْعَةِ الْبَدِيعَةِ وَقَالَ : الْآنَ ظَهَرَ لِي أَثَرُ بَرَاعَتِهِ وَوَثِقْتُ بِجَرْيِهِ فِي طَرِيقِي وَنِيَابَتِهِ مَنَابِي، وَوَقَّعَ لَهُ بِأَلْفَيْ دِينَارٍ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فَارِسٍ قَالَ : جَرَى فِي بَعْضِ أَيَّامِنَا ذِكْرُ أَبْيَاتٍ اسْتَحْسَنَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ وَزْنَهَا وَاسْتَحْلَى رَوِيَّهَا ، وَأَنْشَدَ جَمَاعَةٌ مَنْ حَضَرَ مَا حَضَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الرَّوِيِّ ، وَهُوَ قَوْلُ الْقَائِلِ :

لَئِنْ كَفَفْتَ وَإِلَّا شَقَقْتُ مِنْكَ ثِيَابِي

فَأَصْغَى إِلَيْهِ أَبُو الْفَتْحِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ فِي الْوَقْتِ :

يَا مُولَعًا بِعَذَابِي أَمَا رَحِمْتَ شَبَابِي؟
تَرَكْتَ قَلْبًا قَرِيحًا نَهْبَ الْأَسَى وَالتَّصَابِي
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَابِي مِنْ ذِلَّتِي وَاكْتِئَابِي
فَارْفَعْ قَلِيلًا قَلِيلًا عَنِ الْعِظَامِ ثِيَابِي

قَالَ : فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَانْظُرْ إِلَى هَذَا الطَّبْعِ ، فَإِنَّهُ أَتَى بِمِثْلِ مَا أُنْشِدَهُ فِي رَشَاقَتِهِ وَخِفَّتِهِ ، وَلَمْ يَعْدُ الْجِنْسَ وَلَمْ يَقْصِدْ دُونَهُ ، وَبِذَلِكَ يُعْرَفُ قَدْرُ الْقَادِرِ عَلَى الْخَطَابَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَمِنْ مُسْتَحْسَنِ شِعْرِهِ :

عُودِي وَمَاءُ شَبِيبَتِي فِي عُودِي لَا تَعْمِدِي لِقَاتِلِ الْمَعْمُودِ[1]

وَصِلِيهِ مَا دَامَتْ أَصَائِلُ عَيْشِهِ
تُؤْوِيهِ فِي فَيْءٍ لَهَا مَمْدُودِ

مَا دَامَ مِنْ لَيْلِ الصِّبَا فِي فَاحِمٍ
رَجْلِ الذُّرَا فَيْنَانَ كَالْعُنْقُودِ

قُتِلَ[2] الزَّمَانُ فَطَارِقَاتُ جُنُودِهِ
يُبْدِلْنَهُ يَقَقًا بِرُبْدٍ سُودِ

وَلَهُ :

إِذَا أَنَا بُلِّغْتُ الَّذِي كُنْتُ أَشْتَهِي
وَأَضْعَافَهُ أَلْفًا فَكِلْنِي إِلَى الْخَمْرِ

وَقُلْ لِنَدِيمِي قُمْ إِلَى الدَّهْرِ فَاقْتَرِحْ
عَلَيْهِ الَّذِي تَهْوَى وَدَعْنِي مَعَ الدَّهْرِ

وَلَهُ :

أَيْنَ لِي مَنْ يَفِي بِشُكْرِ اللَّيَالِي فِي مُضِيفٍ خَيَالَهَا وَخَيَالِي[3] ؟

---

(١) عودی أمر من العود ، وعودی الثانية : العود مضاف إلى الياء ، والمعمود : من هزله الحب (٢) كانت فى الاصل : « قبل » ومعنى البيت : إن حادثات الزمان تأتى على المرء فتبدله بحالة الشباب وسواد الشعر ، حالة الكبر والشيب .

(٣) مضيف : جامع «عبد الخالق»

لَمْ يَكُنْ بِي عَلَى الزَّمَانِ اقْتِرَاحٌ
غَيْرَهَا مُنْيَةً تَجَادَ بِهَا لِي

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ: حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ جَدِّي قَالَ: لَمَّا سَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَادَ عَائِداً إِلَى فَارِسَ أَقَامَ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ الْعَمِيدِ بَعْدَهُ، وَوَصَلَ إِلَى حَضْرَةِ الطَّائِعِ لِلهِ حَتَّى خَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ وَكَنَّاهُ وَلَقَّبَهُ ذَا الْكِفَايَتَيْنِ، وَتَنَجَّزَ مِنْهُ خِلَعاً وَلَقَباً لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ، وَأُقْطِعَ مِنْ نَوَاحِي السَّوَادِ ضِيَاعاً كَثِيرَةً رَتَّبَ فِيهَا نَائِباً يَسْتَوْفِي ارْتِفَاعَهَا وَيَحْمِلُهُ إِلَيْهِ، وَدَعَاهُ أَبُو طَاهِرِ بْنُ بَقِيَّةَ عِدَّةَ دَعَوَاتٍ وَمَلَأَ عَيْنَهُ بِالْهَدَايَا وَالْمُلَاطَفَاتِ وَقَالَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ: لَا بُدَّ أَنْ أَخْلَعَ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ فِي مَجْلِسِي وَدَعَاهُ، فَلَمَّا قَعَدَ وَأَكَلَ وَجَلَسَ عَلَى الشُّرْبِ أَخَذَ ابْنُ بَقِيَّةَ بِيَدِهِ فَرَجِيَّةً وَرِدَاءً فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْجَلَالَةِ وَوَافَى بِهِمَا إِلَى ابْنِ الْعَمِيدِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ صِرْتَ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ «جَامِدَارَكْ[1]» فَانْظُرْ هَلْ تَرْتَضِينِي لِخِدْمَتِكَ؟

(١) جامدارك: وظيفة من الوظائف الحكومية فى ذلك الوقت، والكاف لا ينطق بها.

وَطَرَحَ الْفَرَجِيَّةَ عَلَيْهِ ، وَقَدَّمَ الرِّدَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَخَذَهُ وَلَبِسَهُ .

وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الْحَبْسِ :

مَا بَالُ قَوْمِي يَجْفُونِي أَكَابِرُهُمْ ؟
أَأَنْ أَطَاعَتْهُمُ الْأَيَّامُ وَالدُّوَلُ ؟
أَأَنْ تَقَاصَرَ عَنِّي الْحَالُ تَقْطَعُنِي
عُرَاهُمُ ؟ سَاءَ مَا شَاءُوا وَمَا فَعَلُوا
أَغْرَاهُمُ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَسْكَتَنِي
عَنْهُمْ وَتَنْطِقُ فِيهِ الشَّاءُ وَالْإِبِلُ
قِدْماً رُمِيتُ فَلَمْ تَبْلُغْ سِهَامُهُمُ
وَأَخْطَأُ النَّاسِ مَنْ مَرْمِيُّهُ زُحَلُ

وَلَهُ :

يَقُولُ لِي الْوَاشُونَ : كَيْفَ تُحِبُّهَا ؟
فَقُلْتُ لَهُمْ : بَيْنَ الْمُقَصِّرِ وَالْغَالِي
وَلَوْلَا حِذَارِي مِنْهُمُ لَصَدَقْتُهُمْ
وَقُلْتُ : هَوًى لَمْ يَهْوَهُ قَطُّ أَمْثَالِي
وَكَمْ مِنْ شَفِيقٍ قَالَ : مَالَكَ وَاجِماً ؟
فَقُلْتُ : أَنَا مَالِي وَتَسْأَلُنِي مَالِي ؟

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْفَتْحِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُقَدَّرِ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَ أَحَدُ أَصْحَابِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ قَالَ : كَانَ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ أَبِي الْفَضْلِ يُبَاكِرُ أَبَاهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، فَاتَّفَقَ أَنْ دَخَلَ يَوْمًا وَأَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ، فَلَمَّا رَآهُ مُقْبِلًا فِي الصَّحْنِ وَشَاهَدَ عِمَّتَهُ وَكَانَتْ دَيْلَمِيَّةً وَمِشْيَتَهُ وَهُوَ يَخْتَالُ فِيهَا وَيُسْرِفُ فِي تَلَوِّيهَا، عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لِي : أَمَا تَرَى إِلَى هَذِهِ الْعِمَّةِ وَهَذِهِ الْمِشْيَةِ فِي مُخَالَفَتِهَا لِعَادَتِنَا وَمُفَارَقَتِهَا طَرِيقَتَنَا ؟ فَقُلْتُ : قَدْ رَأَيْتُ وَإِنْ رَسَمَ[(١)] الْأُسْتَاذُ أَنْ أُخَاطِبَهُ فِيهَا وَأَنْهَاهُ عَنْهَا فَعَلْتُ. فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُ قَصِيرُ الْعُمُرِ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أُدْخِلَ عَلَى قَلْبِهِ هَمًّا وَلَا أَمْنَعَهُ هَوًى. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَبَا الْفَضْلِ وَجَدَ لَهُ رُقْعَةً كَتَبَهَا إِلَى بَعْضِ مَنْ يَنْبَسِطُ إِلَيْهِ وَفِيهَا :

أَدِيبُنَا الْمَعْرُوفُ بِالْكُرْدِي ... يُولَعُ بِالْغِلْمَانِ وَالْمُرْدِ
أَدْخَلَنِي يَوْمًا إِلَى دَارِهِ ... فَنَاكَنِي وَالْأَيْرُ مِنْ عِنْدِي

---

(١) أى أمر

فَلَمَّا وَقَفَ ابْنُ الْعَمِيدِ أَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ : أَمِثْلُ وَلَدِي يَكْتُبُ مِثْلَ هَذَا الْفُحْشِ وَالْفُجُورِ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا وَلَوْلَا ، ثُمَّ أَمْسَكَ كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى مَا حُكِمَ لَهُ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ وَقِصَرِ الْعُمْرِ .

حَكَى أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فَارِسٍ مِمَّا أَوْرَدَهُ أَبُو مَنْصُورٍ فِي الْيَتِيمَةِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ، فَرَمَتِ الشَّمْسُ بِجَمَرَاتِ الْهَاجِرَةِ فَقَالَ لِي : مَا قَوْلُ الشَّيْخِ فِي قَلْبِهِ (١) ، فَلَمْ أُحِرْ (٢) جَوَابًا لِأَنِّي لَمْ أَفْطَنْ لِمَا أَرَادَ ، وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ أَقْبَلَ رَسُولُ الْأُسْتَاذِ الرَّئِيسِ يَسْتَدْعِينِي إِلَى مَجْلِسِهِ فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَبَسَّمَ إِلَيَّ ضَاحِكًا وَقَالَ :

مَا قَوْلُ الشَّيْخِ فِي قَلْبِهِ ؟ فَبُهِتُّ وَسَكَتُّ ، وَمَا زِلْتُ أُفَكِّرُ حَتَّى انْتَبَهْتُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الْخَيْشَ ، وَكَانَ مَنْ يُشْرِفُ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، فَدَعَانِي وَلِفَرْطِ اهْتِزَازِهِ لِمَا أَرَادَ مُجَارَاتِي فِيهَا ، وَقَرَأْتُ صَحِيفَةَ السُّرُورِ

(١) قلب الشيخ : خيش ، يريد مكاناً يفيئون إليه فى الخيش

(٢) أى لم يستطع أن يرد جوابا

مِنْ وَجْهِهِ إِعْجَابًا بِهَا ، ثُمَّ أَخَذْتُ أُتْحِفُهُ بِنُكَتِ نَثْرِهِ وَمُلَحِ نَظْمِهِ ، فَكَانَ مِمَّا أُعْجِبَ بِهِ وَتَعَجَّبَ مِنْهُ وَاسْتَضْحَكَ لَهُ حِكَايَتِي رُقْعَةً وَرَدَتْ لَهُ عَلَيَّ وَصَدْرُهَا : وَرَدَتْ رُقْعَةُ الشَّيْخِ أَصْغَرَ مِنْ عَنْفَقَةِ[1] بَقَّةٍ ، وَأَقْصَرَ مِنْ أُنْمُلَةِ[2] نَمْلَةٍ .

وَقَرَأْتُ فِي تَارِيخِ ذِي الْمَعَالِي زَيْنِ الْكُفَاةِ الْوَزِيرِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْآبِيِّ قَالَ : كَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ يَنْقِمُ[3] عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ أَشْيَاءَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهَا فِي نَفْسِهِ : حَدِيثُهُ بِبَغْدَادَ لَمَّا خَرَجَ لِنَجْدَةِ بُخْتَيَارَ فَإِنَّهُ جَوَّدَ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ فِي رَدِّ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَادَ ، وَأَقَامَ لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ بِبَغْدَادَ سُوقًا تَقَدَّمَ بِهَا عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَدِ وَالْخَلِيفَةِ حَتَّى لَقَّبَهُ الْخَلِيفَةُ ذَا الْكِفَايَتَيْنِ ، وَكَنَّاهُ فِي مَكْتُوبِهِ بِأَبِي الْفَتْحِ . وَلَمَّا انْصَرَفَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَادَ وَقَدْ ظَهَرَتْ لَهُ مَخَايِلُ الْغَدْرِ مِنْ بُخْتَيَارَ مِنْ قِيَامِ أَهْلِ بَغْدَادَ عَلَيْهِ وَتَصْرِيحِهِمْ بِالشَّتْمِ لَهُ وَلَقَّبُوهُ زُرَيْقًا الشَّارِبَ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ تَقَدَّمَ

---

(١) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن (٢) الأنملة : مثلثة الهمزة والميم : رأس الاصبع أو المفصل الأعلى الذي فيه الظفر (٣) نقم عليه : عابه وكرهه أشد الكراهة لسوء فعله .

بِاتِّخَاذِ مُزَمَّلَةٍ [1] فِي دَارِهِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا الْجُنْدُ وَالْعَامَّةُ ، وَلَمْ يَكُنْ عُهِدَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي دُورِ السَّلَاطِينِ قَبْلُ ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ أَزْرَقَ الْعَيْنِ فَلَقَّبُوهُ بِذَلِكَ ، فَكَانَ يَقُولُ : خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ وَأَنَا زُرَيْقٌ الشَّارِبُ ، وَابْنُ الْعَمِيدِ الْوَزِيرُ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ وَأَبُو الْفَتْحِ .

فَلَمَّا مَاتَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلاثِمِائَةٍ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، ضَبَطَ أَبُو الْفَتْحِ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ الْأَمْرَ أَحْسَنَ ضَبْطٍ ، وَسَكَّنَ الْعَسْكَرَ وَفَرَّقَ فِيهِمْ مَالَ الْبَيْعَةِ ، وَكَانَ مُطَاعاً فِي الدَّيْلَمِ مُحَبَّباً إِلَيْهِمْ كَثِيرَ الْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ ، وَبَادَرَ بِالْخَبَرِ إِلَى مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِأَصْبَهَانَ ، فَوَرَدَ الرَّيَّ وَمَعَهُ وَزِيرُهُ الصَّاحِبُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ ، وَجَلَسَ لِلتَّعْزِيَةِ ثُمَّ انْتَصَبَ فِي مَكَانِ أَبِيهِ ، وَكَانَتْ لَهُ هَيْبَةٌ وَسِيَاسَةٌ ، وَفِيهِ سَخَاءٌ وَسَمَاحَةٌ ، وَخَلَعَ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكِفَايَتَيْنِ خِلَعَ الْوَزَارَةِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِخَمْسٍ

(١) المزملة : جرة أو خابية لتبريد الماء

خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ الصَّاحِبُ يَرْغَبُ أَنْ يُقِيمَ بِالرَّيِّ وَيَخْلُفَهُ فَلَمْ يَأْمَنْ أَبُو الْفَتْحِ جَانِبَهُ ، وَضَرَبَ الْحِجَابَ الشَّدِيدَ بَيْنَهُمَا ، وَخَوَّفُوهُ مِنْهُ لِمَحَلِّهِ مِنَ الصِّنَاعَةِ وَلِمَكَانِهِ مِنْ قَلْبِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ، فَأَرَادَ إِبْعَادَهُ عَنِ الْحَضْرَةِ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الْإِيقَاعِ بِهِ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ ، وَأَشَارَ عَلَى مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ بِأَنْ يَرُدَّهُ إِلَى أَصْفَهَانَ لِيُدَبِّرَ أَعْمَالَهَا وَالْمُقَامِ بِهَا ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ عَلَى رَسْمِ الْوَزَارَةِ الْقَبَاءَ وَالسَّيْفَ وَالْمِنْطَقَةَ وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ ، وَخَرَجَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَأَخَذَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ فِي التَّدْبِيرِ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ وَالِاحْتِيَالِ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُقْدِمُ عَلَى ذَلِكَ لِمَحَلِّ الرَّجُلِ فِي قُلُوبِ الدَّيْلَمِ وَأَنْصِبَائِهِمْ بِمَوَدَّتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَإِخْلَاصِهِمْ فِي الْمُوَالَاةِ لَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى الدَّوَاعِي لِمِحْنَتِهِ ، وَآكَدَ أَسْبَابِ نَكْبَتِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مُقْتَبَلَ الشَّبَابِ قَلِيلَ التَّجَارِبِ غَيْرَ مُفَكِّرٍ فِي الْعَوَاقِبِ ، قَدْ وُلِدَ فِي النِّعْمَةِ الضَّخْمَةِ وَنَشَأَ فِيهَا ، وَخَافَ أَبَاهُ وَلَهُ دُونَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَتَوَلَّى الْوَزَارَةَ

وَلَهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَاعْتَادَ خِدْمَةَ الْأُمَرَاءِ[١] وَالْقُوَّادِ وَمُثُولَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَنَافُسَهُمْ فِي خِدْمَتِهِ ، وَكَانَ يَرْكَبُ إِلَى الصَّيْدِ وَإِلَى الْمَيْدَانِ لِضَرْبِ الصَّوَالِجَةِ[٢] فَيَتْبَعُهُ أَكْثَرُ أَكَابِرِ الْحَضْرَةِ فَيَتَرَجَّلُونَ لَهُ وَيَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ يُضِيفُ فِي أَكْثَرِ أَيَّامِهِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ فَيَخْلَعُ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْخِلَعِ النَّفِيسَةِ ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الدَّوَابِّ الْفَارِهَةِ بِالْمَرَاكِبِ الثَّقِيلَةِ ، وَكَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ يُرَخِّصُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَيَعْجَبُ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ تَرْبِيَتَهُ وَابْنَ مَنْ طَالَتْ لَهُ صُحْبَتُهُ وَخِدْمَتُهُ ، فَلَمَّا انْتَقَلَ الْأَمْرُ إِلَى مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ ، وَكَانَتِ الْأُمُورُ أَيْضاً بَعْدُ عَلَى جَانِبٍ مِنَ الاِضْطِرَابِ فَلَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ فَخْرَ الدَّوْلَةِ كَانَ مُدَاجِياً[٣] لِأَخَوَيْهِ ، وَكَانَ أَحَبَّ إِلَى الدَّيْلَمِ مِنْهُمَا فَلَمْ يَأْمَنَاهُ ، وَكَانَ عِزُّ الدَّوْلَةِ مُكَاشِفاً بِالْخِلَافِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الْعَمِيدِ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنَ الْمُصَافَاةِ فَاسْتَرَابَا[٤] بِهِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَى هَـٰذِهِ الْأَحْوَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَنَقِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ مِمَّا قَدَّمَهُ فِي حَقِّهِ

(١) خدمة مصدر مضاف إلى فاعله (٢) الصوالجة : العصى التي تضرب بها الكرة
(٣) مداجياً لأخويه : يستر لهما العداوة (٤) استرابا به : داخلهما الشك في أمره

عِنْدَ كَوْنِهِ بِبَغْدَادَ ، وَامْتَدَّتِ الْعَيْنُ إِلَى ضِيَاعِهِ وَأَمْوَالِهِ وَخَزَائِنِهِ وَأَسْبَابِهِ وَدُورِهِ وَعَقَارِهِ وَبَسَاتِينِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ مِنَ ذَلِكَ مَا يَمْلَأُ الْعَيْنَ وَيَفُوتُ الْوَهْمَ ، فَرَاسَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ مُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ عَلَى لِسَانِ أَبِي نَصْرٍ خَوَاشَادَه الْمَجُوسِيِّ ، وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِهِ وَأَمَاثِلِ أَصْحَابِهِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ يُوَافِقَ عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ عَلَى أَمْرِهِ لِيُؤَمِّنَ نَاحِيَةَ الْعَسْكَرِ وَيُوَتِّبَهُمْ (1) بِمَكَانِهِ ، وَجَعَلُوا يُجِيلُونَ الرَّأْيَ أَيَّاماً ، وَيَرْكَبُ خُوَاشَادُه إِلَى عَلِيِّ بْنِ كَامَةَ لَيْلًا وَيُجَارِيهِ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنِ اتَّفَقُوا يَوْمَ السَّبْتِ سَادِسَ عَشَرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ عَلَى الْقَبْضِ عَلَيْهِ عِنْدَ بُكُورِهِ مِنَ الْغَدِ إِلَى الدَّارِ ، وَكَانَ خُوَاشَادُهْ عَشِيَّةَ هَذَا الْيَوْمِ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ كَامَةَ . وَلِابْنِ الْعَمِيدِ ضِيَافَةٌ قَدِ اجْتَمَعَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَارْتَابَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ بِالْأَمْرِ ، وَقَدَّرَ أَنَّهُ قَدْ أَحَسَّ بِالسِّرِّ وَجَمَعَ الدَّيْلَمَ لِتَدْبِيرِ عَلَيْهِ وَامْتِنَاعٍ مِنْهُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى عِنْدِهِ خُوَاشَادُهْ أَمَرَهُ أَنْ يُلِمَّ بِابْنِ الْعَمِيدِ لِيَتَفَرَّسَ فِيهِ وَفِي الْمُجْتَمِعِينَ عِنْدَهُ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَالرَّجُلُ مُشْتَغِلٌ بِقَصْفِهِ

(1) وتبه : ثبته وسكنه

مُتَوَفِّرٌ عَلَى طَرَبِهِ، فَتَأَمَّلَهُ وَعَادَ وَأَرَادَ أَنْ يَحْبِسَهُ عِنْدَهُ فَامْتَنَعَ وَرَجَعَ إِلَى الدَّارِ فَقَالَ لِمُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ: الرَّجُلُ غَارٌّ غَافِلٌ[1] فَلَا يُهِمَّنَّكَ أَمْرُهُ، وَبَكَّرَ ابْنُ الْعَمِيدِ سَحَرًا إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ، وَكَانَ الرَّسْمُ إِذْ ذَاكَ أَنْ يَحْضُرُوهَا بِالشُّمُوعِ وَالْمَشَاعِلِ قَبْلَ الصَّبَاحِ.

فَلَمَّا وَصَلَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ[2] عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ وَكَلَّمَهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ فَوَعَدَهُ بِهَا فَقَالَ: قَدْ وَعَدْتَنِي بِهَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَمْ تَقْضِهَا، وَأَخَذَ بِيَدِهِ يَجْذِبُهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَكَانَ قَدْ كَمَنَ لَهُ فِي الْمَمَرِّ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّ الدَّيْلَمِ وَثِقَاتِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ، فَعَاوَنُوهُ عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَإِدْخَالِهِ إِلَى حُجْرَةٍ هُنَاكَ وَتَقْيِيدِهِ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ سَابِعِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ، وَأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ الشُّهُودُ فَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِبَيْعِ أَمْلَاكِهِ جَمِيعِهَا وَضِيَاعِهِ وَمُسْتَغَلَّاتِهِ مِنْ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ، فَلَمَّا حَضَرَ الْعُدُولُ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا كَانَ كَتَبَهُ بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ ابْنَةِ جِسْتَانَ وَأَشْهَدَهُمْ طَائِعًا عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ

(١) غافل تفسير غار (٢) الضمير لأبي الفتح بن العميد

إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ أَنْ يَفْضَحَهُ فِيهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْفَصِلَ مِنْهَا وَتَبِينَ مِنْهُ لِئَلَّا يَلْزَمَهُ الْعَارُ فِيهَا ، وَلَمَّا حَضَرُوا لِلْعَقْدِ بِالْبَيْعِ كَشَفَ لِلْعُدُولِ عَنْ قَيْدِهِ وَأَقَرَّ بِالْبَيْعِ ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ أُفْرِجَ عَنْ مَحْبُوسٍ كَانَ فِي الدَّارِ ، فَعَدَا غُلَامٌ لَهُ مُسْتَبْشِرًا وَقَالَ : قَدْ أُفْرِجَ عَنِ الْأُسْتَاذِ يُرِيدُ أُسْتَاذَ نَفْسِهِ ، وَصَكَّتِ الْكَلِمَةُ أَسْمَاعَ الْعَامَّةِ فَتَبَاشَرُوا وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ أُفْرِجَ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ ، وَصَاحَتِ الْبَلْدَةُ صَيْحَةً وَاحِدَةً ، وَاجْتَمَعَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ وَمَيْدَانِهِ وَفِي دَارِهِ مَاغَصَّتْ بِهِ الْأَمَاكِنُ ، وَامْتَلَأَتْ مِنْهُمُ الشَّوَارِعُ وَالْمَسَاكِنُ ، وَرَكِبَ الدَّيْلَمُ بِأَجْمَعِهِمْ مُسْتَبْشِرِينَ ، وَتَلَقَّوْهُ عَلَى زَعْمِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ فَرِحِينَ ، وَرَأَى مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ مَاهَالَهُ ، وَظَنَّ أَنَّ الْعَسْكَرَ قَدْ رَكِبَ لِاسْتِنْقَاذِهِ ، فَلَمَّا عَرَفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ سَكَنَ وَأَمَرَ بِطَرْدِ الْعَامَّةِ ، وَأَرْكَبَ الْحُجَّابَ لِطَرْدِ الْقُوَّادِ وَالدَّيْلَمِ ، وَأَنْفَذَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ابْنَ الْعَمِيدِ إِلَى قَلْعَةِ أُسْتُونَاوَنْدَ وَقُتِلَ فِيهَا بَعْدَ أَيَّامٍ وَوَرَدَ رَأْسُهُ .

قَالَ الْوَزِيرُ أَبُو سَعْدٍ : وَسَمِعْتُ الصَّاحِبَ كَافِيَ الْكُفَاةِ

رَحِمَهُ اللهُ يَذْكُرُ أَمْرَهُ فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ: إِنَّ مُؤَيِّدَ الدَّوْلَةِ قَالَ لِي عِنْدَ خُرُوجِي إِلَى أَصْبَهَانَ: إِنْ وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابٌ بِخَطِّي أَوْ جَاءَكَ أَجَلُّ حُجَّابِي وَثِقَاتِي لِلاسْتِدْعَاءِ فَلَا تَبْرَحْ مِنْ أَصْفَهَانَ وَلَا تُفَارِقْهَا إِلَى أَنْ يَجِيئَكَ فُلَانٌ الرِّكَابِيُّ فَإِنَّهُ إِنِ اتَّجَهَتْ لِي حِيلَةٌ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ بَادَرْتُ بِهِ إِلَيْكَ، وَهُوَ الْعَلَامَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ. قَالَ: فَاسْتَعْظَمْتُ لِحَدَاثَةِ سِنِّي وَغِرَّةِ الصِّبَا وَقِلَّةِ التَّجْرِبَةِ مَا حَكَاهُ الصَّاحِبُ مِنْ قَوْلِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ: « إِنِ اتَّجَهَتْ لِي حِيلَةٌ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ » وَتَعَجَّبْتُ مِنْهُ وَأَرَدْتُ الْغَضَّ مِنْ أَبِي الْفَتْحِ وَالتَّقَرُّبَ بِذَلِكَ إِلَى الصَّاحِبِ فَقُلْتُ: وَكَانَ لِأَبِي الْفَتْحِ مِنَ الْقَدْرِ أَنْ يَصْعُبَ حَبْسُهُ أَوْ يَحْتَاجَ صَاحِبُهُ إِلَى الِاحْتِيَالِ مَعَهُ؟ فَانْتَهَرَنِي الصَّاحِبُ وَقَالَ يَا فُلَانُ: أَنْتَ صَبِيٌّ تَحْسَبُ أَنَّ الْقَبْضَ عَلَى الْوُزَرَاءِ سَهْلٌ، فَفَطِنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ الرَّفْعَ مِنْ شَأْنِ الْوَزَارَةِ وَتَفْخِيمِ أَمْرِهَا، فَعَدَلْتُ عَنْ كَلَامِي الْأَوَّلِ إِلَى غَيْرِهِ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: حَدَّثَنِي أَبُو الطَّيِّبِ الْكِيمَائِيُّ قَالَ: قُلْتُ

لِأَبِي الْفَضْلِ بَعْدَ أَنْ سَمَّ الْحَاجِبَ النَّيْسَابُورِيَّ وَبَعْدَ أَنْ خَطَبَ عَلَى حَمْدٍ وَدَسَّ إِلَى ابْنِ هِنْدٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَالنِّعَمِ: لَوْ كَفَفْتَ، فَقَدْ أَسْرَفْتَ، فَقَالَ يَا أَبَا الطَّيِّبِ: أَنَا مُضْطَرٌّ. قَالَ: فَقُلْتُ وَأَيُّ اضْطِرَارٍ هَاهُنَا؟ وَاللهِ إِنَّ مُخَادَعَتَنَا لِأَنْفُسِنَا فِي ضَرِّنَا وَنَفْعِنَا لَأَعْجَبُ مِنْ مُكَابَرَةِ غَيْرِنَا لَنَا فِي خَيْرِنَا وَشَرِّنَا، وَهَذَا وَاللهِ رَيْنُ الْقُلُوبِ وَصَدَأُ الْعَقْلِ وَفَسَادُ الِاخْتِيَارِ، وَكَدَرُ النَّفْسِ وَسُوءُ الْعَادَةِ، وَعَدَمُ التَّوْفِيقِ. فَقَالَ يَا أَبَا الطَّيِّبِ: أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِالظَّاهِرِ وَأَنَا أَحْتَرِقُ فِي الْبَاطِنِ. قَالَ فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ عُذْرُكَ فِي هَذِهِ السِّيرَةِ الْمُخَالِفَةِ لِأَهْلِ الدِّيَانَةِ وَأَصْحَابِ الْحِكْمَةِ قَدْ بَلَغَ هَذَا الْوُضُوحَ وَالْجَلَاءَ فَإِنَّكَ مَعْذُورٌ عِنْدَنَا، وَلَعَلَّكَ أَيْضاً مَأْجُورٌ عِنْدَ اللهِ مَالِكِ الْجَزَاءِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ حَقِيقَةَ مَا تُوَاجِعُنِي عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَتُنَاقِلُنِي بِهِ الْحِجَاجَ فَإِنَّكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ عَلَى مَذَاهِبِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَبَكَى فَقُلْتُ لَهُ: الْبُكَاءُ لَا يَنْفَعُ إِنْ كَانَ الْإِقْلَاعُ مُمْكِناً، وَالنَّدَمُ لَا يُجْدِي مَتَى كَانَ الْإِصْرَارُ قَائِماً، هَذَا كُلُّهُ بِسَبَبِ ابْنِكَ أَبِي الْفَتْحِ، وَاللهِ إِنَّ أَيَّامَهُ لَا تَطُولُ، وَإِنَّ عَيْشَهُ لَا يَصْفُو،

وَإِنَّ حَالَهُ لَا يَسْتَقِيمُ ، وَلَهُ أَعْدَاءٌ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُمْ وَقَدْ دَلَّ مَوْلِدُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّكَ لَا تَدْفَعُ عَنْهُ قَضَاءَ اللهِ وَهُوَ لَا يُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَّةِ نَفْسِكَ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَقَدْ ذَكَرَ ابْنَ عَبَّادٍ وَأَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ ثُمَّ قَالَ : وَأَمَّا أَبُو الْفَتْحِ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ فَإِنَّهُ . كَانَ شَابًّا ذَكِيًّا مُتَحَرِّكًا حَسَنَ الشِّعْرِ مَلِيحَ الْكِتَابَةِ كَثِيرَ الْمَحَاسِنِ، وَلَمْ يَظْهَرْ كُلُّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ لِقِصَرِ أَيَّامِهِ ، وَاشْتِعَالِ دَوْلَتِهِ وَطَفْوِهَا بِسُرْعَةٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

إِنِّي مَتَى أَهْزُزْ قَنَاتِيَ تَنْتَثِرْ ... أَوْصَالُهَا أُنْبُوبَةً أُنْبُوبَا
أَدْعُو بِعَالِيهَا الْعُلَى فَتُجِيبُنِي ... وَأَقِي بِحَدِّ سِنَانِهَا الْمَرْهُوبَا[1]

وَلَهُ كَلَامٌ كَثِيرٌ نَظْمٌ وَنَثْرٌ ، وَلَهُ فِي صِفَةِ الْفَرَسِ مَا يُوفِي عَلَى كُلِّ مَنْظُومٍ، وَلَوْ أَبْقَتْهُ الْأَيَّامُ لَظَهَرَ مِنْهُ كُلُّ فَضْلٍ كَبِيرٍ . وَدَخَلَ بَغْدَادَ فَتَكَلَّفَ وَاحْتَفَلَ وَعَقَدَ مَجَالِسَ مُخْتَلِفَةً لِلْفُقَهَاءِ يَوْمًا ، وَلِلْأُدَبَاءِ يَوْمًا ، وَلِلْمُتَكَلِّمِينَ يَوْمًا ، وَلِلْمُتَفَلْسِفِينَ يَوْمًا ، وَفَرَّقَ أَمْوَالًا خَطِيرَةً وَتَفَقَّدَ أَبَا سَعِيدٍ

(١) المرهوبا مفعول أقي

السِّيرَافِيُّ وَعَلِيُّ بْنَ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ وَغَيْرُهُمَا وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْمَسِيرَ مَعَهُ إِلَى الرَّيِّ وَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ وَأَظْهَرَ الْمُبَاهَاةَ بِهِمْ، وَكَذَلِكَ خَاطَبَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيَّ وَأَبَا سُلَيْمَانَ السِّجِسْتَانِيَّ الْمَنْطِقِيَّ وَابْنَ الْبَقَّالِ الشَّاعِرَ وَابْنَ الْأَعْرَجِ النَّمَرِيَّ وَغَيْرَهُمْ. وَدَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَاحْتَشَدَ وَبَالَغَ وَوَصَلَ وَوَهَبَ فَجَرَتْ فِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ غَرَائِبُ الْعِلْمِ وَبَدَائِعُ الْحِكْمَةِ، وَخَاصَّةً مَا جَرَى مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْعَامِرِيِّ، وَلَوْلَا طُولُ الرِّسَالَةِ لَرَسَمْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَمِنْ ظَرِيفِ مَا جَرَى وَفِي سَمَاعِهِ فَائِدَةٌ وَاعْتِبَارٌ خَبَرُ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْعَامِرِيِّ، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي أَخْبَارِ السِّيرَافِيِّ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَحَضَرْتُ الْمَجْلِسَ يَوْمًا آخَرَ مَعَ أَبِي سَعِيدٍ وَقَدْ غَصَّ بِأَعْلَامِ الدُّنْيَا وَبِبُرُدِ الْآفَاقِ، فَجَرَى حَدِيثُ الصَّابِئِ، فَقَالَ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ: ذَاكَ رَجُلٌ لَهُ فِي كُلِّ طِرَازٍ نَسْجٌ، وَفِي كُلِّ حَوْمَةٍ رَهْجٌ[1]، وَفِي كُلِّ فَلَاةٍ رَكْبٌ، وَمِنْ كُلِّ غَمَامَةٍ سَكْبٌ، الْكِتَابَةُ تَدَّعِيهِ بِأَكْثَرَ مِمَّا يَدَّعِيهَا، وَالْبَلَاغَةُ تَتَحَلَّى بِهِ بِأَحْسَنَ

(١) الرهج: الغبار

مِمَّا يَتَحَلَّى هُوَ بِهَا ، وَمَا أَحْلَى قَوْلَهُ :

حَمْرَاءُ مُصْفَرَّةُ الْأَحْشَاءِ بَاعِثَةٌ ... طِيباً تَخَالُ بِهِ فِي الْبَيْتِ عَطَّارَا
كَأَنَّ فِي وَجْهِهَا تِبْراً يُخَلِّصُهُ ... قَيْنٌ(١) يُضَرِّمُ فِي أَفْنَانِهِ النَّارَا

وَقَوْلَهُ :

مَا زِلْتُ فِي سُكْرِي أُلَمِّعُ كَفَّهَا ... وَذِرَاعَهَا بِالْقَرْصِ وَالْآثَارِ
حَتَّى تَرَكْتُ أَدِيمَهَا وَكَأَنَّمَا ... غُرِسَ الْبَنَفْسَجُ فِي نَقَا الْجُمَّارِ

وَبَلَغَ الْمَجْلِسُ أَبَا إِسْحَاقَ فَحَضَرَ وَشَكَرَ وَطَوَى وَنَشَرَ وَأَوْرَدَ وَأَصْدَرَ ، وَكَانَ كَاتِبَ زَمَانِهِ لِسَاناً وَقَلَماً وَشَمَائِلَ ، وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ يَدٌ طُولَى فِي الْعِلْمِ الرِّيَاضِيِّ ، وَسَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يَقُولُ : هُوَ ابْنُ أَبِيهِ لِلَّهِ دَرُّهُ ، وَأَخَذَ فِي تَعْظِيمِ أَبِيهِ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ : وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَيَّانَ قِصَّةَ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ وَسَبَبَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً مَشْرُوحَةً وَقَدْ نَقَلْتُهَا هَاهُنَا عَنْهُ بِكَمَالِهَا فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَداً ذَكَرَهَا أَكْمَلَ مِنْهُ .

---

(١) القين : الحداد ، والذى فى هذا الأصل : « قير »

قَالَ : وَلَمَّا مَاتَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ اجْتَمَعَ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ أَبُو الْفَتْحِ وَعَلِيُّ بْنُ كَامَةَ أَحَدُ أُمَرَاءِ الدَّيْلَمِ وَالْأَعْيَانِ وَتَعَاهَدَا وَتَوَاثَقَا وَتَحَالَفَا وَبَذَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْإِخْلَاصَ لِصَاحِبِهِ وَالْمَوَدَّةَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالذَّبَّ وَالتَّوْقِيرَ عِنْدَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَاجْتَهَدَا فِي الْأَيْمَانِ الْغَامِسَةِ[1] وَالْعُقُودِ الْمُوَثَّقَةِ ، وَدَبَّرَا أَمْرَ الْجَيْشِ ، وَوَعَدَا الْأَوْلِيَاءَ ، وَرَدَّا النَّافِرَ ، وَرَكِبَا الْخَطَرَ الْخَاطِرَ ، وَعَانَقَا الْخَطْبَ الْعَاقِرَ ، وَبَاشَرَ كُلَّ ذَلِكَ أَبُو الْفَتْحِ خَاصَّةً بِجِدٍّ مِنْ نَفْسِهِ ، وَصَرِيمَةٍ مِنْ رَأْيِهِ ، وَجَوْدَةِ فِكْرِهِ ، وَصِحَّةِ نِيَّتِهِ ، وَتَوْفِيقِ رَبِّهِ .

فَلَمَّا وَرَدَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ الرَّيَّ مِنْ أَصْبَهَانَ وَصَادَفَ الْأَمْرَ مُتَّسِقًا وَلَقِيَ كُلَّ فَتْقٍ مُرْتَقًا بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحَزْمِ فِيهِ ، وَنَفَذَ مِنَ الرَّأْيِ الصَّائِبِ عِنْدَهُ أَنْكَرَ الزِّيَادَةَ الْمُوجِبَةَ لِلْجُنْدِ فَكَرِهَهَا وَدَمْدَمَ بِذِكْرِهَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْفَتْحِ بِهَا نَظَمْتُ لَكَ الْمُلْكَ ، وَحَفِظْتُ لَكَ الدَّوْلَةَ ، وَصُنْتُ

(١) الأيمان الغامسة واليمين الغموس : التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار

الْحَرِيمَ ، فَإِنْ خَالَفَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ هَوَاكَ فَأَسْقِطْهَا فَالْيَدُ الطُّولَى لَكَ .

وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ قَدْ وَرَدَ وَحَطَبُهُ رَطْبٌ وَتَنُّورُهُ بَارِدٌ وَأَمْرُهُ غَيْرُ نَافِذٍ ، هَذَا فِي الظَّاهِرِ ، وَأَمَّا فِي الْبَاطِنِ ، فَكَانَ يَخْلُو بِصَاحِبِهِ وَيُوَثِّبُهُ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بِمَا يَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعْنِ وَالْقَدْحِ ، فَأَحَسَّ بِذَلِكَ ابْنُ الْعَمِيدِ فَأَلَّبَ الْأَوْلِيَاءَ عَلَى ابْنِ عَبَّادٍ حَتَّى كَثُرَ الشَّغَبُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ وَقَالَ لِلْأَمِيرِ : لَيْسَ مِنْ حَقِّ كِفَايَتِي فِي الدَّوْلَةِ وَقَدْ انْتَكَثَ حَبْلُهَا ، وَقَوِيَتْ أَطْمَاعُ الْمُفْسِدِينَ فِيهَا أَنْ أُسَامَ[1] الْخَسْفَ ، وَالْأَحْرَارُ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى نَظَرَاتِ الذُّلِّ وَغَمَرَاتِ الْهَوَانِ . فَقَالَ لَهُ فِي الْجَوَابِ : كَلَامُكَ مَسْمُوعٌ وَرِضَاكَ مَتْبُوعٌ ، فَمَا الَّذِي يُبْرِدُ فَوْرَتَكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : يَنْصَرِفُ إِلَى أَصْفَهَانَ مَوْفُوراً ، فَوَاللَّهِ لَوْ طَالَبْتُهُ مُنْصِفاً بِرَفْعِ الْحِسَابِ لِمَا نَظَرَ فِيهِ لَيَعْرَقَنَّ جَبِينُهُ ، وَلَئِنْ أَحَسَّ الْأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ اصْطَنَعْتُهُمْ بِمَالِي وَإِفْضَالِي بِكَلَامِهِ فِي أَمْرِي ، وَسَعْيِهِ فِي فَسَادِ حَالِي ، لَيَكُونَنَّ هَلَاكُهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا

---

(١) أى أذل وأهان ، من أسامه الخسف : أى أذاقه الذل والهوان .

خَطِفَ، وَمِنَ الْمُزْنِ إِذَا نَطَفَ. فَقَالَ لَهُ: لَا تُخَالِفَ لِرَأْيِكَ، وَالنَّظَرُ لَكَ، وَالزِّمَامُ بِيَدِكَ.

وَتَلَطَّفَ ابْنُ عَبَّادٍ فِي خِلَالِ ذَلِكَ لِأَبِي الْفَتْحِ وَقَالَ لَهُ: أَنَا أَتَظَلَّمُ مِنْكَ إِلَيْكَ، وَأَتَحَمَّلُ بِكَ عَلَيْكَ، وَهَذَا الِاسْتِيحَاشُ سَهْلُ الزَّوَالِ إِذَا تَأَلَّفْتَ الشَّارِدَ مِنْ حِلْمِكَ، وَعَطَفْتَ عَلَى الشَّائِعِ مِنْ كَرَمِكَ، وَلِّنِي دِيوَانَ الْإِنْشَاءِ وَاسْتَخْدِمْنِي فِيهِ وَرَتِّبْنِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَحْضِرْنِي بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، وَسِمْنِي بِرِضَاكَ فَإِنِّي صَنِيعَةُ وَالِدِكَ، وَاتَّخِذْنِي بِهَذَا صَنِيعَةً لَكَ، وَلَيْسَ يَجْمُلُ أَنْ تَكُرَّ عَلَى مَا بَنَى ذَلِكَ الرَّئِيسُ فَتَهْدِمَهُ وَتَنْقُضَهُ، وَمَتَى أَجَبْتَنِي إِلَى هَذَا وَآمَنْتَنِي فَإِنِّي أَكُونُ خَادِمَكَ بِحَضْرَتِكَ، وَكَاتِباً يَطْلُبُ الزُّلْفَةَ عِنْدَكَ فِي صَغِيرِ أَمْرِكَ وَكَبِيرِهِ، وَفِي هَذَا إِطْفَاءُ النَّائِرَةِ الَّتِي قَدْ ثَارَتْ بِسُوءِ ظَنِّكَ وَتَصْدِيقِكَ أَعْدَائِي عَلَيَّ. فَقَالَ فِي الْجَوَابِ: وَاللهِ لَا تُجَاوِرُنِي فِي بَلَدِ السَّرِيرِ، وَبِحَضْرَةِ التَّدْبِيرِ وَخَلْوَةِ الْأَمِيرِ، وَلَا يَكُونُ لَكَ إِذْنٌ عَلَيَّ وَلَا عَيْنٌ عِنْدِي، وَلَيْسَ لَكَ مِنِّي رِضاً إِلَّا بِالْعَوْدِ إِلَى مَكَانِكَ مِنْ أَصْبَهَانَ، وَالسُّلُوِّ عَمَّا تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسُكَ.

فخرج ابنُ عبّادٍ من الرَّيِّ على صورةٍ قبيحةٍ متنكّراً بالليل، وذلك أنّه خاف الفتك والغلبة، وبلغ أصبهان وألقى عصاه بها، ونفسه تغلي وصدره يفور، والخوف شامل والوسواس غالب، وهمَّ أبو الفتح بإنفاذ من يطالبه ويؤذيه ويهينه ويعسفه فأحسّ هو بالأمر.

فحدّثني أبو النجم قال: عمل على ركوب المفازة إلى نيسابور لمّا ضاق عطنه [1]، واختلف على نفسه ظنّه، وإنّه لفي هذا وما أشبهه، حتى بلغهم أنّ خراسان قد أزمعت الدُّلوف [2] إليهم، وتشاورت في الإطلال [3] عليهم.

فقال الأمير لأبي الفتح: ما الرأي وقد نُمي إلينا ما تعلم من طمع خراسان في هذه الدولة بعد موت ركن الدولة؟ فقال أبو الفتح: ليس الرأي إليَّ ولا إليك، ولا الهمّ عليَّ ولا عليك، هاهنا من يقول لك: أنت خليفتي، ويقول لي: أنت كاتب خليفتي، يدبّر هذا بالمال والرجال وهو الملك عضد الدولة أخوك. قال: فاكتب إليه وأشعره

---

(١) العطن: مبرك الابل والغنم، وهذا كناية عن الخوف من كل ما حوله

(٢) أزمعت: اعتزمت ونوت، والدلوف: التقدم والزحف (٣) يريد محاربتهم.

وَأَشِعْ مَا قَدْ مُنِينَا بِهِ وَأَشْهِرْهُ، وَسَلْهُ يُدَاوِى هَذَا الدَّاءَ .
فَكَتَبَ أَبُو الْفَتْحِ وَتَلَطَّفَ . فَصَدَرَ[1] فِى الْجَوَابِ : إِنَّ هَذَا لَأَمْرٌ عُجَابٌ، رَجُلٌ مَاتَ وَخَلَّفَ مَالًا وَلَهُ ابْنٌ فَلَمْ يُحْمَلْ إِلَيْهِ مِنْ إِرْثِهِ شَىْءٌ زَوْيًا عَنْهُ وَاسْتِئْثَارًا دُونَهُ، ثُمَّ يُخَاطَبُ بِأَنْ يَغْرَمَ شَيْئًا آخَرَ مِنْ عِنْدِهِ قَدْ كَسَبَهُ بِجُهْدِهِ، وَجَمَعَهُ بِسَعْيِهِ وَكَدْحِهِ، هَذَا وَاللهِ حَدِيثٌ لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِهِ، وَلَئِنِ اسْتُفْتِىَ الْفُقَهَاءُ فِى هَذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنْهُ بَتَّةً إِلَّا التَّعَجُّبُ وَالِاسْتِطْرَافُ وَرَحْمَةُ هَذَا الْوَارِثِ الْمَظْلُومِ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ حُرِمَ مَالَهُ بِحَقِّ الْإِرْثِ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ يُطَالَبُ بِإِخْرَاجِ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ، وَإِنْ شَاءَ حَاكَمْتُ كُلَّ مَنْ سَامَ هَذَا إِلَى مَنْ يَرْضَى بِهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ هَذَا قَالَ لِأَبِى الْفَتْحِ : مَا تَرَى؟ قَالَ : قَدْ قُلْتُ وَلَيْسَ لِى قَوْلٌ سِوَاهُ، هَذَا الرَّجُلُ هُوَ الْمَلِكُ وَالْمُدَبِّرُ وَالْمَالُ كُلُّهُ مَالُهُ، وَالْبِلَادُ بِلَادُهُ، وَالْجُنْدُ جُنْدُهُ وَالْكُلُّ لَهُ، وَالِاسْمُ وَالْجَلَالَةُ عِنْدَهُ، وَلَيْسَ هَاهُنَا إِرْثٌ قَدْ

(١) يريد فجاء الجواب من عضد الدولة فصدر

زُوِيَ عَنْهُ، وَلَا مَالٌ اسْتُؤْثِرَ بِهِ دُونَهُ، وَالنَّادِرَةُ لَا وَجْهَ لَهَا فِي أَمْرِ الْجِدِّ وَفِيمَا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِاللَّعِبِ، أَمَّا خُرَاسَانُ فَكَانَتْ مُذْ عِشْرِينَ سَنَةً تُطَالِبُنَا بِالْمَالِ وَتُهَدِّدُنَا بِالْمَسِيرِ وَالْحَرْبِ، وَنَحْنُ مَرَّةً نُحَارِبُ وَمَرَّةً نُسَالِمُ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ تُفَرَّقُ الْمَالَ بَعْدَ الْمَالِ عَلَى وُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَاحْسَبْ أَنَّ رُكْنَ الدَّوْلَةِ حَيٌّ بَاقٍ، هَلْ كَانَ لَهُ إِلَّا أَنْ يُدَبِّرَ بِمَالِهِ وَرِجَالِهِ وَذَخَائِرِهِ وَكُنُوزِهِ؟ أَفَلَيْسَ هَذَا الْحُكْمُ لَازِماً لِمَنْ قَامَ مَقَامَهُ وَجَلَسَ مَجْلِسَهُ، وَأُلْقِيَ إِلَيْهِ زِمَامُ الْمُلْكِ وَأُصْدِرَ عَنْهُ كُلُّ رَأْيٍ؟ وَهَلْ عَلَيْنَا إِلَّا الْخِدْمَةُ وَالنُّصْرَةُ وَالْمُنَاصَحَةُ فِي كُلِّ مَا سَهُلَ وَصَعُبَ؟ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِالْأَمْسِ مِنْ جِهَةِ الْمَاضِي.

فَقَالَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ: إِنَّ الْخَطْبَ فِي هَذَا أَرَاهُ يَطُولُ، وَالْكَلَامُ يَتَرَدَّدُ، وَالْمُنَاظَرَةُ تَرْبُو، وَالْفَرِيضَةُ تَعُولُ، وَالْفُرْصَةُ تَفُوتُ، وَالْعَدُوُّ يَسْتَمْكِنُ، وَأَرَى فِي الْوَقْتِ أَنْ تَذْكُرَ وَجْهاً لِلْمَالِ حَتَّى نَحْتَجَّ بِهِ، ثُمَّ نَسْتَمِدَّ فِي الثَّانِي مِنْهُ، وَيَرْضَى الْجُنْدُ فِي الْحَالِ وَتَتَحَزَّمَ فِي الْأَمْرِ، وَنُظْهِرَ الْمَرَارَةَ وَالشَّكِيمَةَ بِالِاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعْدَادِ، حَتَّى يَطِيرَ الْخَبَرُ إِلَى خُرَاسَانَ بِجِدِّنَا

وَاجْتِهَادِنَا، وَحَزْمِنَا وَاعْتِمَادِنَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَكْسَرَةً لِقُلُوبِهِمْ وَحَسْماً لِأَطْمَاعِهِمْ، وَبَاعِثاً عَلَى تَجْدِيدِ الْقَوْلِ فِي الصُّلْحِ وَرَدِّ الْحَالِ إِلَى الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ. فَقَالَ: نَسْأَلُ اللهَ بَرَكَةَ هَذَا الْأَمْرِ فَقَدْ نَشَأَتْ مِنْهُ رَائِحَةٌ مُنْكَرَةٌ، مَا أَعْرِفُ لِلْمَالِ وَجْهاً، أَمَّا أَنَا فَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ جَمِيعِ مَا عِنْدِي مَرَّةً بِمَا خَدَمْتُ بِهِ الْمَاضِيَ تَبَرُّعاً حِدْثَانَ(١) مَوْتِ أَبِي، وَمَرَّةً بِمَا طَالَبَنِي بِهِ سِرًّا، وَأَوْعَدَنِي بِالْعَزْلِ وَالِاسْتِخْفَافِ مِنْ أَجْلِهِ، وَمَرَّةً بِمَا غَرِمْتُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ فِي نُصْرَةِ الدَّوْلَةِ، وَهَذِهِ وُجُوهٌ اسْتَنْفَدَتْ قُلِّي وَكُثْرِي، وَأَتَتْ عَلَى ظَاهِرِي وَبَاطِنِي، وَقَدْ غَرِمْتُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ مَا إِنْ ذَكَرْتُهُ كُنْتُ كَأَنِّي مُمْتَنٌّ عَلَى أَوْلِيَاءِ نِعْمَتِي، وَإِنْ سَكَتُّ كُنْتُ كَالْمُتَّهَمِ عِنْدَ مَنْ يَتَوَقَّعُ عَثْرَتِي، فَهَذَا هَذَا. وَأَمَّا أَمْوَالُ النَّوَاحِي فَأَحْسَنُ أَحْوَالِنَا فِيهَا أَنَّا نُزْجِيهَا فِي نَوَاحِيهَا مَعَ النَّفَقَةِ الْوَاسِعَةِ فِي الْوَظَائِفِ وَالْمُهِمَّاتِ الَّتِي تَنُوبُنَا، وَأَمَّا الْعَامَّةُ فَلَا أَحْوَجَ اللهُ إِلَيْهَا، وَلَا كَانَتْ دَوْلَةٌ لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِهَا وَبِأَوْسَاخِ

(١) مصدر حدث الشيء: ابتدأ، يريد عند موت أبي

أَمْوَالِهَا . فَقَالَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ وَكَانَ مُلَقَّناً : هَذَا ابْنُ كَامَة وَهُوَ صَاحِبُ الذَّخَائِرِ وَالْكُنُوزِ وَالْجِبَالِ وَالْحُصُونِ ، وَبِيَدِهِ بِلَادٌ وَقَدْ جَمَعَ هَذَا كُلَّهُ فِي دَوْلَتِنَا وَحَازَهُ مِنْ مَمْلَكَتِنَا وَأَيَّامِنَا وَبِدَوْلَتِنَا ، وَهُوَ جَامٌّ[1] مَاشِيكَ ، وَمَخْتُومٌ[2] مَافُضَّ مُذْ كَانَ مَانَقُولُ فِيهِ . قَالَ : مَالِي فِيهِ كَلَامٌ فَإِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَهْداً مَا أَخِيسُ[3] بِهِ وَلَوْ ذَهَبَتْ نَفْسِي . فَقَالَ : اُطْلُبْ مِنْهُ الْقَرْضَ . قَالَ : إِنَّهُ يَسْتَوْحِشُ وَيَرَاهُ بَاباً مِنَ الْغَضَاضَةِ ، وَقَدْرُ الْقَرْضِ لَا يَبْلُغُ قَدْرَ الْحَاجَةِ ، فَإِنَّ الْحَاجَةَ مَاسَّةٌ إِلَى خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ عَلَى التَّقْرِيبِ ، وَنَفْسُهُ أَنْفَعُ لَنَا وَأَرَدُّ عَلَيْنَا وَأَحْصَنُ لَنَا وَإِلَيْنَا مِنْ مَوْقِعِ ذَلِكَ الْمَالِ ، وَبُعْدُ رَأْيِهِ وَتَدْبِيرُهُ وَاسْمُهُ وَصِيتُهُ فَوْقَ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ .

قَالَ : وَإِذْ لَيْسَ هَهُنَا وَجْهٌ فَلَيْسَ بَأْسٌ بِأَنْ يُطَالَعَ الْمَلِكُ بِهَذَا الرَّأْيِ لِيَكُونَ نَتِيجَتُهُ مِنْ ثَمَّ . قَالَ : أَنَا لَا أَكْتُبُ بِهَذَا فَإِنَّهُ غَدْرٌ . قَالَ يَا هَذَا : فَأَنْتَ كَاتِبِي

---

(١) الجام : المجتمع من الشيء ، يريد أن ماله مجتمع ما شيك ، وشيك مجهول من شاكه : آلمه بالشوك ، وذلك كناية عن كثرة ماله (٢) مختوم مافض : كناية عن أن ما يملكه لم تمسسه يد (٣) أخيس : أنكث عهده وأنقضه « عبد الخالق »

وَصَاحِبُ سِرِّى وَالزِّمَامُ فِي جَمِيعِ أَمْرِى ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى إِخْرَاجِ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَتَوَلَّ حَارَّهُ وَقَارَّهُ ، وَغَثَّهُ وَسَمِينَهُ ، وَمَحْبُوبَهُ وَمَكْرُوهَهُ فَمَنْ ؟

قَالَ يَأَيُّهَا الْأَمِيرُ : لَا تَسُمْنِي الْخِيَانَةَ ، فَإِنِّى قَدْ أَعْطَيْتُهُ عَهْداً يَذَرُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ[1] ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلَعَنَ اللهُ عَاجِلَةً تُفْسِدُ الْآجِلَةَ . فَقَالَ : إِنِّى لَسْتُ أَسُومُكَ أَنْ تَقْبِضَ عَلَيْهِ وَأَنْ تُسِيءَ إِلَيْهِ ، أَشِرْ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَى الْمَلِكِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَخَلَاكَ ذَمٌّ ، فَإِنْ رَأَى الصَّوَابَ فِيهِ تَوَلَّاهُ دُونَكَ ، وَإِنْ ضَرَبَ عَنْهُ أَعَاضَنَا رَأْياً غَيْرَ مَا رَأَيْنَا ، وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ لَا تَنْزِلُ عَنْهَا وَلَا تُبَدَّ لُهَا ، وَإِنَّمَا الَّذِى يَجِبُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بَيْنَ يَدَىَّ كَتْبُ حَرْفَيْنِ : إِنَّهُ لَا وَجْهَ لِهَذَا الْمَالِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ فُلَانٍ ، وَلَسْتُ أَتَوَلَّى مُخَاطَبَتَهُ عَلَيْهِ ، وَلَا مُطَالَبَتَهُ بِهِ وَفَاءً لَهُ بِالْعَهْدِ ، وَثَبَاتاً عَلَى الْيَمِينِ ، وَجَرْياً عَلَى الْوَاجِبِ ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ تُجِيبَ إِلَى هَذَا

---

(١) أى يتركها خرابا ، جمع بلقع

الْقَدْرِ ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى النَّكْثِ وَالْخِلَافِ وَالتَّبْدِيلِ . وَمَا زَالَ هَذَا وَشِبْهُهُ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا حَتَّى أَخَذَ خَطَّهُ بِهَذَا عَلَى أَنْ يُصْدِرَهُ إِلَى أَخِيهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِفَارِسَ . فَلَمَّا حَصَلَ هَذَا الْخَطُّ عِنْدَهُ وَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَحْضَرَ ابْنَ كَامَةَ وَقَالَ لَهُ : أَمَا عِنْدَكَ حَدِيثُ هَذَا الْمُخَنَّثِ فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَى الْمَلِكِ فِي شَأْنِكَ ؟ وَأَوْرَدَ عَلَيْهِ فِي حَقِّكَ وَأَمْرِكَ ، وَإِطْمَاعِهِ فِي مَالِكَ وَنَفْسِكَ ، وَتَكْثِيرِهِ عِنْدَهُ مَا تَحْتَ يَدِكَ وَنَاحِيَتِكَ . فَقَالَ ابْنُ كَامَةَ : هَذَا الْفَتَى يَرْتَفِعُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَلَعَلَّ عَدُوًّا قَدْ كَادَهُ بِهِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا لَا مَنْفَذَ لِلسِّحْرِ فِيهِ ، وَلَا مَسَاغَ لِظَنٍّ سَيِّءٍ بِهِ . قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ حَقَّقْتُ مَا قُلْتُ ، وَدَعْ هَذَا كُلَّهُ فِي الرِّيحِ ، هَذَا كِتَابُهُ إِلَى الْمَلِكِ بِمَا عَرَّفْتُكَ ، وَخَطُّهُ بِيَدِهِ فِيهِ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ : أَنَا أَعْرِفُ الْخَطَّ وَلَكِنْ هَاتُوا كَاتِبِي ، فَأَحْضَرَ كَاتِبَهُ الْخَثْعَمِيَّ فَشَهِدَ أَنَّ الْخَطَّ خَطُّهُ ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل بابك

عَنْ سَجِيَّتِهِ ، وَخَرَجَ مِنْ مَسْكَنِهِ وَقَالَ : مَا ظَنَنْتُ بَعْدَ الْأَيْمَانِ الْمُغَلَّظَةِ الَّتِي بَيْنَنَا أَنَّهُ يَسْتَجِيزُ مِثْلَ هَذَا . قَالَ الْأَمِيرُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنَّمَا أَطْلَعَكَ الْمَلِكُ عَلَى سِرِّ هَذَا الْغُلَامِ فِيكَ ، لِتَعْرِفَ فَسَادَ ضَمِيرِهِ لَكَ ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ هَنَاتٍ أُخَرَ ، وَآفَاتٍ هِيَ أَكْبَرُ ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي حَرَّكَ مَنْ بِخُرَاسَانَ ، وَكَاتَبَ صَاحِبَ جُرْجَانَ ، وَأَلْقَى إِلَى أَخِينَا بِهَمَذَانَ - يَعْنِي فَخْرَ الدَّوْلَةِ - أَخْبَارَنَا ، وَهُوَ عَيْنٌ لِبُخْتَيَارَ هَاهُنَا ، وَقَدِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَعْمَلُ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْبِلَادِ ، وَيَكُونُ وَزِيراً بِالْعِرَاقِ ، فَقَدْ ذَاقَ مِنْ بَغْدَادَ مَا لَا يَخْرُجُ مِنْ ضِرْسِهِ إِلَّا بِنَزْعِ نَفْسِهِ ، وَكَانَ أَبُو نَصْرٍ الْمَجُوسِيُّ قَدْ قَدِمَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ يَفْتِلُ الْحَبْلَ وَيُبْرِمُ ، وَيَهَابُ مَرَّةً وَيَقْدِمُ ، وَكَانَ الْحَدِيثُ قَدْ بُيِّتَ بِلَيْلٍ وَاهْتُمَّ بِهِ قَبْلَ وَقْتِهِ بِزَمَانٍ . فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ : فَمَا الرَّأْيُ الْآنَ ؟ قَالَ : لَا أَرَى أَمْثَلَ مِنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَقَدْ كُنَّا عَلَى ذَلِكَ قَادِرِينَ ، وَلَكِنْ كَرِهْنَا أَنْ يُظَنَّ بِنَا أَنَّا هَجَمْنَا عَلَى نَاصِحِنَا ، وَمُرَبِّبِ[1] نِعْمَتِنَا وَنَاشِيءِ دَوْلَتِنَا ،

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل «مرتب» ويقال : رب فلان الصبي وربيه : أي رباه حتى أدرك .

فَمَهَّدْنَا عِنْدَكَ الْعُذْرَ ، وَأَوْضَحْنَا لَكَ الْأَمْرَ . قَالَ : فَأَنَا أَكْفِيكُمُوهُ ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِ وَكَانَ مِنْهُ مَا كَانَ ، وَاسْتَدْعَى ابْنَ عَبَّادٍ مِنْ أَصفهَانَ وَوَلِيَ الْوَزَارَةَ وَدَبَّرَهَا بِرَأْيٍ وَثِيقٍ وَجِدٍّ رَتِيقٍ[1] .

وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ مَسْكَوَيْهِ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ قَالَ : كَانَ حَسْنَوَيْهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكُرْدِيُّ قَدْ قَوِيَ وَاسْتَفْحَلَ لِمَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ الشغْلِ بِالْفُتُوحِ الْكِبَارِ ، لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا وَقَعَ حَرْبٌ بَيْنَ الْخُرَاسَانِيَّةِ وَبَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَظْهَرَ عَصَبِيَّةَ الدَّيْلَمِ وَصَارَ فِي جُمْلَتِهِمْ ، وَخَدَمَ خِدْمَةً يَسْتَحِقُّ بِهَا الْإِحْسَانَ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ — مَعَ مَا أُقْطِعَ وَأُغْضِيَ عَنْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَبَسَّطَ فِيهَا وَالْإِضَافَاتِ الَّتِي يَسْتَوْلِي عَلَيْهَا — ، رُبَّمَا تَعَرَّضَ لِأَطْرَافِ الْجَبَلِ وَطَالَبَ أَصْحَابَ الضِّيَاعِ وَأَرْبَابَ النِّعَمِ بِالْخِفَارَةِ وَالرُّسُومِ الَّتِي يَبْتَدِعُهَا ، فَيُضْطَرُّ النَّاسُ إِلَى إِجَابَتِهِ وَلَا يُنَاقِشُهُ السُّلْطَانُ ، فَكَانَ يَزِيدُ أَمْرُهُ عَلَى الْأَيَّامِ وَيَتَشَاغَلُ الْوُلَاةُ عَنْهُ ، إِلَى أَنْ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَهْلَانَ ابْنِ مُسَافِرٍ خِلَافٌ وَمُشَاحَّةٌ تَلَاجَّا فِيهَا ، إِلَى أَنْ

---

(١) من رتق الشيء : جمله يلتئم بعضه مع بعض

قَصَدَهُ ٱبْنُ مُسَافِرٍ فَهَزَمَهُ حَسْنَوَيْهِ ، وَكَانَ يَظُنُّ ٱبْنُ مُسَافِرٍ أَنَّهُ لَا يُكَاشِفُهُ ، وَلَا يَبْلُغُ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا إِلَى مَا بَلَغَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمْ تَقِفِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا حَيْثُ ظَنَّ ، وَٱنْتَهَى الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا إِلَى أَنِ ٱجْتَمَعَ الدَّيْلَمُ وَأَصْحَابُ السُّلْطَانِ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ إِلَى مَوْضِعٍ شَبِيهٍ بِالْحِصَارِ ، وَنَزَلَ الْأَكْرَادُ حَوَالَيْهِمْ وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الْمِيرَةِ[1] وَتَفَرَّقُوا بِإِزَائِهِمْ ، ثُمَّ زَادَ الْأَمْرُ وَبَلَغَ إِلَى أَنْ أَمَرَ حَسْنَوَيْهِ الْأَكْرَادَ أَنْ يَحْمِلَ كُلُّ فَارِسٍ مِنْهُمْ عَلَى رَأْسِ رُمْحِهِ مَا أَطَاقَ مِنَ الشَّوْكِ وَالْعَرْفَجِ[2] ، وَيَقْرُبَ مِنْ مُعَسْكَرِ سَهْلَانَ مَا ٱسْتَطَاعَ وَيَطْرَحَهُ هُنَاكَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا ٱجْتَمَعَ حَوْلَ عَسْكَرِ سَهْلَانَ شَيْءٌ كَثِيرٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ تَقَدَّمَ بِطَرْحِ النَّارِ فِيهِ مِنْ عِدَّةِ مَوَاضِعَ فَالْتَهَبَ وَكَانَ الْوَقْتُ صَيْفًا ، وَحَمِيَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ مَعَ حَرِّ النَّارِ فَأَخَذَ بِكَظْمِهِمْ[3] وَأَشْرَفُوا عَلَى التَّلَفِ ، فَصَاحُوا وَطَلَبُوا الْأَمَانَ فَرَفَقَ بِهِمْ وَأَمْسَكَ عَمَّا

---

(١) الميرة : الزاد (٢) العرفج : نبات سهلي سريع الالتهاب

(٣) الكظم : الحلق أو الفم أو مخرج النفس ، كناية عن شدته عليهم

هَمَّ بِهِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ فَلَمْ يَحْتَمِلْ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى وَزِيرِهِ أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَمِيدِ ، وَهُوَ الْأُسْتَاذُ الرَّئِيسُ بِقَصْدِهِ وَاسْتِئْصَالِ شَأْفَتِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالِاسْتِقْصَاءِ وَالْمُبَالَغَةِ ، فَانْتَخَبَ الْأُسْتَاذُ الرَّئِيسُ الرِّجَالَ وَخَرَجَ فِي عُدَّةٍ وَزِينَةٍ ، وَخَرَجَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ مُشَيِّعًا لَهُ وَخَلَعَ عَلَى الْقُوَّادِ ، وَوَقَفَ حَتَّى اجْتَازَ بِهِ الْعَسْكَرُ وَعَادَ إِلَى الرَّيِّ ، وَسَارَ الْوَزِيرُ وَمَعَهُ ابْنُهُ أَبُو الْفَتْحِ ، وَكَانَ شَابًّا قَدْ خَلَفَ أَبَاهُ بِحَضْرَةِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَعَرَفَ تَدْبِيرَ الْمَمْلَكَةِ وَسِيَاسَةَ الْجُنْدِ ، فَهُوَ بِذَكَائِهِ وَحِدَّةِ ذِهْنِهِ وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ ، قَدْ نَفَقَ نَفَاقًا شَدِيدًا عَلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لِقِلَّةِ حُنْكَتِهِ (١) وَنَزَقِ شَبَابِهِ وَتَهَوُّرِهِ فِي الْأُمُورِ يُقْدِمُ عَلَى مَا لَا يُقْدِمُ عَلَيْهِ أَبُوهُ ، وَيُحِبُّ أَنْ يَسِيرَ فِي خَوَاصِّ الدَّيْلَمِ وَهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَخْتَلِطَ بِهِمُ اخْتِلَاطَ مَنْ يَسْتَمِيلُ قُلُوبَهُمْ ، وَيَخْلَعَ عَلَيْهِمْ خِلَعًا كَثِيرَةً ، وَيَحْمِلَ رُؤَسَاءَهُمْ وَقُوَّادَهُمْ عَلَى الْخُيُولِ الْفُرَّهِ بِالْمَرَاكِبِ الثِّقَالِ ، وَيُرِيدُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ أَنْ يُسَلِّمُوا لَهُ

---

(١) الحنكة : كثرة التجربة والمران

الرِّيَاسَةَ حَتَّى لَا يَأْنَفَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْمَشْيِ قُدَّامَهُ إِذَا رَكِبَ، وَكَانَ جَمِيعُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُؤْثِرُهُ الْأُسْتَاذُ الرَّئِيسُ وَلَا يَرْضَاهُ لِسِيرَتِهِ، وَكَانَ يَعِظُهُ وَيَنْهَاهُ عَنْ هَذِهِ السِّيرَةِ وَيُعْلِمُهُ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِمَّا يُرَخَّصُ فِيهِ، لَكَانَ هُوَ بِنَفْسِهِ قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ.

قَالَ مِسْكَوَيْهِ: وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ خَلَوَاتِهِ يَشْرَحُ لَهُ صُورَةَ الدَّيْلَمِ فِي الْحَسَدِ وَالْجَشَعِ، وَأَنَّهُ مَا مَلَكَهُمْ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا بِتَرْكِ الزِّينَةِ، وَبَذْلِ مَالًا يُبْطِرُهُمْ وَلَا يُخْرِجُهُمْ إِلَى التَّحَاسُدِ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي مَرْتَبَةِ أَوْسَطِهِمْ حَالًا، وَأَنَّ مَنْ دَعَاهُمْ وَاحْتَشَدَهُمْ وَحَمَلَ عَلَى حَالَةٍ فَوْقَ طَاعَتِهِ، لَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ مِنْ حَسَدِهِ عَلَى نِعَمِهِ وَالسَّعْيِ فِي إِزَالَتِهَا، وَتَرَقُّبِ أَوْقَاتِ الْغِرَّةِ فِي آمَنِ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ فَيَفْتِكُونَ بِهِ ذَلِكَ الْوَقْتَ، وَكَانَ يُورِدُ عَلَيْهِ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّهُ قَدْ مَلَأَ قَلْبَهُ رُعْبًا، وَأَنَّهُ سَيَكُفُّ عَنِ السِّيرَةِ الَّتِي شَرَعَ فِيهَا، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يُفَارِقَ مَجْلِسَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُعَاوِدَ سِيرَتَهُ تِلْكَ، فَأَشْفَقَ

الْأُسْتَاذُ فِي سَفْرَتِهِ هَذِهِ أَنْ يَتْرُكَهُ بِحَضْرَةِ صَاحِبِهِ، فَيَلِجَ فِي هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَيَغْتَرَّ (١) بِمَا يَرَاهُ مِنَ احْتِمَالِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَا لَا يَتَلَافَاهُ، فَسَيَّرَهُ مَعَهُ وَاسْتَخْلَفَ بِحَضْرَةِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْبَيِّعِ، وَكَانَ فَاضِلًا أَدِيبًا رَكِينًا، حَسَنَ الصُّورَةِ مَقْبُولَ الْجُمْلَةِ، حَسَنَ الْمَخْبَرِ خُلُقًا وَأَدَبًا.

فَلَمَّا كَانَ الرَّئِيسُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ — وَكَانَ يَرْكَبُ الْعِمَارِيَّاتِ (٢) وَلَا يَسْتَقِلُّ عَلَى ظُهُورِ الدَّوَابِّ لِإِفْرَاطِ عِلَّةِ النِّقْرِسِ (٣) وَغَيْرِهِ عَلَيْهِ — الْتَفَتَ فَلَمْ يَرَ فِي مَوْكِبِهِ أَحَدًا، وَسَأَلَ عَنِ الْخَبَرِ فَلَمْ يَجِدْ حَاجِبًا يُخْبِرُهُ وَلَا مَنْ جَرَتِ الْعَادَةُ بِمُسَايَرَتِهِ غَيْرِي، فَسَأَلَنِي عَنِ الْخَبَرِ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْجَمَاعَةَ بِأَسْرِهَا مَالَتْ مَعَ أَبِي الْفَتْحِ إِلَى الصَّيْدِ، فَأَمْسَكَ حَتَّى نَزَلَ فِي مُعَسْكَرِهِ، ثُمَّ سَأَلَ عَمَّنْ جَرَتِ الْعَادَةُ بِاسْتِدْعَائِهِ لِلطَّعَامِ، وَكَانَ يَحْضُرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشَرَةٌ مِنَ

---

(١) كانت فى هذا الأصل «فيفتر» بالفاء (٢) العمارية . هودج يجلس فيه

(٣) النقرس : مرض يجعل جسم الانسان حساسا جدا للغاية ، بحيث لايتحمل أى جسم عليه مهما كان صغيرا .

الْقُوَّادِ عَلَى مَائِدَتِهِ الَّتِي تَخُصُّهُ ، وَعِدَّةٌ مِنَ الْقُوَّادِ عَلَى أَطْبَاقٍ تُوضَعُ لَهُمْ ، وَذَلِكَ عَلَى نَوْبَةٍ مَعْرُوفَةٍ يَسْعَى فِيهَا نُقَبَاؤُهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ وَاسْتَقْصَى فِي السُّؤَالِ فَقِيلَ : إِنَّ أَبَا الْفَتْحِ أَضَافَهُمْ فِي الصَّحْرَاءِ فَاسْتَشَاطَ مِنْ ذَلِكَ وَسَاءَهُ أَنْ يَجْرِيَ مِثْلُ هَذَا وَلَا يُسْتَأْذَنَ فِيهِ ، وَقَدْ كَانَ أَنْكَرَ خُلُوَّ مَوْكِبِهِ وَهُوَ فِي وَجْهِ حَرْبٍ وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَسْتَمِرَّ هَذَا التَّشَتُّتُ مِنَ الْعَسْكَرِ فَتَتِمَّ عَلَيْهِ حِيلَةٌ ، فَدَعَا أَكْبَرَ حُجَّابِهِ وَوَصَّاهُ أَنْ يَحْجُبَ عَنْهُ ابْنَهُ أَبَا الْفَتْحِ ، وَأَنْ يُوصِيَ النُّقَبَاءَ بِمَنْعِ الدَّيْلَمِ مِنْ مُسَايَرَتِهِ وَمُخَالَطَتِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ هَذَا الْمَبْلَغَ مِنَ الْإِنْكَارِ سَيَغُضُّ مِنْهُ وَيَنْهَى الْعَسْكَرَ عَنِ اتِّبَاعِهِ عَلَى هَوَاهُ ، فَلَمْ يُؤَثِّرْ كَلَامُهُ هَذَا كَبِيرَ أَثَرٍ وَعَادَ الْفَتَى إِلَى عَادَتِهِ ، وَاتَّبَعَهُ الْعَسْكَرُ وَمَالُوا مَعَهُ إِلَى اللَّعِبِ وَالصَّيْدِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، وَكَانَ لَا يُخْلِيهِمْ مِنَ الْخِلَعِ وَالْإِلْطَافِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْأُسْتَاذِ الرَّئِيسِ جِدًّا وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يَخْرِقَ هَيْبَةَ نَفْسِهِ بِإِظْهَارِ مَا فِي قَلْبِهِ ، وَلَا الْمُبَالَغَةَ فِي الْإِنْكَارِ وَهُوَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَجْهِ ، فَيُفْسِدَ

عَسْكَرَهُ وَيُطْمِعَ فِيهِ عَدُوَّهُ ، فَدَارَى أَمْرَهُ وَتَجَرَّعَ غَيْظَهُ ، وَأَدَّاهُ ذَلِكَ إِلَى زِيَادَةٍ فِي مَرَضِهِ حَتَّى هَلَكَ بِهَمَذَانَ وَهُوَ يَقُولُ فِي خَلَوَاتِهِ : مَا يُهْلِكُ آلَ الْعَمِيدِ وَلَا يَمْحُو آثَارَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا هَذَا الصَّبِيُّ — يَعْنِي ابْنَهُ — وَهُوَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ : مَا قَتَلَنِي إِلَّا جُرَعُ الْغَيْظِ الَّتِي تَجَرَّعْتُهَا مِنْهُ ، فَلَمَّا حَصَلَ بِهَمَذَانَ اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ وَتُوُفِّيَ بِهَا - رَحِمَهُ اللهُ - فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ السَّادِسِ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَانْتَصَبَ ابْنُهُ أَبُو الْفَتْحِ مَكَانَ أَبِيهِ ، وَكَانَ الْعَسْكَرُ كَمَا ذَكَرْتُ مَائِلًا إِلَيْهِ ، فَزَادَ فِي بَسْطِهِمْ وَتَأْنِيسِهِمْ وَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ ، وَبَذَلَ لَهُمْ طَعَامَهُ وَمُنَادَمَتَهُ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْخِلَعِ عَلَيْهِمْ ، وَرَاسَلَ حَسْنَوَيْهِ وَأَرْغَبَهُ وَأَرْهَبَهُ وَحَضَّهُ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى مُصَالَحَتِهِ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ يَقُومُ بِمَا أَنْفَقَ عَلَى الْعَسْكَرِ ، وَيَتَوَفَّرُ بَعْدَ ذَلِكَ بَقِيَّةٌ عَلَى خِزَانَةِ السُّلْطَانِ ، وَيَضْمَنُ إِصْلَاحَ حَالِهِ - إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ - مَعَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَشُقُّ عَلَى سَهْلَانَ بْنِ مُسَافِرٍ لِمَا فِي نَفْسِهِ مِنْ حَسْنَوَيْهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الِانْتِقَامَ مِنْهُ وَالتَّشَفِّيَ

بِهِ ، وَكَانَ أَبُو الْفَتْحِ يَرَى مُفَارَقَةَ حَسْنَوَيْهِ وَالْعَوْدَ إِلَى صَاحِبِهِ بِمَا بِهِ لَمْ يَنْثَلِمْ عَسْكَرُهُ وَلَا خَاطَرَ بِهِمْ ، وَأَنْ يَلْحَقَ بِمَكَانِهِ مِنَ الْوَزَارَةِ قَبْلَ أَنْ يُطْمَعَ فِيهِ أَوْلَى[1] وَأَشْبَهَ بِالصَّوَابِ .

وَقَدْ كَانَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبَيِّعِ خَلِيفَةُ أَبِيهِ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا[2] عَرَفَهُ بِالْكِفَايَةِ وَالسَّدَادِ وَأَرْجَفَ لَهُ بِالْوَزَارَةِ ، فَسَفَرَ الْمُتَوَسِّطُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَسْنَوَيْهِ إِلَى أَنْ تَقَرَّرَ أَمْرُهُ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَجَبَا كُورَةَ الْجَبَلِ وَجَمَعَ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْبِغَالِ وَسَائِرِ التُّحَفِ مَا بَلَغَ مِقْدَارُهُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِ كُتُبُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بِمَا قَوَّى قَلْبَهُ وَشَدَّ مَتْنَهُ[3] ، وَأَحْمَدَ جَمِيعَ مَا دَبَّرَهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْعَوْدِ إِلَى الْحَضْرَةِ بِالرَّيِّ .

قَالَ : وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ تَمَكَّنَ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ الْعَمِيدِ مِنَ الْوَزَارَةِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ رُكْنُ الدَّوْلَةِ تَدْبِيرَ مَمَالِكِهِ ، وَمَكَّنَهُ مِنْ أَعِنَّةِ[4] الْخَيْلِ ، فَصَارَ وَزِيراً

---

(١) أولى مفعول ثان ليرى (٢) ما زائدة

(٣) شد متنه : قوى ظهره (٤) أعنة جمع عنان : وهو الزمام

وَصَاحِبَ جَيْشٍ عَلَى رَسْمِ وَالِدِهِ ، إِلَّا أَنَّ وَالِدَهُ بَاشَرَ هَذِهِ الْأُمُورَ فِي كَمَالٍ مِنْ أَدَوَاتِهِ وَتَمَامٍ مِنْ آلَاتِهِ ، فَدَبَّرَهَا[1] بِالْحَزْمِ وَالْحُنْكَةِ . وَأَمَّا أَبُو الْفَتْحِ فَكَانَ فِيهِ — مَعَ رَجَاحَتِهِ وَفَضْلِهِ فِي أَدَبِ الْكِتَابَةِ وَتَيَقُّظِهِ وَفَرَاسَتِهِ — نَزَقُ الْحَدَاثَةِ ، وَسُكْرُ الشَّبَابِ ، وَجُرْأَةُ الْقُدْرَةِ ، فَأَجْرَى أَمْرَهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِظْهَارِ الزِّينَةِ الْكَثِيرَةِ ، وَاسْتِخْدَامِ الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ وَالِاحْتِشَادِ فِي الْمَوَاكِبِ وَالدَّعَوَاتِ ، حَتَّى خَرَجَ بِهِ عَنْ حَدِّ الْقَصْدِ إِلَى الْإِسْرَافِ ، فَجَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ضُرُوبَ الْحَسَدِ مِنْ ضُرُوبِ السَّلَاطِينِ وَأَصْحَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ .

وَكَانَ صَاحِبُهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ قَدْ شَاخَ وَسَئِمَ مُلَابَسَةَ[2] أُمُورِ الْجُنْدِ ، وَأَحَبَّ الرَّاحَةَ وَالدَّعَةَ فَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأُمُورَ ، وَرَآهُ شَابًّا قَدِ اسْتَقْبَلَ الدُّنْيَا اسْتِقْبَالًا ، فَهُوَ يُحِبُّ التَّعَبَ الَّذِي قَاسَاهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ثُمَّ مَلَّهُ ، وَيَسْتَلِذُّ فِيهِ الِانْتِصَابَ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَمُخَالَطَةَ الْجُنْدِ وَالرُّكُوبَ إِلَى الصَّيْدِ وَمَشْيَ خَوَاصِّ الدَّيْلَمِ وَكِبَارِ الْجُنْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ مُشَارَبَتَهُمْ

(١) كانت فى هذا الأصل : « فدبره » (٢) أى مخالطة أمور الجند ، ومعرفة باطن الأمور .

وَمؤانَسَتَهُمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ بِالْخِلَعِ وَالْحُمْلَانِ[1]. فَأَوَّلُ مَنْ أَنْكَرَ هَذَا الْفِعْلَ عَلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَمُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ ابْنَا رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَكُتَّابُهُمَا ثُمَّ سَائِرُ مَشَايِخِ الدَّوْلَةِ، وَرَأَوْهُ يَرْكَبُ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ وَيَغْشَى الدَّارَ، فَإِذَا خَرَجَ تَبِعَهُ الْجَمِيعُ وَخَلَتْ دَارُ الْإِمَارَةِ حَتَّى لَا يُوجَدَ فِيهَا إِلَّا الْمُسْتَخْدِمُونَ مِنَ الْأَتْبَاعِ وَالْحَاشِيَةِ، ثُمَّ تَرَقَّى أَمْرُهُ فِي قِيَادَةِ الْجَيْشِ وَالْتَحَقُوا بِهِ إِلَى أَنْ نُدِبَ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْعِرَاقِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنَ الرَّيِّ وَالِاجْتِمَاعِ مَعَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ لِنُصْرَةِ بُخْتَيَارَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي الْخِلَافِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَتْرَاكِ الْمُسْتَعْصِينَ عَلَيْهِ، فَأَقَامَ هُنَاكَ وَوَاطَأَ[2] بُخْتَيَارَ فِي أُمُورٍ خَالَفَ فِيهَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ، وَذَاكَ أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ لَمَّا عَادَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى فَارِسَ شَرَطَ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ أَلَّا يُقِيمَ بِبَغْدَادَ بَعْدَهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ يَلْحَقَ بِوَالِدِهِ بِالرَّيِّ، فَلَمَّا خَرَجَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ طَابَتْ لِابْنِ الْعَمِيدِ بَغْدَادُ، فَاتَّبَعَ هَوَى صِبَاهُ وَأَحَبَّ الْخَلَاعَةَ وَالدُّخُولَ مَعَ بُخْتَيَارَ فِي أَفَانِينِ

(١) ما يحمل عليه من الدواب (٢) واطأه: وافقه واتفق معه

لَهْوِهِ وَلَعِبِهِ ، وَوَجَدَ خُلُوًّا مِنْ أَشْغَالِهِ ، وَرَاحَةً مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ صَاحِبِهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ مُدَّةً ، وَحَصَلَتْ لَهُ زَبَازِبُ[1] وَدُورٌ عَلَى الشَّطِّ وَسِتَارَاتُ غِنَاءٍ وَمُغَنِّيَاتٌ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ اللَّذَّاتِ وَعَرَفَ بُخْتَيَارُ لَهُ مَاصَنَعَ مِنَ الْجَمِيلِ فِي شَأْنِهِ[2] ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ جَرَّدَ مِنَ الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ فِي رَدِّ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ نَشِبَتْ فِيهَا مَخَالِبُهُ وَتَمَلَّكَهَا ، وَقَبَضَ عَلَى بُخْتَيَارَ وَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ ، فَخَلَّصَهُ وَأَعَادَ مُلْكَهُ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَادَ ، فَكَانَ يَرَاهُ بُخْتَيَارُ بِصُورَةِ مَنْ خَلَّصَهُ مِنْ مَخَالِبِ الْأَسَدِ بَعْدَ أَنِ افْتَرَسَهُ ، وَأَنَّ سَعْيَهُ بَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَعَضُدِ الدَّوْلَةِ هُوَ الَّذِي رَدَّ عَلَيْهِ مُلْكَهُ ، فَبَسَطَهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ وِزَارَتَهُ وَتَمْكِينَهُ مِنْ مَمَالِكِهِ عَلَى رَسْمِهِ ، وَأَلَّا يُعَارِضَهُ فِي شَيْءٍ يُدَبِّرُهُ وَيَرَاهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ وَقَالَ : لِي وَالِدَةٌ وَأَهْلٌ وَوَلَدٌ وَنِعْمَةٌ قَدْ رُتِّبَتْ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَهِيَ كُلُّهَا فِي يَدِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَلَا أَسْتَطِيعُ مُفَارَقَتَهُ ، وَلَا يَحْسُنُ بِي أَنْ يُتَحَدَّثَ عَنِّي بِمُخَالَفَتِهِ ، وَلَا يَتِمُّ أَيْضًا لَكَ مَعَ مَاعَامَلَكَ بِهِ مِنَ الْجَمِيلِ ، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ إِنْ

---

(١) أي : سفن (٢) كانت هذه الكلمة في الأصل : « بابه » وأصلحت

قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ مَا هُوَ قَاضٍ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، أَنْ أَصِيرَ إِلَيْكَ مَعَ قِطْعَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ فَإِنَّهُمْ لَا يُخَالِفُونَنِي، وَرُكْنُ الدَّوْلَةِ مَعَ ذَلِكَ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ[1]، وَلَيْسَ يَتَأَخَّرُ أَمْرُهُ، وَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمَا ذَلِكَ سِرًّا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْعَلَوِيُّ، فَإِنَّهُ تَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا وَأَخَذَ عَهْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَلَمْ يُظْهِرْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ حَتَّى حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بَعْدَ هَلَاكِ أَبِي الْفَتْحِ، وَلَكِنَّ الْغَلَطَ الْعَظِيمَ كَانَ[2] مِنْ أَبِي الْفَتْحِ كَوْنُهُ أَقَامَ بِبَغْدَادَ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَحَصَّلَ أَمْلَاكًا اقْتَنَاهَا هُنَاكَ وَإِقْطَاعَاتٍ اكْتَتَبَهَا وَأُصُولًا أَصَّلَهَا عَلَى الْعَوْدِ إِلَيْهَا، ثُمَّ الْتَمَسَ لَقَبًا مِنَ السُّلْطَانِ وَخِلَعًا وَأَحْوَالًا لَا تُشْبِهُ مَا فَارَقَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهَا، ثُمَّ اسْتَخْلَصَ[3] بِبَغْدَادَ بَعْضَ أَوْلَادِ التُّنَّاءِ[4] بِشِيرَازَ يُعْرَفُ بِأَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي شُجَاعٍ الْأَرَّجَانِيِّ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ لَهُ وَلَا خُلْطَةٍ قَدِيمَةٍ تَكْشِفُ لَهُ أَمْرَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ كَانَتْ تِلْكَ

---

(١) مثل يضرب لمن قرب أجل حياته (٢) كان زائدة (٣) كانت هذه الكلمة في الأصل: « استخلف ». (٤) التناء كقفاز جمع تانيء: الدهقان.

الْأَسْرَارُ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَخْتَيَارَ - وَالتَّرَاجِمُ بَيْنَهُمَا تَدُورُ - كُلُّهَا عَلَى يَدِهِ وَيَتَوَسَّطُهَا، وَيُهْدِي إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ جَمِيعَهَا وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِهَا، فَلَمَّا عَرَفَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ وَمُخَالَفَةَ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ لَهُ، وَدُخُولَهُ مَعَ بَخْتَيَارَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ مَعَ اللَّقَبِ السُّلْطَانِيِّ الَّذِي حَصَّلَهُ وَهُوَ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ، وَلُبْسِهِ الْخِلَعَ وَرُكُوبِهِ بِبَغْدَادَ مَعَ ابْنِ بَقِيَّةَ فِي هَذِهِ الْخِلَعِ، عَرَفَ مُكَاشَفَتَهُ إِيَّاهُ بِالْعَدَاوَةِ، وَكَتَمَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ فَأَهْلَكَهُ كَمَا ذَكَرْنَا.

قَالَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ: أَنْشَدَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ بِهَا، أَنْشَدَنَا أَبُو زَيْدٍ صُعْلُوكُ بْنُ إِمِيلَوَيْهِ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ الْجِيلِيُّ: قَدِمَ عَلَيْنَا قَالَ: أَنْشَدْتُ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي ابْنِ الْعَمِيدِ وَمَوَدَّتِهِ:

وِدَادُكَ لَازِمٌ مَكْنُونُ سِرِّي ... وَحُبُّكَ جُنَّتِي وَالْعِشْقُ زَادِي
فَإِنْ وَاصَلْتَنِي أَزْدَادُ حُبًّا ... وَإِنْ[1] صَارَمْتَنِي يَزْدَدْ سُهَادِي
وَخَالُكَ فِي عِذَارِكَ فِي اللَّيَالِي ... سَوَادٌ فِي سَوَادٍ فِي سَوَادِ

---

(١) كانت في هذا الأصل: « فان » وأصلحت.

فَأَجَابَهُ ابْنُ الْعَمِيدِ :

دَعَانِي فِي انْبِلَاجِ اللَّيْلِ صُبْحٌ   فَنَادَى قُمْ نَحَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ
فَقُلْتُ لَهُ : تَرَفَّقْ يَا مُنَادِي   أَلَيْسَ الصُّبْحُ مُسْوَدَّ النَّوَاحِي؟
فَثَغْرِي وَالْمُدَامُ وَحُسْنُ وَجْهِي   صَبَاحٌ فِي صَبَاحٍ فِي صَبَاحِ

﴿ ٣٩ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الشِّمْشَاطِيُّ الْعَدَوِيُّ أَبُو الْحَسَنِ * ﴾

علي بن محمد الشمشاطي

وَشِمْشَاطُ مِنْ بِلَادِ إِرْمِينِيَةَ مِنَ الثُّغُورِ . وَكَانَ مُعَلِّمَ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَأَخِيهِ ثُمَّ نَادَمَهُمَا ، وَهُوَ شَاعِرٌ مُجِيدٌ وَمُصَنِّفٌ مُفِيدٌ ، كَثِيرُ الْحِفْظِ ، وَاسِعُ الرِّوَايَةِ ، وَفِيهِ تَزَيُّدٌ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : إِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُهُ قَدِيمًا ، وَبَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ تَرَكَ كَثِيرًا مِنْ أَخْلَاقِهِ عِنْدَ عُلُوِّ سِنِّهِ . قَالَ : وَهُوَ يَحْيَا فِي عَصْرِنَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهُوَ الَّذِي رَوَى الْخَبَرَ الَّذِي جَرَى بَيْنَ الزَّجَّاجِ وَثَعْلَبٍ فِي حَقِّ سِيبَوَيْهِ وَاسْتِدْرَاكَهُ عَلَى ثَعْلَبٍ

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت

فِي الْفَصِيحِ عِدَّةَ مَوَاضِعَ ، وَقَدْ ذُكِرَ ذَلِكَ فِي تَرْجَمَةِ الزَّجَّاجِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَكَانَ(١) رَافِضِيًّا دَجَّالًا يَأْتِي فِي كُتُبِهِ بِالْأَعَاجِيبِ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ . وَلِأَبِي الْقَاسِمِ الرَّقِّيِّ الْمُنَجِّمِ فِيهِ يَهْجُوهُ :

حَفَّ خَدَّيْكَ دَلَّ يَا شِمْشَاطِي ... أَنَّهُ دَائِمًا لِغَيْرِ لِوَاطِ
وَانْبِسَاطُ الْغُلَامِ يُعْلِمُنِي أَنْـ ... ـنَكَ تَحْتَ الْغُلَامِ فَوْقَ الْبِسَاطِ
وَشُرُوطٍ(٢) صَبَرْتَ كُرْهًا عَلَيْهَا ... لَا لَهَا بَلْ لِلَذَّةِ الْمِشْرَاطِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : لَهُ كِتَابُ النُّزَهِ وَالِابْتِهَاجِ وَهُوَ مَجْمُوعٌ يَتَضَمَّنُ غَرَائِبَ الْأَخْبَارِ وَمَحَاسِنَ الْأَشْعَارِ كَالْأَمَالِي ، كِتَابُ الْأَنْوَارِ مَحْبُوبٌ يَجْرِي مَجْرَى الْمُلَحِ وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالْأَوْصَافِ عَمِلَهُ قَدِيمًا ثُمَّ زَادَ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، كِتَابُ الدِّيَارَاتِ كَبِيرٌ ، كِتَابُ الْمُثَلَّثِ الصَّحِيحِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي تَمَّامٍ وَالْمُخْتَارِ مِنْ شِعْرِهِ ، كِتَابُ الْقَلَمِ جَيِّدٌ ، كِتَابُ تَفْضِيلِ أَبِي نُوَاسٍ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ .

---

(١) أي صاحب الترجمة (٢) الواو نائبة عن رب أو شروط بالضم عطفا على حف « عبد الخالق »

وَحَدَّثَ الشِّمْشَاطِيُّ فِي كِتَابِهِ كِتَابِ النُّزَهِ وَالِابْتِهَاجِ قَالَ: كُنَّا لَيْلَةً عِنْدَ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ بَعْضُهُمْ يَلْعَبُ النَّرْدَ فَطَالَ الْجُلُوسُ حَتَّى مَضَى مِنَ اللَّيْلِ هَزِيعٌ وَالسَّمَاءُ تَهْطِلُ، فَقَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ لِفَتْحِ بْنِ نَظِيفٍ: يَا فَتْحُ، كَمْ قَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا نِصْفُ بَيْتِ شِعْرٍ. فَقَالَ لِبَعْضِ مَنْ فِي حَضْرَتِهِ: أَتِمَّهُ، فَقَالَ: هَذِهِ قَافِيَةٌ صَعْبَةٌ لَا تَطَّرِدُ إِلَّا أَنْ نَجْعَلَ بَدَلَ الْيَاءِ وَاوًا فَعَمِلْتُ فِي الْوَقْتِ، وَاسْتَغْلَقَتِ الْقَافِيَةُ حَتَّى لَا يُزَادَ عَلَيْهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ إِلَّا أَنْ تُكَرَّرَ الْقَافِيَةُ بِلَفْظٍ مُؤْتَلِفٍ وَمَعْنًى مُخْتَلِفٍ، مِثْلِ الْغَيْلِ: اللَّبَنِ يُرْضَعُ مِنَ الْمَرْأَةِ وَهِيَ حَامِلٌ، وَقَدْ أَتَيْنَا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ وَمِثْلِهَا لَفْظًا وَلَمْ نَأْتِ بِهِ مَعْنًى[1]، وَكَالْغَيْلِ: السَّاعِدِ الرَّيَّانِ. وَالْغَيْلِ: مَا جَرَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. وَالْغَيْلِ: الشَّجَرِ الْمُلْتَفِّ وَمِثْلِ الْقَيْلِ نِصْفِ النَّهَارِ وَقَدْ أَتَيْنَا بِهِ. وَالْقَيْلِ: الْمَلِكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَقُلْتُ[2]:

---

(١) يريد بجملة ولم نأت أن المعنى مختلف واللفظ متحد (٢) هذه القصيدة من المنسرح مستفعلن مفعولات مستفعلن ، وهى مطردة فيه بفرض أن مستفعلن الجزء الأخير مقطوع وباعتبار حرف الروى مكسورا ، إلا أن الكسر قد يتخلف فيخلفه الضم كما فى البيتين السابع والثانى عشر ، وإذا ففى الشعر إقواء ، —

يَا فَتْحُ كَمْ قَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ؟

قُلْ وَتَجَنَّبْ مَقَالَ ذِي الْمَيْلِ

فَعَارِضُ النَّوْمِ مُسْبِلٌ خُمُرًا (١) وَعَارِضُ الْمُزْنِ مُسْبِلُ الذَّيْلِ

وَاللَّيْلُ فِي الْبَدْرِ كَالنَّهَارِ إِذَا أَضْحَى وَهَذَا السَّحَابُ كَاللَّيْلِ

يَسْكُبُ دَمْعًا عَلَى الثَّرَى فَتَرَى الْـ

سَمَاءَ بِكُلِّ الدُّرُوبِ كَالسَّيْلِ

وَالنَّرْدُ تُلْهِي عَنِ الْمَنَامِ إِذَا الْـ فُصُوصُ جَالَتْ كَجَوْلَةِ الْخَيْلِ

إِذَا لَذِيذُ الْكَرَى تَدَافَعَ عَنْ وَقْتِ رُقَادٍ أَضَرَّ بِالْحَيْلِ

إِنَّ أَمِيرَ الْهَيْجَاءِ فِي مَأْزِقِ الْـ حَرْبِ الْهُمَامُ الْجَوَادُ وَالْقَيْلُ

مَنْ حِزْبُهُ السَّعْدُ طَالِعٌ لَهُمُ

وَحَرْبُهُ (٢) مُوقِنُونَ بِالْوَيْلِ

— وهو اختلاف حركة الروى ، وقد أردت أن أجعل القافية مقيدة غير أنى لم أستطع ، لأنه يلزم أن يكون الضرب أحذ مذيلا ، وهذا لاسبيل إليه ، وما وجدت لها مخرجا فى فنى العروض والقافية ، فتركتها على الاقواء ، على أنه يجوز أن يكون الروى ساكنا إذا وقفنا عليه بالنقل أى نقل حركة الحرف الأخير إلى ما قبله ، فتقول مثلا : الليل والسيل ، ولكنى لا أرى أن النطق كان هكذا ، فليبق على ماهو عليه .

(١) جمع خمار ، يريد أن النوم يغطى على الأبصار كالخمر « عبد الخالق »

(٢) حربه : محاربوه ، فالحرب المحارب — وجملة السعد خبر من ، وصلة من : جملة المبتدا المحذوف وخبره أى هم حزبه ، يريد : أن السعد طالع حزبه ، والويل طالع حربه .

نَجِيبُ أُمٍّ لَمْ تُغْذِهِ مَسِيءَ الْـ
ـقَسْمِ (١) وَلَا أَرْضَعَتْهُ مِنْ غَيْلِ

يَحْمِلُ أَعْبَاءَ كُلِّ مُعْضِلَةٍ   تَجِلُّ أَنْ تُسْتَقَلَّ بِالشَّيْلِ
أَمْوَالُهُ وَالطَّعَامُ قَدْ بُذِلَا   لِآمِلِيهِ بِالْوَزْنِ وَالْكَيْلِ

جَاوَزَ عَمْراً (٢) بَأْساً وَقَصَّرَ عَنْ
جُودِ يَدَيْهِ السَّيْحَانُ وَالسَّيْلُ

لَا زَالَ فِي نِعْمَةٍ مُجَدَّدَةٍ
يَشْرَبُ صَفْوَ الْغَبُوقِ وَالْقَيْلِ (٣)

وَحَدَّثَ الشِّمْشَاطِيُّ فِي كِتَابِهِ هَذَا أَيْضاً قَالَ: أَخَذْتُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَدْنَانَ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ حَمْدَانَ رُمَّانَةً فَكَسَرْتُهَا وَدَفَعْتُ مِنْهَا إِلَى مَنْ حَضَرَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالْأُدَبَاءِ وَقُلْتُ:

يَا حُسْنَ رُمَّانَةٍ تَقَاسَمَهَا   كُلُّ أَدِيبٍ بِالظَّرْفِ مَنْعُوتِ
كَأَنَّهَا قَبْلَ كَسْرِهَا كُرَةٌ   وَبَعْدَ كَسْرٍ حَبَّاتُ يَاقُوتِ

---

(١) نجيب خبر إن فى إن أمير ، والقسم بالفتح : الماء . (٢) يريد عمرو بن معديكرب الشجاع صاحب الصمصامة « سيفه » والسيحان : نهر بالشام وآخر بالبصرة وكانت فى الأصل : « الفنجان » (٣) القيل : الشرب نصف النهار . « عبد الخالق »

﴿ ٤٠ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَلَّالِ أَبُو الْحَسَنِ ﴾
﴿ الْأَدِيبُ النَّاسِخُ * ﴾

على بن محمد ابن الخلال

صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَلِيحِ وَالضَّبْطِ الصَّحِيحِ، مَعْرُوفٌ بِذَلِكَ مَشْهُورٌ. مَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

﴿ ٤١ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرٍ النَّحْوِيُّ الْكِنَانِيُّ * ﴾

على بن محمد الكنانى

يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ. كَانَ أَحَدَ الْفُضَلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مِقْسَمٍ، رَوَى عَنْهُ أَمَالِيَّ ثَعْلَبٍ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَسَمِعَهُ مِنْهُ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبَلَّاجِ وَأَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْمُقَدَّرِ.

﴿ ٤٢ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ﴾
﴿ ابْنِ دِينَارٍ الْكَاتِبُ * ﴾

على بن محمد ابن دينار

أَبُو الْحُسَيْنِ، بَصْرِيُّ الْأَصْلِ وَاسِطِيُّ الْمَوْلِدِ وَالْمَنْشَأِ، قَالَ الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ: وَسَأَلْتُهُ يَعْنِي أَبَا الْكَرَمِ

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة ص٣٥٢

خَمِيسَ بْنَ عَلِيٍّ الْحَوْزِيَّ عَنِ ابْنِ دِينَارٍ فَقَالَ : سَمِعَ أَبَا بَكْرِ ابْنَ مِقْسَمٍ ، وَلَقِيَ الْمُتَنَبِّيَ فَسَمِعَ مِنْهُ دِيوَانَهُ وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ هِيَ عِنْدَنَا مَوْجُودَةٌ فِي دِيوَانِهِ أَوَّلُهَا :

رَبُّ الْقَرِيضِ إِلَيْكَ الْحَلُّ وَالرَّحْلُ

ضَاقَتْ عَلَى الْعِلْمِ إِلَّا نَحْوَكَ السُّبُلُ

تَضَاءَلَ الشُّعَرَاءُ الْيَوْمَ عِنْدَ فَتًى ... صِعَابُ كُلِّ قَرِيضٍ عِنْدَهُ ذُلُلُ

وَكَانَ شَاعِراً مُجِيداً ، شَارَكَ الْمُتَنَبِّيَ فِي أَكْثَرِ مَمْدُوحِيهِ كَسَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَابْنِ الْعَمِيدِ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَ حَسَنَ الْخَطِّ يُقَالُ : إِنَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ مُقْلَةَ . مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . حَمَلَ النَّاسُ عَنْهُ الْأَدَبَ فَأَكْثَرُوا بِوَاسِطَ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ سَهْلَ الْخَلَائِقِ جَمِيلَ الطَّرِيقَةِ ، سَأَلَهُ النَّاسُ بِوَاسِطَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ الْعَلَوِيِّ أَنْ يَجْلِسَ لَهُمْ صَدْراً فَيُقْرِئَهُمْ فَامْتَنَعَ وَقَالَ : أَنَا أَتَعَمَّمُ مُدَوَّرَةً وَكُمِّي ضَيِّقٌ وَلَيْسَتْ هَذِهِ حِلْيَةَ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، أَظُنُّنِي سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَغَازِلِيِّ الشَّاهِدِ ، هَذَا آخِرُ مَا قَالَهُ خَمِيسٌ .

قُلْتُ : وَقَدْ سَمِعَ أَبُو غَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرَانَ مِنِ ابْنِ دِينَارٍ كَثِيراً ، فَرَوَى عَنْهُ كُتُبَ الزَّجَّاجِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ

عَلِيِّ بْنِ الْجَصَّاصِ عَنِ الزَّجَّاجِ ، وَرَوَى عَنْهُ مُصَنَّفَاتِ ثَعْلَبٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مِقْسَمٍ عَنْهُ .

وَرَوَى لَهُ كُتُبَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ ابْنِ مِقْسَمٍ عَنْ ثَعْلَبٍ عَنْهُ ، وَرَوَى لَهُ كُتُبَ ابْنِ السِّكِّيتِ جَمِيعَهَا كَالْإِصْلَاحِ وَالْأَلْفَاظِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مِقْسَمٍ عَنِ الْمَعْبَدِيِّ عَنِ ابْنِ السِّكِّيتِ ، وَرَوَى لَهُ كُتُبَ ابْنِ قُتَيْبَةَ : كِتَابَ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، وَكِتَابَ أَدَبِ الْكَاتِبِ ، وَكِتَابَ الْأَشْرِبَةِ وَعُيُونَ الْأَخْبَارِ وَعَدَدَ كُتُبٍ كُلُّهَا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْآمِدِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ أَبِيهِ ، وَرَوَى لَهُ كُتُبَ الْآمِدِيِّ جَمِيعَهَا عَنْهُ . وَرَوَى لَهُ كِتَابَ أَبِي الْفَرَجِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيِّ الْأَغَانِيَّ الْكَبِيرَ وَغَيْرَهُ عَنْهُ . وَرَوَى لَهُ كِتَابَ الْجَمْهَرَةِ لِابْنِ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ النَّحْوِيِّ جَخْجَخٍ عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ ، وَأَخَذَ ابْنُ دِينَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، وَمَوْلِدُ ابْنِ دِينَارٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُمَيْدِيُّ فِي ثَبْتِهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو غَالِبٍ

أَبْنُ بُشْرَانَ النَّحْوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ
أبْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ دِينَارٍ الْكَاتِبُ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى أَبِي الْفَرَجِ
عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيِّ جَمِيعَ كِتَابِ الْأَغَانِيِّ .

﴿ ٤٣ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّهَاوَنْدِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

علي بن محمد النهاوندي

رَوَى عَنْ جُنَادَةَ أَبِي أُسَامَةَ وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ أَحْمَدَ
أبْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ الْمُبَرِّدِ .

﴿ ٤٤ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْحَسَنِ الْهَرَوِيُّ * ﴾

علي بن محمد الهروي

وَالِدُ أَبِي سَهْلٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَرَوِيِّ الَّذِي يَكْتُبُ
الصِّحَاحَ وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَابِهِ ، وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ هَذَا عَالِمًا
بِالنَّحْوِ إِمَامًا فِي الْأَدَبِ ، جَيِّدَ الْقِيَاسِ صَحِيحَ الْقَرِيحَةِ حَسَنَ

(*) راجع بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة بما يأتى قال :

هو من أهل هراة ، قدم مصر واستوطنها ، وروى عن الأزهرى ، وهو أول من أدخل نسخة من كتاب الصحاح للجوهرى مصر فيما قيل ، ووجد فيها خللا ونقصا فهذبه وأصلحه ، وصنف كتابا كبيراً فى النحو عدة مجلدات موجودا بمصر ، وصنف كتابا فى معانى العوامل سماه « الأزهية » رأيته بخط ولده أبى سهل وملكته والحمد لله ، وله مختصر فى النحو سماه المرشد ، رأيته وملكته وعليه خط السنجاري

ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

الْعِنَايَةِ بِالْآدَابِ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ . وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا : كِتَابُ الذَّخَائِرِ فِي النَّحْوِ نَحْوُ أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ رَأَيْتُهُ بِمِصْرَ بِخَطِّهِ ، وَكِتَابُ الْأَزْهِيَةِ شَرَحَ فِيهِ الْعَوَامِلَ وَالْحُرُوفَ ، وَهُمَا كِتَابَانِ جَلِيلَانِ أَبَانَ فِيهِمَا عَنْ فَضْلِهِ .

﴿ ٤٥ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَنْدَلُسِيُّ * ﴾

على بن محمد الاندلسى

أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ ، مَشْهُورٌ بِالْأَدَبِ وَالشِّعْرِ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي التَّشْبِيهَاتِ مِنْ أَشْعَارِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ . كَانَ فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ ، وَعَاشَ إِلَى أَيَّامِ الْفِتْنَةِ ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ .



(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

انتهى الجزء الرابع عشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء الخامس عشر ﴾

وأوله ترجمة

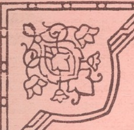
﴿ على بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدى ﴾

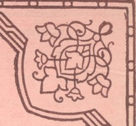


الجزء الرابع عشر

« من كتاب معجم الأدباء »

لياقوت الرومى





Editor:-

A. F. RIFAI BEY D. Litt.

DIRECTOR OF PRESS, PUBLICATIONS & CULTURE DEPARTMENT

MINISTRY OF INTERIOR
EGYPT

YÁQÚT'S

DICTIONARY OF LEARNED MEN

MÔGAM AL ODABÂ

IN TWENTY VOLUMES

Revised By The Ministry of Education.



VOLUME XIV.

NLARGED EDITION